لأجلك

محمد عادل عمر

لأجلك
محمد عادل عمر
تصميم الغلاف : عبير محمد
تدقيق لغوي: عبدالله أبو الوفا
رقم ايداع: 2018/2859
ترقيم دولي: 978-977-6594-34-0

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

لأجلك

محمد عادل عمر

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

رسالتي

(إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) هود ـ ٨٨

شكر وتقدير

للذين قالوا ليس هو، فعزمت أن أكون هو!

للذين أرادوني حطبًا، فجعلوني نارًا!

إهداء

"لمن أراد أن يكون إنسانا".

هواجس

ما أجملكِ!، ما أروعكِ!، ما أبدعكِ!، ما أكرمكِ!، ما أعظمكِ!، وأتساءل :
هل ستظلين كما أنتِ بعد وفاة والدي؟ أم ستتحولين كما يُحكى عنكِ في القصص والروايات؟!
لا تجيبيني، أنا أسأل فقط، لا داعِ للحديث معي، سأنتظر أفعال، لا أقوال!
الأيام تلو الأيام، وحديثي منقطع، وعن التفكير ممتنع، وللهواجس مستمع، وللحقيقة منصرع، وللقدر جزع.
أهذا أنا الذي أعرفه، أم صرت شخصًا لا يمكن التعرف عليه؟! ربما انقلبت حياتي رأسًا على عقب، وربما هذا هو التغيير الذي سيجعلني شخصًا آخر غير الذي اعتدت عليه.
دائمًا ما كنت أسمع من دكتور ـ إبراهيم الفقي: " طول ما أنت جاهز، ربنا هيعطيلك على قد ما أنت جاهز".
وأقول لنفسي في خفوت: "يا رب هل أنا كنت جاهز لتلك المرحلة؟! لم تكن في حسباني يا رب، بالطبع أنت على كل شيء قدير، وأنت أرحم بالولد من والدته.
أنا عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَ حكمك، عدل فيَ قضاؤك.
أعلم يا رب أنك قلت في كتابك العزيز :
"لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها"، ٢٨٦ ـ البقرة
يا رب حكمتك فينا صائبة، وقلوبنا هاوية، فاربط عليها بالنعم الباقية.
كنت دائمًا أردد: "لا بد أن نرضى بالقضاء والقدر، خيره وشره، حلوه ومره"، وكان الحماس بداخلي مليء بالرضا بالقضاء والقدر، لكنه حماس بدون تجارب حقيقية، كاشتعال النار في لا شيء، نعم إنه يشتعل، لكن بدون خبرات ومهارات، وعند أول اختبار عملي حقيقي، انقلبت الموازين والتخطيطات، ربما لأنني كنت أعطي شعارات، لا إبداعات ومهارات، فأراد الله -عز وجل- أن يذيقني مما أذاقه الناس، كي تنمو بداخلي حاسة الرحمة والشعور بالناس، وأن أجعل الأقوال أفعال، وأن أجتاز مرحلة الثرثرة والكف عنها.

وربما لأجل أسباب أخرى لا أعرفها الآن، ولكن مع مرور الوقت سأعرفها، وسأعرفها جيدًا.
وما أجمل هذه المقولة، التي خرجت من فم الشيخ الشعراوي -رحمه الله-:
" إذا كنت لا تعرف الأسباب، فالأسباب عند مسبب الأسباب".

الآن أنا حر، أرفرف، أطير، أسبح، ألعب، أصاحب، أدخل التجارب التي أريدها، وأخرج منها كيفما شئت، لا أحد يتحكم فيَ.
ربما كنت آمل في هذه الحياة، ولكن بدون فقدان للأحبة، ولكن أمنياتنا لا تأتي صافية، بل تأتي حاملة التلوث أيضًا.
سئمت من :
لا تصاحب هذا.
لا تلعب مع هذا.
لا تخرج.
لا تتكلم.
لا تتطاول على أحد.
لا تكن على هواك.
لكني اشتقت، اشتقت إلى حديثك معي، اشتقت إلى وجهك، اشتقت إلى ابتسامتك، اشتقت إلى وجودك أمامي، اشتقت إلى عينيك العسليتين، اشتقت إلى كل شيء فيك.
اشتقت إليك حبيبي، بالتأكيد كنت على صواب عندما كنت توجهني، لأنني كنت أجهل الكثير والكثير من الأمور الدنيوية، وأنا ما زلت صغيرًا، حتى عندما كنت أفكر في الحرية من نبع فكري العقيم كنت صغيرًا.
ربما كنت تمنعني من العالم الذي أعيش فيه مخافة عليَ أن أنهج نهجهم، وأن أقتدي بجاهليهم، وأن أفكر مثلهم، وأن أكون واحدًا منهم.
ولكني كنت أحب الفضول لمعرفة كيف صاروا هكذا؟!
كنت أسمع من المشايخ في المساجد: أننا كنا منارة للعلم، وأننا كنا سائدين للعالم، وأننا من جعلنا للحياة قيمة، صرنا الآن متخلفين! بعد كل هذا أصبحنا كالأنعام بل أضل سبيلًا، وعلماء الأمة من رجال الدين، ورجال العلوم الأخرى، مجتمعين على

هذه الكلمة: "أمتنا تخلفت".
أنا لا أعرف معنى كلمة "تخلف"، ولا حتى كيف تدار هذه الآونة، ولا أعرف متى جاء هذا التخلف؟! ولماذا أتى؟! ومتى ينجلي ويرحل عنا؟
ربما لأني لست مختلط بالبشر، ومنعزل عن هذا العالم المرير الذي منعني منه والدي مرارًا وتكرارًا، كي لا أكون واحدًا منهم، ولكن الشغف يقتلني لمعرفة لماذا أصبحنا أمة متخلفة؟!

المدرس

وبعد معاناة دامت طويلًا، ليست في الوقت، ولكن في حالتي النفسية، وعندما كان عقلي عاجزًا عن التفكير بدأ يرجع لمساره المستقيم، وبدأ يعمل بعد إضراب طال كثيرًا، فبينما كان عقلي يعتصر من التفكير، تذكرت مدرسي ومعلمي، نعم إنه ليس جيدًا، لكنه كان يمتاز بالصراحة وعدم الاصطناع، وأنا أحب هذا.
بدأت الملفات تنتقل من عقلي إليَ، أخيرًا جاءت كل الذكريات التي حفظتها في عقلي لحين الحاجة إليها، والآن ترجع لي ثانية، أنا الآن في حيرة وشتات وبين خيارين لا ثالث لهما :
الأول ـ أن أذهب إليه في المدرسة؟
الثاني ـ أن أذهب إليه في بيته؟
وربما الثقلين يميلان للذهاب إلى المدرسة، نعم إنهما ثقلين وبدونهم أنا لا أساوي شيء، وهما القلب والعقل من منظاري الشخصي.
وقد تشاورت معهما، ولكني سأذهب إليه، وإن لم يتذكرني، سأذكره.
كنت أعرف أنه سيتوقف عن الشرح كعادته، وسيطرح الأسئلة المريضة المعتاد عليها، لأنه لم يتذكرني.
ـ نعم يا حبيبي عاوز مين؟
ـ حضرتك مش فاكرني يا أستاذنا؟!
ـ لأ مش فاكر، وانجز بقى عشان أنا مخنوق من العيال المقرفة دي.
ـ أنا كنت طالب عندك.
ـ تشرفنا يا خويا!
لك الحق تمامًا، ستظل كما أنت، لن تتغير إلا إذا شعرت بأنك سخيف، لا أعلم كيف تعيش بهذه السخافة؟!

ـ أنا محمد.

ـ تشرفنا يا عم محمد، عاوز ايه بقى؟!
لقد قلت أنه سخيف، أأظل وأذكره؟ أم أرحل بسبب سخافته؟!
سأذكره، ولكن بشيء لو كان فاقدًا للذاكرة لرجعت له مرة ثانية.
ـ أستاذنا، ارجع كده بالذاكرة شوية!
ـ رجعت!
ـ فاكر لما كان عندك تلميذ بيعشق الفلسفة وكان بيتفلسف كتير عليك وعلى المدرسين وعلى الطلبة، حتى حضرتك سميته الفليسوف المقرف؟!
ـ حماده حبيبي، وحشتني يا غلس!
ـ أنت اكتر يا أستاذنا.
ـ عامل ايه يلا؟
ـ الحمد لله.
ـ لو مكنتش فكرتني برخامتك مكنتش أفتكرتك أبدًا.
بالطبع لن أصل إلى قدر سخافتك أيها السخيف، فأنا أحتاج إلى دروس في ذلك، ولكنك اكتسبتها بدون أي دروس، وكأن العائلة كانت سخيفة لتنجب لنا شخصًا سخيفًا مثلك.
ـ أه طبعًا يا أستاذنا.
ـ وحشتني يخربيت عقلك.
ـ ما هو لو اتخرب مكنتش افتكرتك ولا كنت جيتلك.
ـ لسه فلسفة أهلك فيك برضو؟!
ـ أنا لو بطلتها أموت.
ـ تموت! وتسيبني لمين؟
لقد قلت أنه سخيف، سيجعلني أندم على قدومي هنا، لا أفهم هذا الكم من السخافة؟! لماذا دائمًا يعلق على أتفه الأشياء؟!
ـ وحشني يا أستاذنا.
ـ تعالا، دا أنت هونت عليَ شوية من غباء ولاد الكلب اللي قاعدين قدامك دول.
ـ بكره يفهموا يا أستاذنا.
ـ بكره الساعة كام؟!

سخيف، سخيف، سخيف!
ـ بكره اللي هو في المستقبل إن شاء الله.
ـ ما أنا عارف بس بحب الألش.
ـ وأنا كمان برضو!
لكن التعليقات السخيفة ملهاش لازمة، وملهوش لازمة الألش على كل حاجة، كرهتني في نفسي يا سخيف.
ـ بتقولي بكره؟!
ـ أيوه.
ـ بكره مين، دول عيال متشردين!
ـ ليه بس كده؟!
ـ ليه بس كده! أنت مش عايش في البلد دي ولا ايه يا عم محمد؟! أنا هثبت لك دلوقتي.
واد يا سيد تعالا أقولك.
سيد: نعم يا أستاذ.
المدرس: معاك عشرة جنيه، تروح تجيب بيهم كانزيتين وبجنيه لب ومتغيبش.
سيد: اتفضل يا باشا!
ما هذا؟! أهذه كلمة طالب، أم كلمة عربجي؟!
كيف تعلم الطالب هذه اللغة الدنية؟!
المدرس سيفتخر بنفسه وسيثبت أنه على حق.
هناك شيء خطأ، بالتأكيد هناك شيء خطأ.
المدرس: اتفضل يا باشا!
طبعًا هيبص لي دلوقتي وهيتريق عليَ!
ـ شوفت يا باشا؟!
ـ أنا مش مصدق يا أستاذنا اللي أنا شايفه قدامي، حاسس إني بحلم!
ـ امسك نفسك داحنا لسه عندنا فقرات تانية، بس ايه، أحسن من السيرك!، تحب تشوف؟
لقد أنسيتني ما لم أستطع أن أنساه منذ زمن، لكنك أنسيتني بمرارة أكثر، نوبة ضحك

أخذتني من عالمي المرير إلى عالم أكثر مرارة!
ـ نفسي أعرف أنت بتسرح كتير وبتروح فين؟!
ـ مفيش يا أستاذنا، أصل منمتش النهارده كويس.
ـ ولا هتنام النهارده.
ـ ازاي؟!
ـ هوريك دلوقتي، واد يا سيد فين الباقي؟
كنت أظن أن الكذب لا يتعمق داخل الإنسان إلا في الكبر عندما تكثر المصائب والمشكلات، يبحث الإنسان عن الكذب ليخفي ما هو مستور كي لا يظهر بمظهر غير لائق أمام الناس.
كم كنت أظن أن الكذب يأتي مصادفة، بدون تخطيط، بدون تنظيم، بدون توجيه، لكن اليوم أدركت أنه يأتي بتوجيه من الشخص، فهو لا يأتي من قبل الرياح الهوجاء التي تحركه بجهلها وبدون عمد.
هل جاءت المصائب والمشكلات مبكرًا كي يكذب " سيد "، أم أمر ما أجهله؟
ـ ليه يا سيد؟
ـ طب سبهولي، فين الباقي يلا؟! طبعًا هتقولي الحاجة غلت يا أستاذ زي كل مرة! نفسي أعرف ايه أم الحاجة اللي بتغلي كل ما أجي أبعتك تجيبلي حاجة؟! ولا، أنا حاسس إنك بتقلبني في الفلوس اللي باخدها منك في الدرس!، أدخل قرفتني، هتموتني يا ابن الكلب!
ـ هو أنت كنت عارف إنه هيسرقك؟
ـ دا على طول بيسرقني!
ـ طب ما تبعت حد غيره!
ـ دا أقل واحد بيسرق في العيال دي!
ـ ايه؟!
ـ مش كل شوية تقعد تنبهرلي، الدنيا اتغيرت يا حمادة!
ـ بالسرعة دي؟
ـ أيوه بالسرعة دي، تحب أجيبلك فقرات تانية؟ احنا هنا في مدرسة الموهوبين، الموهوبين في السرقة، في قلة الأدب، في كل حاجة وحشة!

ـ لأ كفاية، أنا اتقفلت!
ـ أمال أنا أعمل ايه؟!
ـ لأ متعملش حاجة يا أستاذنا، ألا صحيح أنت قولت إن الواد دا شكله بيقلبك في فلوس الدرس، حضرتك لسه بتعطي درس؟
ـ طبعًا يا بني، هو راتب المدرسة بيكفيني!
ـ طب لسه بتضرب الطلبة عشان يجوا الدرس عندك، ولا غيرت زي ما الدنيا كلها غيرت؟!
ـ طبعًا غيرت، أصل الضرب دا بقى موضة قديمة خالص، وبعدين أولياء الأمور اشتكوني كتير للإدارة وللمديرية، وهما حذروني من كده، ولو عملت كده تاني هيبقى فيه مسائلة قانونية.
ـ أمال عملت ايه عشان الطلبة تفضل تيجي الدرس؟
ـ ولا حاجة يا سيدي، بقيت بدخل بكتب كلمتين على السبورة، وأطلع عيل يقرأ الدرس وأقعد أهزر معاهم شوية، وأجيب أكل، واطلع اتكلم شوية مع زمايلي.
ـ وطبعًا طظ في الطلبة والتعليم صح؟!
ـ روق يا حمادة كده، بص يا حمادة، أولياء الأمور بقوا بهايم!، معدوش زي زمان، زمان كنت تلاقي الأب يقولك موت ابني من الضرب بس يتعلم، ومهما كنت تعمل في العيل، أبوه يقوله ملكش إلا كده يا ابن الكلب، ما أنت لو متربي ومحترم مكنش المدرس ضربك.
فكنت تلاقي العيال محترمة وكانوا بيطلعوا محترمين، أنا معاك إن الضرب كان غلط، بس كان الأب عاوز ابنه يبقى محترم بأي طريقة، ويبقى متعلم، تعالا دلوقتي، تلاقي المدرس لو زعق للعيل الواد يروح يجيب أبوه، وأبو العيل يضرب المدرس قدام المدرسين ومحدش يسجر يحوش، لأن اللي هيحوش هيموت! ولو جيت تقوله ابنك فاشل وصايع يروح يقولك أنت اللي فاشل وصايع ومدرس ابن مره و..... وينزل فيك شتيمة بالأب والأم!، وكل دا ليه؟! عشان ابنه الصايع، وغير كده هو مش عاوز ابنه يطلع بيفهم، هو عاوزه بس واخد شهادة عشان يفتخر بيها قدام الناس، ويقول للناس إن ابني واخد شهادة، وهو مش عاوز الشهادة بس إلا عشان يفتخر بيها بس، لأن هو بيقول إن اللي أخدوا الكليات عملوا بيها إيه؟! دول كل اللي أخدوا

الكليات شغالين نجارين، سباكين، نقاشين، صنايعية، فهو مقتنع إن التعليم ملوش لازمة، وابنه كده كده هياخد الشهادة وهيسافر يشتغل أي حاجة عشان يجيب فلوس ويبقى واد كسيب زي ما بيقولوا، ويجي يخطب بنت عمه اللي هي كانت بتحب واحد صاحبها، بس يا عيني، عشان هو واد غلبان وعاوز يكون نفسه ولسه في الجامعة وبيصرف على أمه واخواته ـ فهي تسيبه وتروح تتجوز ابن عمها اللي هو الواد الكسيب، ويبقى اسمه تاجر شنطة، عارف يعنى ايه تاجر شنطة؟!

ـ لأ.

ـ يعنى واحد مش بيفكر غير فى المال وخلاص، وكل همه يجمع المال من أي حتة، حتى لو هيشتغل كل يوم شغلانة شكل مش مهم، المهم يبقى تاجر شنطة عشان يعرف يعيش، ويتجوز بنت عمه، ويجيب عيال متخلفة زيه بالظبط، ويعلمهم اللي هو اتعلمه من أبوه، والعيال يعلموا ولادهم، وولادهم يعلموا ولاد ولادهم، ويتوارث الجهل، عرفت ليه أنا بعمل كده؟!

ـ مش عارف أقول ايه، بس مش مبرر!

ـ ما أنا لو معملتش كده مفيش حد هيجيلي الدرس، ومش هعرف أعيش، يرضيك إني أموت من الجوع؟!

ـ لأ يرضيني إن العيال تموت بالجهل!

ـ وبعدين دول عيال متشردة، ومهما أقول فيهم مش هيفهموا، ولازم يمشوا بالجهل عشان يعرفوا يعيشوا واحنا كمان نعرف نعيش!

ـ حضرتك يا أستاذنا كنت بتقولنا إن من الحكم الجميلة، إن الجهل أخطر عدو للإنسان!

ـ طبعًا.

ـ طب ليه بتعلمه للطلبة؟

ـ لأن أولياء أمورهم عاوزينهم يبقوا جهلة!، أما أولياء أموركم كانوا عاوزينكم متعلمين.

ـ بس من حق الإنسان إنه يتعلم.

ـ كان فيه شاعر روماني من زمان اسمه " سيروس بليليوس " كان بيقول :

"إننا لا نهتم بالناس حتى يهتموا بنا".

ـ أنا مصدوم!
ـ روق كده يا عم محمد، قولي أبوك عامل ايه؟
ـ أبويا مات.
ـ البقاء لله.
ـ ونعم بالله، هستأذن أنا بقى.
ـ طب ماشي يا حبيبي، ولما تعوز حاجة ابقى تعالا.
ـ حاضر.
حاضر كلمة تقال للخروج من المواقف السيئة، بتهدئة المشاعر والأحاسيس، حاضر كلمة تختصر الكثير من الكلمات والمعاني، حاضر تنبع من عمق المشاعر للتعبير عن كل شيء بالداخل، حاضر ليست خسارة المواقف والأشخاص، بل كسب المواقف والأشخاص.

المحاسب

وفي ذلك الوقت أسير ببطء، وذهني يسير بسرعة فائقة، أتعمق من هول مسألة أستاذي ومعلمي، ومن هول موقف الطلاب الضائعين في سباق الوحل، المتسخين من العفونة التي لحقت بهم، أو العفونة التي أراد والديهم أن يتجسدوا بها، لا أدري، لا أعلم، لا شعور، لا مشاعر، لا إدراك، لا تفكير، لا تغيير، لا إصلاح، لا لكل شيء بداخلي الآن!

لم أعد أحتمل، أنا الآن لا أستطيع أن أسيطر على نفسي، أيتها الأرض فلتحتضنيني برفق، لا أريد منك أن تحتضنيني بقوة، أريد برفق، أريد بلين، أريد منكِ أن تحتضنيني كما تحتضن الأم ولدها.

أنا لا أتذكر أي شيء الآن، إلا وجه شاحب، وقدمين مسرعتين، وعرق يتصبب من على الجبين، وضربة جعلتني أحتضن الأرض.

ـ أنا آسف!

ـ حضرتك مين؟

ـ أنا محاسب ومتأخر عن الشغل وعاوز أمشي عشان ألحق قبل ما يتشطب عليَ!

ـ اتفضل.

ـ أنا آسف، ودا الكارت بتاعي واتمنى إنك تيجي تزورني في بيتي وأعوضك بدل البهدلة اللي عملتها فيك دي.

ـ شكرًا، هحاول أجيلك!

ـ هستناك.

ـ حاضر.

من صدمة إلى صدمة، أخلص من الأولى تيجى التانية، وخايف من التالتة تبقى بعد التانية، والرابعة تبقى بعد التالتة، والخامسة تبقى بعد الرابعة، والسادسة تبقى بعد الخامسة، والسابعة تبقى بعد السادسة، والتامنة تبقى بعد السابعة، والتاسعة تبقى بعد التامنة، والعاشرة..... بس هذا يكفي ـ سأنتظرهم جميعًا دون أن أفكر.

" المفاجأة حلوة مفيش كلام في كده!"
بس لما بتكون، أو لا تكون.
سأذهب لكي أعرف،
سأذهب لكي أحتك،
سأذهب لكي أختلط،
سأذهب لكي أنمو ذهنيًا،
سأذهب لكي أخوض،
سأذهب لكي..

الفضول هو سلاحي الذي أسعى به، الذي أعيش به، الذي أحيا به، الذي سيكون سببًا في نجاتي، أو هلاكي.
لا، لا، لا، أتمنى أن يكون هذا هراء، هيا اعمل، هيا اعمل، أرجوك لا أتحمل هذه المعاناة، أنا مجهد، لا تسمع كلماتي وتصمت، تكلم أيها الحقير، سب، اضرب، افعل شيء.
لا خيار آخر إلا السلم، لكنه طويل يصعب علي اجتيازه، جميل، تكلم، هيا تكلم، أنت روحي المتكلمة، هيا افعلها، اجهر بأعلى صوتك، لا أسمع، أريد صوت أكثر ضجيجًا.
هكذا هي الحياة، إما أن تنتظر المصعد حتى يعمل مرة أخرى، وربما لا يعمل مرة أخرى، أو تأخذ سلم الحياة، درجة ثم درجة حتى تصعد إلى أعلاه.
أيوه كده شجعني، حفزني، ولعني، لكن، من أنت؟!
لكنك مشكور، فبعدما كان جسدي تبرمج على تفكيري العقيم أنني لا أستطيع القيام بالصعود إلى الأعلى، بدأت الروح تأتيه من كل مكان، وكأنها كلمات تحمل نوعًا من الكافيين، كان خمولًا، فصار نشاطًا، كان يأسًا، فصار عزمًا، كان ضعفًا، فصار قوة.
مشكور، مشكور أيها الشيء الذي لا أعرفك، لكنك مشكور!
طق، طق، طق.
ـ مين؟!
ـ حرام عليك يا جدع.

ـ حبيبي أنت جيت؟!
ـ أيوه جيت، وبندم إني جيت.
ـ ليه؟!
ـ مش كفاية الضربة اللي ضربتهاني الصبح، تيجي تكافئني بضربة أصعب!
ـ قصدك الأسانسير مش شغال صح؟!
ـ أيوه.
ـ طب أنا آسف لتاني مرة.
ـ عادى يا عم ولا يهمك، خير كنت عاوزني ليه؟
ـ أنا لقيتك ماشي سرحان، وفيك حاجة مخبيها ومهموم، وأنت الوحيد اللي وقعته ومتكلمش.
ـ ليه أنت وقعت ناس كتير ولا ايه؟!
ـ مش كتير!، أنت كنت ماشي مهموم ليه؟
ـ مشاكل، بس مش كتير!
ـ طب أنت لسه صغير، ليه مخنوق كده ومتضايق؟!
ـ طب ما أنت لسه صغير وكنت ماشي قلقان وخايف!
ـ طب تشرب ايه؟
ـ مش ضروري.
ـ ازاي يا عم لازم تتضيف.
ـ ما أنا اتضيفت!
ـ هنضيفك تاني.
ـ صدقني مش مهم، كلمني شوية عن نفسك؟
ـ بص يا معلم، أنا بشتغل محاسب في شركة، وكنت متأخر وكنت عاوز ألحق عشان أمضي، علشان ميتشطبش عليَ.
ـ تمام.
ـ فلقيتك في وشي وأنا مسرع فوقعتك.
ـ بس مش المفروض إن لما يكون واحد شيك في لبسه لازم يكون شيك في تصرفاته؟!
ـ ما أنا كنت مستعجل!

ـ طب أنت محاسب بس؟
ـ أيوه.
ـ تعرف أنا تعبان ومخنوق ومش عارف أعيش لحد دلوقتي بعد ما أبويا مات، ومش عارف أتعامل مع الناس.
ـ البقاء لله، بس ليه كده؟ أنا أبويا وأمي ماتوا وأنا لوحدي والدنيا زي الفل، وبعرف أتعامل مع الناس وأخليهم يحترموني.
ـ طب ازاي؟!
ـ هقولك لأني حاسك واد كويس وغلبان ولازم تتعلم اللعبة.
ـ طب علمني يا معلم.
ـ بص يا معلم، أنا واحد شغال محاسب في شركة ما، وراتب الشركة مش بيكفيني، ومدير الشركة اللي عندنا حرامي وظالم، بيكسب أضعاف أضعاف المكسب، وليه منافسين كتير وكمان ظالمهم ومحتكر السوق، وبيعامل الناس كلها وحش ومتكبر، ولو عملت حاجة كويسة للشركة مش بيعلي راتبك ولا تاخد مكافأة خالص ولا أي حاجة، كأنك عبد عنده، وكل اللي هو عاوزه واللي مفكرش فيه إنه يحصل ـ مفكره عادي منك لأنك عبد، وبتاخد مقابل دا راتب شهرى، زي العبد كده.
ـ !
ـ وبعدين الناس كلها بتكرهه، فأنا مخنوق منه لأنه ظلمني وظلم ناس كتير، وقولت لازم أنتقم منه.
ـ عملت ايه؟
ـ دنا لسه بعمل وهعمل إن شاء الله.
ـ ايه؟!
ـ أنا عارف حاجات محدش يعرفها في الشركة غيري، زي ما تقول كده أمن معلومات.
ـ تمام.
ـ بروح أقولها للشركات المنافسة عشان تحسن من مستواها ويضربوا ابن الجزمة المغرور دا في السوق وأخد نصيبي.
ـ هههههههههههههههههههههه
ـ بتضحك على ايه؟

ـ أنت بتعالج الخطأ بخطأ!
ـ لأ، دا اسمه تخليص حقوق.
ـ سمى زي ما أنت عاوز تسمي براحتك، الكل سيحاسب، ولا أحد سيحاسب مكان الآخر.
ـ يا عم أنا بصلح اللي الراجل دا بيعمله.
ـ أنت كمان بتبرر! وأنت بقى مبسوط من كده؟!
ـ آخر انبساط!
ـ بس حياتك كلها غدر وخيانة.
ـ مش مهم، المهم إني أعيش وأنا مش مهموم زيك.
ـ هتعيش، بس لسويعات قلائل.
العرق يخترق جلدي ويخرج، صار لا يحتمل، يخرج وكأنه يهرب من كلب أمني، الاختناق يستحوذ عليَ، الغضب بدأ يظهر على وجهي.
كنت سعيدًا لأنني سأحصل على صديق جديد في حياتي ـ لكني رجعت خائب اليدين!، هل هذا سيناريو يُحكى ليَ، وسيعرض قريبًا، أم هذا حقيقي؟!
ولماذا هذا ليس حقيقي؟! فلم يكن في حسباني أن والدي سيفارقني قريبًا، وكان كل هذا في مخيلتي، ثم انقضى عمره فجأة، وكان هذا حقيقي!، يبدو أن الأشياء المؤلمة هي الحقيقة، وأن الأشياء السعيدة هي الوهم والخيال، كالحياة والموت.
فالموت هو الحقيقة، والحياة هي الخيال.
فمن الآن لا بد أن أستوعب أي شيء سيحدث على هذه الأرض، ما هو إلا حقيقي.

الموظف

من منا لا يحلم بالوظيفة؟!
من منا لا يحلم أن يأتي إلى العمل ويعلم أنه سيأخذ راتبه، حتى وإن كان عمله لا يتناسب مع راتبه؟!
من منا لا يحلم أن يصير موظفًا للقب سيحصل عليه، وشرف يفتخر به أمام الجميع؟!
من منا لا يحلم أن يعمل موظفًا لأجل أن يكتسب من وراء تلك المهنة؟!
أتخبط في حياتي، اعوجاج ثم اعوجاج، استقامة لا، استقامتي كانت تتمثل في الجامعة إلى المسجد إلى البيت، والآن أريد أن أكون أعوج الخطى.
ـ سلام عليكم.
ـ عليكم السلام.
ـ ازيك يا متر، عامل ايه؟
ـ تمام الحمد لله.
ـ احنا عاوزين نخلص بقى من حكاية المعاش دا بقى.
ـ دلوقتي يا معلم تيجي معايا.
ـ أنا مستنيك قدام البيت أهوه.
ـ دقيقة وأجيلك.
ـ ماشي.
دقيقة واحدة، أي بمعنى أصح ـ نصف ساعة، ساعة، ساعتين، يوم، يومين، أسبوع، شهر، سنة، عمر.
ـ ياللا يا معلم.
ـ هي دي الدقيقة؟!
ـ يا عم الشعب المصري كله كده!
ـ ياللا يا متر.
ـ ياللا معلم.

أهذا كابوس؟ أأنا أحلم حقًا؟، بالأمس القريب كنت أستعد لاستقبال خروجه من المستشفى، ثم الآن أستعد لاستقبال معاشه.
لو كان للجنون حد، لكنت كسرته!، لم أعد كما أنا، لم تعد الدنيا كما هي، وكذلك الناس، لم تعد الناس هي الناس.
يجب أن أتعايش مع الواقع،
يجب أن لا أظهر أنني ضعيف،
يجب أن أظهر أن وفاة والدي لم ولن تكسرني،
يجب أن أكون قويًا متماسكًا،
يجب أن أكون، ولكن كيف؟!

ـ أنت سرحان في ايه يا معلم؟
ـ ها!
ـ ها ايه، بقولك سرحان في إيه؟!
ـ مفيش!
ـ هو احنا لسه هنستنى كتير؟
ـ مش عارف!
ـ فيه ناس كتير جم بعدينا ودخلوا وخلصوا!
ـ دول دفعوا رشة!
ـ يعنى ايه رشة؟!
ـ يعني دفع رشوة يا معلم.
ـ أنا مش دافع ولا شلن، مش استخسار لكن دي عقوبتها صعبة، وأنا بخاف من ربنا!
ـ خلاص هنفضل طول اليوم كده وهيقعد يخلينا نلف حوالين نفسنا وفي الآخر برضو مش هيختم!
ـ يعنى إيه؟!
ـ أنا تعبت، أنا هدفعها من جيبي!
ـ أنت حر!

أهكذا تُسير الأمور، علشان تعدي لازم تدفع، داحنا بقينا حاجة تانية خالص عما كنا! دا احنا مسبناش حاجة لإبليس يعملها، دا احنا وصلنا لمرحلة، هي فين المرحلة؟! احنا بعد كده هنعطي كورسات تعليم للشياطين، علشان التلميذ تفوق على المدرس.

ـ خلاص يا معلم الدنيا اتفكت، وفي أقل من دقيقة!
ـ عملت إيه؟
ـ دفعت رشة!
ـ كام؟
ـ ٥# جنيه.
ـ ليه كده؟
ـ يا عم دا كده حلو أوي، دا أنا أول ما دخلت قال لي خير؟ قلت له كله خير، قال لي ربنا يحضر لك الخير على طول، قلت له أنا عاوز أشرب شاي، قال لي طب رش رشة!
ـ يعني ايه رش رشة دي؟!
ـ أنت متحسسنيش إنك أجنبي! يعنى متعرفش كل الكلام دا خالص، أمال عايش ازاي في مصر؟!
ـ يا متر أنا أبويا مكنش بيخليني أروح حتة إلا لما يكون عارف، وبعد كده يقولي أروح ولا لأ، وكان هو بيقول لي متصاحبش دا ودا، وكان باعدني عن القرف دا!
ـ عشان كده أنت خام، ومتقوليش خام يعني ايه؟!
ـ طب كمل.
ـ رش رشة، يعني اعطي رشوة على كل الموظفين اللي قاعدين في المكتب
ـ دا أنت كنت هتروح مشي على كده!
ـ متخافش قلت له أنا ممعيش إلا ٥# جنيه هتاخدها ولا لأ!
ـ وخدها؟
ـ طبعًا يا بني، دا لو خد من كل واحد بس في اليوم ١# جنيه ممكن يجمع ٢### جنيه في اليوم، واضرب في ٢٢ يوم يعني هيعمل مبلغ أحسن من الوزير!
ـ طب والمدير يعرف؟

ـ ما أنا لو كنت دخلت للمدير كنت دفعت ١## جنيه.
ـ أنت بتتكلم بجد؟!
ـ يا بني الدنيا ماشية كده، والمدير ليه نسبة، وماشية معاهم زي الفل!
ـ أنا عاوز أروح، ومش هحاسبك على الرشوة دي يا متر، هحاسبك بس على أتعابك!
ـ ماشي يا عم، مقولتش حاجة!
ـ أحلى حاجة فيك إنك لسه متخرج وشباب وفاهم الدنيا يا متر!
ـ وأنت أسوأ حاجة فيك إنك منعزل!
ـ فعلًا أنا منعزل!.....
ـ لما الورق يخلص ابقى كلمني؟
ـ حاضر يا منعزل.

شعار المرحلة، هتدفع هتلاقي!
اليوم انتهينا، الرشوة أصبحت أسلوب حياة، رشوة مادية، رشوة جنسية، رشوة شفهية، رشوة صمتية، رشوة في كل شيء، أصبحت الرشوة أسلوب حياة.
هدية، عطية، كلها أسماء لتغيير الفكر الموجود بداخلنا أنها ليست حرام وعيب، فلتأتي المسميات جميعها، وإن قالوا حسن أسلوب، ولو قالوا احترام وتقدير، فستبقى رشوة كما هي، مهما تغيرت المفاهيم لن يتغير المضمون، ولن تتغير العقوبة.

السواق

هذه الدنيا ما هي إلا عبارة عن مطية، مطية تذهب بك إلى أفراح، مطية تذهب بك إلى أحزان، مطية تذهب بك إلى نعيم، مطية تذهب بك إلى جحيم، مطية تذهب بك إلى سعادة، مطية تذهب بك إلى تعاسة، مطية تذهب بك إلى حياة، مطية تذهب بك إلى وفاة.

ومطيتي الآن، لا أعرف إلى أين متجهة!، ربما نعيم، جحيم، أفراح، أحزان، سعادة، تعاسة، حياة، وفاة، ولكن لا أعرف!، الجميع يسير بالمطية، البالغ والقاصر، الرفيع والثمين، الصغير والكبير، الرجل والمرأة، ولذلك قررت أن أساق بدلًا من أن أسوق، نسوق المطية وتذهب بنا إلى ما لا نشتهي، كما قال أبو الطيب المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ

تأتي الرياح بما لا تشتهي السفنُ

الآن لا بد وأن أختلف عن الناس جميعًا، التجربة شيء عظيم، وكل نجاح حدث اليوم كان بالأمس فكرة، ثم أصبح اعتقاد، ثم أصبح تجربة، ثم أصبح حقيقة.

دائمًا ما أبحث عن الاختلاف، منذ نعومة أظافري وأنا أبحث عن الاختلاف، عندما كان يتحدث المدرس عن النجاح والفشل، كنت أظن أن الفشل هو شعاري، ودائمًا ما أميل إلى الأشياء السيئة، كالتحايل بالسرقات، وتشغيل العقل في المحرمات، لكن الأمر لم يكن جيدًا كما كنت أتوقع، ولذلك قررت ثانية أن أختلف ثانية، لا في البديهيات والدين، ولكن في المعلومات وأعماق الفكر.

تعبت من التفكير، تعبت من السير، لا بد أن أتوقف عن التفكير وأتوقف عن السير ولو لدقائق محدودة.

ـ الإستاد؟

ـ اركب.

ـ اتفضل.

ـ ايه دا يا أستاذ؟!

ـ ايه، جنيه وربع!
ـ ايه دا؟! أنا عاوز جنيه ونص.
ـ ليه بقى يا روح قلبي؟!
ـ ايه يا أستاذ؟! أنت مش عايش في مصر ولا ايه؟!
ـ لأ كنت عايش فيها، بس رجعت أوروبا.
ـ يا أستاذ أنا عاوز جنيه ونص.
ـ أنت مش أجرتك الرسمية جنيه وربع بس؟
ـ اشمعنا مش بتتشطروا إلا علينا بس وسايبين الدكاترة والبياعين والتجار؟!
ـ أنا مليش دعوة بحد!
ـ الأسعار غلت يا أستاذ، نعمل ايه، نسرق؟!
ـ لأ متسرقش عشان دا حرام، اسرقنا احنا، دا احنا هنستحملك وهنشكرك يا جدع!
ـ طب هات بقى ربع كمان.
ـ خد يا عم نص بحاله، ونزلني عند أول كمين.
ـ ولا هيعملك حاجة.
ـ ما أنا عارف.
ـ عارف ايه؟
ـ عارف إنه مش هيعمل حاجة، لأنه بيقبض منكم شهريًا.
ـ طب والله يا أستاذ بيقبض أسبوعيًا، واحنا ورانا مصاريف عيال وبيت.
ـ وحشيش ومخدرات وبيرة.
ـ أنت جيتلي منين يا أستاذ؟!
ـ من عند المحافظة، نزلني بقى هنا.
ـ بس مش دا الإستاد!
ـ منا عارف، هكمل مشي.
ـ انزل.

ظل، وسيظل يرفع الأجرة، حتى يصل إلى ما يريد، لأجل تلبية رغباته وشهواته من المسكرات والمخدرات، ولوازم البيت، ورجل المرور، وتأمين مستقبل أولاده، في

مجتمع لا يعرف كلمة مستقبل، لكن الأمل يحذونا ويحذو كل واحد منا، سيكون هناك مستقبل رغم أنف كل حاقد وكل حاسد وكل جاحد، ولكن كيف؟!
عاجلًا أو آجلًا سيأتي هذا المستقبل، ويكشف عن غطائه، ونراه بأعيننا التي ضاقت من كثرة ما رأت، ولكني صرت أخاف أن يأتي، وحينها أكون فاقدًا للبصر، أو وافتني المنية.

الفلاح

دائمًا ما نبحث عن الحياة بعيدًا، ولا ندرك أنها تحت أقدامنا، نريد أن نصل إلى أعلى القمم، وبمفهومنا أن أعلى القمم هي الابتعاد عن ما نعيشه، والوصول إلى المسافات البعيدة للوصول إلى القمم، ولا ندرك أن الصعود إلى القمم يتطلب إدراك فقط، لا مشقة وتعب.

ونسيناك وبعدنا عنكِ أيتها الطينة التي خلقنا منك، وسنعود إليك، وسندفن فيك.

نسيناك مع أنك أنتِ المأوى والحضن والأم والحياة، فبدونك لا أخضر ولا حياة، فبدونك تصبح الحياة ملساء، شديدة اللهجة علينا، وعلى كل كائن حي.

وكيف تأتي الحياة ونحن لكِ هاجرين؟!

لا أعرف كيف يتبادلون بك من بيع وشراء، لأجل حفنة من المال الفقير!

هل الأناس نسوا أمرك؟!

هل الأناس تخلفوا عنك لأنكِ تبدين كما يجب أن تبدي؟

وإذا كنتِ هكذا لا تتزينين لبعضهم، فلماذا يراك البعض بأنكِ أجمل من عروس العرس؟!

نحن من نجعلك متزينة، ونحن من نجعلك قبيحة وتظهري أنيابك لنا.

ولكني اليوم آتٍ إليكِ لتسامحيني وتغفري ليَ، وتتجاوزي عن تقصيري اتجاهك، وأرجو يد العون منكِ، فأنتِ الكرم والمروءة والصبر، فأنتِ العطاء عندما يُضرِب الجميع عن العمل، فأنتِ الصابرة المحتسبة عندما يشتد العطش والجفاف، ومع ذلك لا تقبلي بالبوار وتُسلمينا للهلاك والضياع، ومع ذلك عند أول نقطة ماء، تكونين أول من يسعى لجلب الرزق، ولإشباعنا بخيراتك التي لا حصر لها.

فأنتِ الحب والأمل والعمل والصبر والكرم والمرونة والمروءة والشجاعة والحياة.

اقترب موعد الحصاد، موعد حصاد الأرز، لا بد وأن أذهب لأرى كيف يعملون العمال داخل الأراضي، وللاطمئنان على نصيب عائلتي من أرضنا التي تم إبرام عقدها بالإيجار لمدة سنة.

سأذهب إلى عمي " سيد " للحصول على نصيبنا من محصول الأرز.
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام.
ـ ازيك يا عم سيد، عامل ايه؟
ـ الحمد لله، عامل ايه يا أستاذ محمد؟
ـ الحمد لله تمام.
ـ جيت ليه وتعبت نفسك؟!
ـ أنا كنت جاي عشان أشم شوية هوا.
ـ طب تعالا عشان تشوف حقك من الرز.
ـ كام شكارة يا عم سيد؟
ـ ٦ شكاير.
ـ بس؟!
ـ أيوه يا أستاذ محمد.
ـ طب سؤال يا عم سيد؟
ـ خير يا أستاذ محمد؟!
ـ خير إن شاء الله ـ بقولك متعرفش أبيع الرز دا بكام؟
ـ لأ متبعش دلوقتي، وبعدين دول ٦ شكاير بس ومش هيكفوك في السنة.
ـ ما أنا فاهم، وعاوز أبيع عشان أشتري رز من العريض.
ـ طب استنى شوية، يعنى مثلًا ٤ شهور، يكون سعره جالك الضعف.
ـ بس دا حرام.
ـ حرام ازاي يا بني؟! ما الناس كلها بتعمل كده!
ـ هو عشان الناس كلها بتعمل كده أعمل زيهم!
ـ أنا قلت لك اللي عندي يا بني وأنت حر.
ـ بس احنا كده متحكمين في نعمة، وغيرنا مش لاقيها، يعنى مثلًا الموظفين واللي مش عندهم أرض يعملوا ايه، يموتوا؟!
ـ عاوز تبيع يا بني روح بيع، والتجار هيستغلوك!، وبعدين الحكومة مش بترضى تشتريه مننا ب ٢٨##، وبيروحوا يجيبوه من بره ب ٤###، ويتباع ب ٩ و١#.

ـ طب الحكومة كانت عاوزاه بكام؟
ـ ب ٢٤##.
ـ يعنى جات على ٤## جنيه، دول استوردوه دلوقتي بمرة ونص، وطبعًا الرز بتاعهم مش زي بتاعنا؟
ـ عرفت إننا عندنا حق يا بني!
ـ كلكم مذنبون!، طب والقش دا هتعمل فيه ايه يا عم سيد؟
ـ هحرقه وأجرفه في الأرض.
ـ وتخنق الناس والحيوانات والنباتات صح؟!
ـ ما الناس كلها بتعمل كده، أنت مالك يا أستاذ محمد؟!
ـ مفيش، أصل قررت إني أعيش إنسان، وغير كده فيه ناس مريضة بتتخنق من دخان القش وأنا واحد منهم وعندي حساسية على صدري بسبب القرف دا، وبحس وقتها إن روحي بتتسحب مني، وازاي الحكومة سايباكم؟!
ـ هما كل شوية يبعتولنا موظف، ويقول هنعمل شكوى، وهتدفعوا غرامة مالية، وبنروح متفقين معاه على طن رز بنص سعره، فبيقوم ساكت ويجيلنا كل يوم يشرب شاي معانا.
ـ ورشوة كمان؟!
ـ مش أحسن ما يعطيلنا مخالفة، ويحصل مشاكل، وهو بيستفيد واحنا بنستفيد.
ـ أنا حاسس إني مكنتش عايش!
ـ يا أستاذ محمد طنش وسيبك أنت، الكل بياكل في بعضه، طب ما أنا دافع عند الدكتور ١٢# جنيه كشف، وجايب علاج ب ٣## جنيه، وبنصرف في السوق ١٥# جنيه من غير فاكهة ولا حتى لحمة ولا فراخ!
ـ ما هو لو كل واحد قال الناس كلها بتغلي السعر اشمعنا أنا، هنوصل لمرحلة حيوانية، والكل هياكُل في بعضه، أما لو احنا اتقينا ربنا وجينا على نفسنا شوية، مكنش حصل اللي حصل!
ـ سلام عليكم يا أستاذ محمد!
ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
أهذه الأرض التي اشتقت لها وقلت أنها تعم بالخير على الجميع، وتسعى لجلب

الخيرات لنا؟!
نعم إنها الأرض، لم تتغير ولن تتوقف عن العطاء، ولكن الذين استخدموها هم الذين أساؤوا استخدامها، وجعلوها في قاع القاع.
ما الذي جعل الفلاحين يتحولون هكذا؟! كنت في المدرسة أسمع أن أهل الريف أهل أصالة وكرم وفضل وأصل وعطاء، ما الذي تغير؟! هل دافع المعيشة هو الذي دفعهم إلى ارتكاب الخطايا؟!
هل الحياة فعلًا تقسو عليهم، أم هم الذين جعلوا الحياة تقسو عليهم؟!
أيا قلبي لا تمطر بالدموع الآن، لدينا مشوار طويل، ونحن الآن في البداية، فلتصبر ولتتمالك، ولتقتل نفسك لكي لا تبكي، لآن الآتي ربما يكون أسوأ، ولتوفر دموعك الآن، حتى تفيض بها مرة واحدة، ولكي تكون جيشًا من الفيضان، لتحطيم كل ما يقف في طريقك، ولكن ليس الآن، بل اصبر حتى نهاية المطاف، للهجوم بكل ما أوتيت من قوة.
التاجر
التجارة مكسب وخسارة.
ولعب وجد وغمزة صنارة.
وصدق وكذب وهدوء وشرارة.
التجارة، الطريق الذي يفتح لنا بابه على مصراعيه عندما تقفل كل أبواب العمل، عندما نرفض من طب وهندسة وعلوم وسياسة واقتصاد وإعلام وتربية وجميع الوظائف.
فعندما نختنق نذهب إليها بدون شك أنها ستقفل بابها في وجوهنا كما فعل الجميع.
فهي تحتضن الجميع بدون تفرقة عنصرية، لا يوجد فيها عربي فقط ـ والأعجمي لا، بل تحتضن العربي والأعجمي، الأبيض والأسود، القصير والطويل، العظيم والحقير، الصغير والكبير.
لا تعترف بالشهادات كاعترافها بالمال، فالوسيلة الأساسية والطريق التي تسير عليه هو المال، فهو عصب الحياة، وبدونه لا تجارة، لا حضارة، لا ثقافة، لا علم، لا إبداع، لا حياة.

مهنة الحياة، عندما يحصل الطبيب على المال يذهب به ويتاجر به، احتياطًا لغدر الزمن، وربما يخسر وظيفته، أو ربما يفقد صنعته، ومع ذلك فهي ربح آخر ودخل آخر، مع التحفظ على كلمة ربح آخر.
والمهندس والمعلم واللاعب وكل الأسماء، إنهم لا يبتغون أوسمة من الشرف، ولا شهرة، ولا صيت، ولكنهم بحاجة للمال، ولكن الضربة في التجارة إما أن ترفعك إلى السموات السبع، أو تجعلك في أسفل السافلين مع الأراضين السبع.
ولكني لا أريد أن أتاجر الآن، أريد أن أخذ حصتي من المال، والمبادلة مع تاجر ما ـ أن يأخذ نصيبي من الأرز، بينما أنا أحصل على المال.
أيها المال الحقير، أنت العائق أمامي، كيف أتاجر ولا يوجد لدي مال؟!
نعم سأتاجر بأفكاري، الجميع يتاجر بشيئين:
إما المال، وإما العمل.
ولكني سأكسر هذه القاعدة من اليوم، أو لا أكسرها كما أعتقد، وإن لم تكسر فسأضيف لها شيئًا آخر يدعى: التجارة بالأفكار.
لا يوجد أحد قريب من منزلي إلا هذا التاجر، أنا لم أحتك به ولا مرة في حياتي، كان دائمًا أبي هو الذي يقوم بعملية المبادلة، ولم يعلمني كيف تتم، وكيف أحصل على حق بدون أن نلجأ إلى الخبائث.
هل سأعمل بالصدق والأمانة كما أحب أن أُعَامل، أم سيكون الغدر والكذب هما عنوان الصفقة؟! لا أعرف ولكن اليوم هو يوم الكتب التي قرأتها، والشخصيات التي تعلمتها، وكيف التعامل مع جميع الشخصيات؟
هل سيكون درس اليوم عملي، أم نظري كالعادة، وأثرثر كما أثرثر دائمًا؟!
سأخوض هذه التجربة بدون مساعدة أحد، بدون الاعتماد على أحد، إلا على الله سبحانه وتعالى، فهو حسبي ونعم الوكيل، ودائمًا ما يوفقني إلى كل خير.
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام.
ـ عم سعيد، كنت عاوز أبيع لك ربع طن رز.
ـ ماشي، طب هو فين الربع طن.
ـ عندي في البيت.

ـ طب روح هاته وتعالا.
ـ مش لما نتفق الأول!
ـ على ايه؟
ـ على السعر.
ـ أنا بشتري الطن ٢٤##، يعني الربع ب ٦## جنيه، قولت ايه؟
ـ ٦## جنيه في السنة، ازاي يا عم شكري، دا الدنيا ولعت؟! أنت عاوز تحاسبني على القديم ولا ايه؟ وغير كده الكيماوي زاد الضعف!
ـ طب أنت عاوز كام؟
ـ أنا عاوز الحق.
ـ خلاص، همشيلك الربع ب ٨## مع إني كده خسران.
ـ لو أنت خسران مش هتبيع كده يا عم شكري! وهو أنت هتبيع الطن ب ٣٢##؟!
ـ طبعًا لأ، بس هكسب مكسب ضعيف جدًا.
ـ كام يا عم شكري؟
ـ هبيعه على ٤###
ـ ايه! ٤###، ليه؟!
ـ ايه ايه يا أستاذ محمد!، التجار كلهم ماشيين كده، ولسه فيه ناس عاوزه تكسب، ومشي أمورك أحسن ما تيجي بكره تلاقيه بسعر تاني!
ـ أنا مليش دعوة بالتجار، أنا دلوقتي بتكلم معاك، هتشتري بكام؟
ـ عشان خاطرك ب ٨٥#.
ـ وعشان أحمد ومنى وابتسام وخالد؟!
ـ مين دول؟!
ـ لأ مفيش يا عم شكري!، قول كلمة تانية.
ـ أنا قولت اللي عندي، وروح شوف لك تاجر تاني.
ـ يا عم شكري، أنا كنت ممكن أروح لتاجر تاني وأخد بسعر أعلى من دا ـ بس أنا مرضتش، عشان أبويا كان بيتعامل معاك، وكان على طول بيشكر فيك، وبيقولي عمك شكري دا راجل محترم ومصدر ثقة.
ـ الله يرحم أبوك، كان راجل طيب.

ـ ويرحمنا جميعًا.
ـ يا رب.
ـ ماشي، قولت ايه؟
ـ في ايه؟!
ـ في الربع طن بتاعي.
ـ ٨٥#، عشان أنت ابن راجل محترم.
ـ متمشيش ب ٩##؟
ـ حرام عليك يا أستاذ محمد!، أنت كده بتيجي عليَ، وجاية عليَ بخسارة، وأنا كارمك آخر كرم عشان أنت راجل محترم زي أبوك، مع إني مكنتش ببيع لأبوك بالسعر دا أبدًا.
ـ ما أنا عارف، وغير كل اللي بيشتروا منك، كلهم محترمين، سواء محترمين بأخلاقهم أو محترمين بموافقتهم.
ـ مش فاهم تقصد ايه يا أستاذ محمد؟!
ـ لأ مفيش حاجة يا عم حامد، أنا موافق على ٨٥#.
ـ صدقني دا ليك أنت بس، عشان أنت محترم وابن راجل محترم.
قلت وما زلت أقول:
إنها تجارة،
مكسب وخسارة،
أعلم أنه لم يرفع السعر لأجلي ولا لأجل والدي، ولكنها السياسة القذرة التي يعتمد عليها التجار والباعة، خفض السعر ثم رفعه قليلًا مع الزبون، لينمي داخل الزبون: أن هذا التاجر أو البائع يمتلك الكرم والمرونة، ولكن على حساب من؟! فإنه يمتلك الغدر والكذب والخداع، لم أرَ أحدًا إلى الآن صادق في التجارة، وأعلم أن هذا التاجر لا يبيع بهذا السعر، بل سيبيع بالضعف، وإلا، لم يكن ثمن كيلو الأرز ب ٩ و ١# جنيهات، ولكن هذا السوق:
كسوق الكلاب، جميعهم على قلب رجل واحد، لا أحد يتخطى هذا السوق وإلا سيكون في سوق آخر، ألا وهو القبر.
يضعون اليوم سعرًا، وبعد ذلك سعرًا، وبعد بعد ذلك سعرًا آخر، هل هذا جنون؟!

نعم جنون، جنون المعيشة، جنون الأطماع، جنون الشهوات، جنون الحياة.
صاحب الملاليم يريد أن يصبح صاحب ملايين، وصاحب الملايين يريد أن يصبح صاحب مليارات، وصاحب المليارات يريد أن يصبح صاحب بلايين، وهذا يسرق من هذا، وهذا يسرق من هذا، ولكن السؤال: على حساب من؟
على حساب الفقراء والمساكين، ترتفع طبقة، والأخرى مدفونة، إنه الجشع، وأصبح العالم يتسم بالجنون.

البائع

العمل طالما أنه بعيدًا عن الحرام فهو ليس عيبًا، ولكن العيب أن يظل الإنسان بلا عمل، والعمل في حد ذاته شيء جميل، ربما لم تسنح الفرصة لكثير من الناس أن يعملوا ولو عمال نظافة لسد فيضان غلو الأسعار وللتعايش بعزة.

ومع ذلك بعض الشباب يرفضون العمل، إلا أن يكون ملائم لشهادتهم، وملائم لمكانتهم في المجتمع، ويظنون أن الإنسان العامل بالمطاعم أو محلات الملابس وغيرها، إنسان لا وزن له في الحياة.

بل العكس، فإنه أكثر وزنًا من الإمعة الذي يرفض العمل، ويعيش عالة على والديه، أو ولي أمره.

نوح- عليه السلام- كان يعمل نجارًا،

يعقوب -عليه السلام- كان يرعى الغنم،

إدريس -عليه السلام- كان يعمل خياطًا،

موسى -عليه السلام- عمل برعي الغنم عشر سنين،

أشرف خلق الله محمد -صلى الله عليه وسلم- كان يرعى الغنم في صغر سنه، ثم عمل في شبابه بالتجارة.

سأذهب لأبحث عن عمل، يوافق رغباتي أو لا يوافقها، لا يهم، المهم أن يوافقني أنا، أنا لا أعمل لأجل، أنا أعمل لأجل نفسي والحصول على نفسي، وعدم تسليمها للفراغ والضياع، والشعور بأني أمتلك شيئًا من المسؤولية، خير من أن آخذ شيئًا لا يجعلني أشعر بالمسؤولية.

سأبحث في كل مكان حتى أحصل على وظيفة عمل، حتى أرتدي ثياب العزة والكرامة، حتى لا أكون عالة على أحد.

" مطلوب آنسة للعمل، بخبرة أو بدون خبرة، وبمرتب مجزي".

" مطلوب آنسة للعمل".

" مطلوب آنسة للعمل، تجيد الكلام".

" مطلوب آنسة للعمل".
" مطلوب آنسة للعمل".
" مطلوب آنسة للعمل".
لقد تعبت، أبحث ل ٦ ساعات وكل اللافتات: "مطلوب آنسة للعمل". وماذا عن الشباب؟! هل ماتوا بالحرب كما يقولون؟! أين الشباب؟! هل أنا أحلم؟!
كل اللافتات والشعارات "آنسة" فلتضحك أيها القلب الحزين من هول هذا الأمر، ومن سذاجة أصحاب العمل، الذين نسوا معنى كلمة شباب.
وبدون خبرة أو بخبرة، لا تقلق يا عزيزي فهن يمتلكن خبرة أكثر من أي أحد، إن كيدهن عظيم، لذلك يوظفن، لمداعبة الزبائن، ولزيادة الأرباح، مع تفشي عادة الانحطاط والانحدار الأخلاقي، وغير ذلك هن عانسات.
ماذا لو حدث ووقف كل شاب في نطاق عمل بدلًا من امرأة تعمل في هذا النطاق؟
أليس الشباب يعملون لبناء بيت؟
أليس الشباب يعملون للزواج بالعوانس؟
أليس عجيبًا أن يكون للمرأة وظيفة شاغرة وبمرتب مجزي، وللرجل بطالة وخيبة أمل؟!
أختنق من الجهل والتخلف، أختنق من الدونية والانحدار الأخلاقي، أختنق من الاستسلام للشهوات، أختنق من قراءة اللافتات المحبطة لجيل الشباب، أختنق مما أختنق.
لن أيئس، لن أحبط، لن أجزع، لن أفشل، لن أرجع بدون عمل.
فلتنتفض أيها الجسد الكسول، ولتكويني أيها الحماس، ولتحركني أيها الطموح، ولتصبرني وتحفزني أيها الحلم.
" مطلوب شباب للعمل، مع حسن المظهر والمنظر".
" مطلوب شباب للعمل، مع حسن المظهر".
" مطلوب شباب للعمل، مع حسن المنظر".
سأضحك على هذا التخلف، ولكن لا مجال للضحك الآن، الوقت يداهمني، الوقت ينتحر، الحلم يضيع.
ـ السلام عليكم.

ـ وعليكم!
ـ حضرتك أنا قرأت على ورقة إنكم عاوزين شباب للعمل؟
ـ أيوه، بس عاوزين حسن المنظر والمظهر.
ـ تمام، بس كده؟!
ـ أيوه.
ـ ممكن أسأل حضرتك سؤال؟
ـ اتفضل.
ـ لو أنت رايح تشتغل في شركة ما، والشركة دي عاوزه فن الاتصال، وفن الخطابة، وفن الإلقاء، وفن التأثير، وعمل على درجة عالية من الكفاءة، وشهادات، وحسن المظهر والمنظر، وطول القامة، وحضرتك تتمتع بكل الصفات دي إلا واحدة، عدم التمتع بطول القامة، وفي الوقت دا أنت أهل للوظيفة دي وأحسن من كل الموظفين، وهما رفضوك عشان لا تتمتع بطول القامة، ودا ملكش دخل فيه، دي حكمة ربنا سبحانه وتعالى، قل لي بقى ايه شعورك في الوقت دا؟!
ـ طبعًا هبقى مخنوق!
ـ بالظبط كده، لما كل اللي كان عاوز يشتغل هنا كان فيهم معظم المواصفات، بس فيهم الأسود والقصير، ودا لا دخل فيه، بس هي حكمة ربنا عز وجل.
ـ بس أنا عاوز كده عشان الزبون.
ـ دلوقتي مش وارد يجيلك واحد حسن المنظر والمظهر، ولكنه سيء السلوك والتعامل، وهيخلي الزباين تنفر من المحل؟!
ـ طبعًا وارد.
ـ طب دلوقتي تاخد واحد يعرف يجيب لك زبون، وزبون يجيب زبون، ولا تاخد واحد حسن المنظر والمظهر وهيخلي الزباين تنفر من المحل واحد ورا واحد؟!
ـ لأ أختار اللي هيجيبلي زبون، والزبون يجيب زبون.
ـ تعرف إن الزبون اللي بيغضب ويطلع مش راضي من المحل دا اسمه إيه؟
ـ لأ.
ـ دا في علم التسويق اللي أخدته في الدراسة، دا اسمه قنبلة موقوتة، وعلميًا إن الزبون الغاضب بيأثر على ١٣ واحد بأفكاره، وبيخليهم ميجوش المحل دا ويشتم

فيه، والناس طبعًا بتصدق لأن فيه واحد جرب، وبدل ما الناس تخسر مصاريف ووقت، بيحسبوها صح.
ـ بجد؟!
ـ دا اللي أخدته، وفعلًا أنا شوفت دا قدامي من صحابي وقعدوا يشتموا في أصحاب محلات، وأصحابي التانيين معدوش بيروحوا المحلات عشان سمعوا بس، ولو مش مصدق ممكن نجرب لو تحب.
ـ لأ، أحب إيه! هو فيه حد بيحب الخسارة؟!
ـ أيوه فيه ناس بتحب الخسارة.
ـ مين المتخلفين دول؟!
ـ كل اللي كاتبين: "مطلوب شباب للعمل، مع حسن المنظر والمظهر".
ـ طب أنت بتعرف تتعامل مع الزباين ولا لأ؟
ـ جربني.
ـ طب دلوقتي أنا داخل المحل وعاوز أشتري، ومحتار ومش عارف أشترى حاجة، ايه اللي ممكن تقدمه ليَ؟
ـ اتفضل يا فندم، في حاجة عجبت حضرتك يا فندم؟
ـ لأ.
ـ ازاي يافندم؟!، دا حنا نغير كل الملابس اللي هنا ونروح نستورد من تاني ونجيب أفضل حاجة لحضرتك، عشان تعجب حضرتك يا فندم!
ـ مش عارف أقولك ايه!
ـ طب ممكن أساعد حضرتك يا فندم، دا لو حضرتك سمحت بكده؟
ـ أه ممكن، بس حاجة على زوقك.
ـ تمام يا فندم، بس حضرتك تحب كلاسيك ولا كاجوال ولا ميكس؟
ـ كلاسيك.
ـ تمام يا فندم، ايه رأيك يا فندم في الطقم دا؟، ولو الطقم مش مناسب لحضرتك ممكن أجيب لك كل الكلاسيك اللي هنا؟، والمحل محلك يا فندم، أهم حاجة بضاعتنا تعجب حضرتك، وأهم حاجة تطلع مبسوط يا فندم، ولو حضرتك طلعت مبسوط، هنكون في غاية السعادة!

ـ هتاخد ١٢## في الشهر.
ـ على النسبة اللي حضرتك بتكسبها كل شهر؟!
ـ مش فاهم قصدك ايه!
ـ يعني قصدي حضرتك عاوز تعطيني في الشهر ١٢##، ويجيلك أرباح بتاعت كل شهر نفسها ولا ايه؟!
ـ فهمتك! وكل ما الأرباح هتزيد هزودك، وأنت وشطارتك.
ـ شكرًا يا فندم، استأذن أنا بقى وأجي لحضرتك بكره.
ـ اتفضل، بس تيجي من الساعة ١١ صباحًا ل ١# مساءً.
ـ تمام، ماشي شكرًا يا فندم، السلام عليكم.
ـ العفو، وعليكم السلام.
هل ستفلح تلك التجربة وتعكس كل التوقعات، أم ستكون كغيرها؟! ربما نعم، ربما لا، ولكني أحب المغامرة، وسأخوض تلك التجربة، وإن لم تنفع فسأستفيد، ليس مالًا، وإنما علمًا وخبرة.
اليوم غير الأيام السابقة، اليوم هو أول راتب ليَ مذ عملت، فأنا قد عملت كثيرًا، اليوم فرحة لا توصف بوصف، ليس لأني سأحصل على المال، ولكني سعيد لأني أخيرًا وصلت إلى هدف كنت أظنه بعيد عني، وأنني لا أجيد العمل، بل لا أجيد الهوان والمذلة مع العمل، ولكن الأمر يختلف الآن، بدون ذل، بدون مهانة، بدون احتقار، بدون خضوع، بدون احتكار، سأحصل على راتبي اليوم.
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، اتفضل يا فندم، ممكن أساعد حضرتك؟
ـ لأ شكرًا، أنت جديد هنا؟
ـ أيوه يا فندم.
ـ الشغل عامل معاك ايه؟
ـ كويس، حضرتك مين؟!
ـ أنا صاحب كل المحلات وخاصة المحل دا اللي أنت شغال فيه، أنت بقالك هنا قد ايه؟!
ـ النهاردة هكمل الشهر بإذن الله.

ـ ماشي، أنت مش لابس اليونيفورم ليه؟!
ـ حضرتك محدش قال لي.
ـ طب مسموح لك لحد أسبوع، ولو مجتش باليونيفورم، اتفضل امشي!
ـ حضرتك هاتلي يونيفورم وأنا معنديش مانع!
ـ ازاي كل الفروع لابسين اليونيفورم وأنت مش لابس اليونيفورم؟!
ـ حضرتك أنا كنت يوم الخميس في الفرع الرئيسي ومكنش حد لابس اليونيفورم!
ـ أنا قولت كلمة وانتهينا، فيها ايه لما تجيب قميص أبيض وبنطلون أسود وجزمة وكرافتة؟
ـ طب حضرتك عاوزني أجيب يونيفورم ب ٧## جنيه، وأنا راتبي ١٢## جنيه، ازاي؟!
ـ فيها ايه لما تجيب ياخويا؟
ـ مش جايب.
ـ يعني ايه مش جايب؟! أنت لو مجتش باليونيفورم أنت مرفود.
ـ مرفود مرفود، ياللا أنا ماشي.
ـ مش لما تكمل اليوم بتاعك؟
ـ مش مكمل اليوم وهمشي.
كل عمال المحل يتدخلون لتهدئتي، لماذا؟! أنا لم أقل شيء خطأ، لم أتلفظ بكلمة خطأ، لماذا الكبرياء؟
الراتب معي الآن، لكنه جاء متعكرًا بهذا المدير المتغطرس، كنت أريدك فقط، كنت لا أريد أن تأتي بضيف معك، لماذا جئت بهذا الضيف؟!، لماذا جئت بفصلي من هذا العمل؟!
يا فرحة ما تمت خدها المدير وغار!
أأغضب كالعادة، أم أضحك؟! ربما الضحك يهون عليَ، لكن الضحك لا يأتي إلا بالشهية، والآن أنا لا أشتهيه، فكيف يأتي وأنا لا أشتهيه؟!
أعلم أن الغضب يطلبني الآن، وأعلم أنه سيمرضني أكثر، لكنني أشتهيه.
وصارت الحياة مال، مال يحركنا، مال يعطلنا، مال يسعدنا، مال يحزننا، مال يكرمنا، مال يحقرنا، مال يوظفنا، مال يطردنا، مال يبقينا، مال ينهينا.
ثمة أوجاع ملتصقة بداخلي لا تريد أن تخرج، لا تريد أن تجعلني أحيا.
أهذه حياة، أم وفاة؟!

الاثنان، كيف؟!
حياة جسدية، ووفاة روحية!
أعلم أنني أسير تحت مسمى الأحياء، ولكنني لست حيًا، لست حيًا بالحياة الذي طالما حلمت بها، أريد من الدنيا أن تأخذني إلى بعيد، إلى أين، لا أدري! ولكني أريد أن تأخذني إلى بعيد، كي أبعد عن سذاجة البشر، وعن الاحتكار، وعن الظلم، وعن كل شيء، حتى وإن كان جيدًا، فأنا أريد أن أهجر هؤلاء البشر الآن.
نبحث عن الراحة ولكننا لا نعرف لها طريقًا، نسير في طريق ونظن أن هذا الطريق هو الطريق المستقيم، الخالي من الاعوجاج، ونكتشف بعد ذلك أن هذا الطريق ليس الطريق الخالي من الاعوجاج، ولكنه ليس الطريق الذي نبحث فيه عن الراحة، لقد أتعبتك أيتها الكلمات، أنت أيضًا تبحثين عن الراحة، فأنا سأمنحك إياها الآن، فلتصمت أيها اللسان، ذهبت الكلمات فيجب عليك أن تستريح أنت أيضًا، ولأستريح أنا أيضًا، بالنوم.
لست أنا المخطئ، أنا لم أخطئ.
يجب أن تعترف بخطأك؟
أي خطأ؟!
أنك لا تتأقلم مع هذا المجتمع الذي تعيش فيه !
ولو كان فاسدًا؟!
فليكن كذلك!
ستفسد حياتي!
وما الجديد؟! فكلنا فاسدون!
أنا غيرهم.
لا، أنت مثلهم.
لكنني أخشى أن أصير مثلهم!
فلتربط على قلبك وتلزم الصمت!
تقصد الخنوع؟!
كما تريد أنت لأجل حياتك.
تبًا لها من حياة إذا كانت تأتي بالمهلكات!
ليست مهلكات، إنما منجيات!

منجيات بماذا؟!
بحياتك!
لا أريدها إذا كانت تأتي بالذل والهوان!
فلتقضِ ما تبقى من عمرك.
سأقضي.
لن تقضي طويلًا، أنت قد اقتربت من أجلك!
وكلنا قريبون، وليس المسن هو القريب، وليس المريض هو القريب. القريب هو الذي خلق وجعل له كتاب.
تخل عن تلك الفلسفة!
أتخلى! ليتك تتخلى عن حبك لتلك الدنيا!
لا،
وأنا كذلك.
أنت لست على حق.
ربما.
بالتأكيد.
لقد أضحكتني.
وعلاما تضحك؟!
إذا كان كل القديم على حق فلماذا تخلفنا؟!
لا أعرف.
أنا أعرف.
تعرف ماذا؟! .. لا شيء.
لقد أتعبتني. وأنت أيضًا.
فلتذهب إلى الجحيم.
سأذهب، وأنت ستذهب إلى أين؟
سأذهب إلى جحيم الدنيا، وأنت؟
إلى جحيم أفكارك.

اللاعب

الرياضة، غذاء للجسم والعقل.
الرياضة، نشاط وعزيمة.
الرياضة، مرونة.
الرياضة، إدراك.
الرياضة، عشق.
الرياضة، حياة.
نبعد ونضل الطريق، إلى المهلكات، مهلكات الجسد والعقل، ألا وهي التخمة!، فبها نصل إلى مرحلة الفيلة، ونتوقف عن السير والعمل والحركة، ويكون شعارنا هو الكسل.
أحبك، بل أعشقك، ولكني لا أستطيع أن أمارسك، ليس اختيارًا، بل إجبارًا، وبالإكراه لا أستطيع.
كنتِ الحضن بالنسبة ليَ، كنتِ حياتي، ولكن قدري جاء غاضبًا، وليته لم يغضب، وبه أنا الآن محروم من أجمل شيء في حياتي بعد عبادة الله، إذا كان اختيار الناس الزواج أو المال أو الشهرة لتلبية رغباتهم وشهواتهم، فرغبتي وشهوتي تتمثل في الرياضة فقط.
لا أريد أن أكون كهذا، لا أريد أن أكون عاجزًا، كالذي يريد الطعام وهو لا يمتلك ثمن الطعام.
لا أحتمل أن أظل هكذا، لا أحتمل، لا بد وأن أذهب للملعب، سيهون عليَ الكثير من العناء والمشقة والألم، أعلم أنني لا أستطيع اللعب، ولكني سأكون سعيدًا وأنا أشاهد اللاعبون يلعبون أمام عيني.
نعم سأستمتع بهذه التجربة، ولكنها ستصحب معها الغيرة والحسرة، لأني اليوم أصبحت عاجزًا عن ممارسة الرياضة، والجميع يمارسونها بسرور.
لست أندب حظي، أنا دائمًا راضٍ يا رب، أنا أسير في حياتي الصماء بهذا الحديث

الشريف، الأكثر من رائع، الذي ضبط ليَ نفسي الأمارة بالسوء :
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
"عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له". رواه مسلم.
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام، عامل ايه يا دوله؟
ـ الحمد لله.
ـ رجلك أخبارها ايه دلوقتي؟
ـ الحمد لله.
ـ إن شاء الله خير متقلقش.
ـ من ايه؟!
ـ من رجلك.
ـ الحمد لله، أنت بتلعب فين دلوقتي؟
ـ في المنصورة.
ـ بس أنا شايفك لابس!
ـ جاي ألعب شوية مع أصحابي.
ـ يا بني أنت بتلعب في نادي، حافظ شوية على نفسك.
ـ ما أنا محافظ.
- محافظ ايه؟!
ـ محافظ الدقهلية.
ـ أنا مجبنيش الأرض إلا لعب الشوارع والحواري!
ـ يا عم سيبها لله.
ـ ونعم بالله، بس تعرف، الحمد لله إني مطلعتش لاعب كورة.
ـ ليه؟!
ـ أنا ناقشت ناس كتير في الموضوع دا وكلهم بلا استثناء غلطوني ومقتنعوش، بس هقولك عشان أنت حبيبي، وخايف عليك وعاوز مصلحتك.
ـ خير فيه ايه؟!

ـ أنت بتاخد كام في السنة؟
ـ على حسب العقد اللي أنت ماضيه.
ـ تمام، يعنى أقل لاعب في الدرجة التانية بياخد كام في السنة؟
ـ متهيألى ١##### جنيه.
ـ والدرجة الأولى؟
ـ تقريبًا نص مليون جنيه.
ـ ودا في السنة!، وغير مكافأت الماتشات، والراتب الشهري.
ـ أيوه.
ـ تعرف الطبيب بياخد كام؟!
ـ برضو مش عارف.
ـ الطبيب في السنة راتبه مش بيعدي ال ٢٥### جنيه، والمدرس راتبه في السنة مش بيعدي ال ٢#### جنيه، مع إن الطبيب بيعالج الناس ومن ضمنهم لاعب الكورة لما بيتصاب، والمدرس بيخرج أجيال، وهو اللى بيعلم الناس.
ـ ما أنت عندك الإعلامين والفنانين والمغنيين، بياخدوا أكتر مننا، وهما مش بيتعبوا زينا.
ـ أولًا: معروف إن الإعلاميين وظيفتهم تضليل الناس في كل أنحاء العالم.
ثانيًا: الفنانين دول أنا بكرههم كلهم، وسيبك منهم دلوقتي.
ـ مش مقتنع برضو!
ـ طب ممكن أسألك سؤال؟
ـ ماشي.
ـ لاعب الكورة رسالته ايه في الحياة؟!
ـ يعني ايه؟!
ـ يعنى بيفيد الناس بايه؟!
ـ بيفرح الملايين.
ـ قصدك تقول بيفرح التافهيين!، وبرضو بيحزنهم في الخسارة.
ـ أنت كنت بتلعب كورة، صح ولا لأ؟
ـ صح، بس أنا كنت بلعبها عشان رياضة جميلة وبتنشط جسمي وعقلي ومفيدة

جدًا، بس مكنتش بلعب على فلوس، ومكنتش بلعب قمار زي لاعيبة الكورة.
ـ قصدك تقول الكورة حرام!
ـ لأ قصدي أقول استخدامها هو اللي حرام وظلم كمان.
ـ ازاي؟!
ـ بص يا صاحبي، مش دلوقتي فيه نظام شركات في الكورة، وفيه نظام رجال أعمال؟
ـ طبعًا.
ـ يعني دلوقتي بتلاقي رئيس مجلس الإدارة بيشتري في لاعيبة كتير صح؟
ـ صح.
ـ ليه؟
ـ عشان يكسب البطولات.
ـ وعشان يحقق نسبة الأرباح اللي هو مظبطها في دماغه، وطبعًا فيه لاعيبة بتيجى ب ٥ ملايين وبيتباعوا ب ١# ملايين؟
ـ أيوه صح.
ـ دا اسمه ايه بقى؟!
ـ بيزنس.
ـ لأ اسمه قمار.
ـ قمار ازاي؟!
ـ مش دلوقتي لما حد يجي يلعب قمار مش هو بيحدف مثلًا على الترابيزة ١#### جنيه، ولو كسب بياخد على كل واحد بيلعب على الترابيزة نفس الرقم اللي هو دفعه.
ـ أيوه.
ـ الكورة بقى زي القمار بالظبط، وبعدين لاعب الكورة هو مش بيشتغل، دا بيلعب.
ـ طبعًا رأيك غلط.
ـ المهندس بيبني وبيعمر ويفيد الناس، والدكتور بيعالج الناس، والنجار بيعمل خشب البيت ومستلزماته، والسباك كذلك، والمقاول كذلك، والبنا كذلك، والمدرس كذلك، والمحامي كذلك، وكل الناس عندهم رسالة وبيفيدوا الناس، لاعب الكورة رسالته ايه؟! هو بيفيد الناس بايه؟!

ـ هو لازم رسالة؟!
ـ أنت عاوز تتجوز؟!
ـ طبعًا.
ـ ليه؟!
ـ عشان أحمي نفسي من الفتن، وعشان أكون بيت وأسرة، وعشان أجيب ذرية صالحة، وعشان دي سنة الحياة.
ـ تمام، ينفع بقى تتجوز كده وخلاص من غير ما يبقى عندك كل الأهداف دي؟!
ـ لأ طبعًا.
ـ دي بقى اسمها الرسالة، عاوز تفيد نفسك وبعد كده الناس، لاعب الكورة بيفيد نفسه ومش بيفيد الناس بحاجة، زي الحرامي بالظبط! بياخد ويستريح وهو بيضر الناس.
ـ بيضرهم في ايه؟!
ـ لاعب الكورة لو كان ليه راتب ثابت في السنة مثلًا: ٢#### جنيه بس، وراتب شهري ١### جنيه، ومفيش مكافأت ماتشات ومفيش شهرة ومفيش جماهير ومجانين بيجروا عليه، هو ممكن يكمل ويبقى لاعب كورة؟!
ـ أكيد لأ!
ـ سؤال تاني،
لما تبقى إيرادات الأندية والرياضة في مصر بتعدي ال ١# مليار جنيه، دا على حساب مين؟!
ـ طبعًا على حساب مؤسسات تانية.
ـ أقولك على حساب مين؟
على حساب التعليم، على حساب الصحة، على حساب البحث العلمي، على حساب اقتصاد البلد، وعلى حساب الناس الغلابة، ومتقوليش البرازيل نسبة اقتصادها ٤#٪ من الكورة، عشان هما عندهم محترفين كتير، وغير كده البرازيل دولة عصابات وعندهم فقر كتير، يعني الدنيا مش حلوة وجميلة زي ما احنا متخيلين.
ـ كل واحد ليه وجهة نظر!
ـ بالظبط، وغير كده أنا بسمي اللاعيبة عبيد.

ـ عبيد!
ـ أه عبيد، عمرك شوفت لاعب أخد أجازة إلا بإذن مدربه؟!
ـ لأ!
ـ عمرك شوفت لاعب قدر يقول أنا مش هلعب النهاردة لأن مزاجي مش حلو؟!، ولو عمل كده بيتعاقب على طول، زي العبد بالظبط، وبيتباع زي العبد.
ـ على فكرة أنت بتغلط كتير في لاعب الكورة!
ـ يا بني أنا مش بغلط فيه، أنا بغلط في المنظومة التافهة.
ـ ماشي.
ـ وكل شوية يتباع من نادي لنادي زي العبد، هما أصلًا عبيد.
ـ حاضر.
ـ طب بص هقولك على حاجة، ومعدتش هكلمك على حاجة وأنت حر.
ـ لخص عشان أنا اتخنقت.
ـ طبعًا لازم كل إنسان يقف يوم القيامة قدام ربنا ويتسأل عن كل اللي عمله؟
ـ أيوه.
ـ وطبعًا أنت عارف إن فيه حديث شريف عن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- روى ابن حيان والترمذي في جامعهِ أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال" "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه".
ـ أيوه عارف، وهو فيه حد ميعرفش الحديث دا؟!
ـ تمام، أنت بقى لما تقف قدام ربنا -سبحانه وتعالى- ويسألك عن مالك، هتقول لربنا ايه؟!
هتقول لربنا من الكورة واللعب، ولا هتقول ايه؟!
ـ بس، كل اللي أنت قولته دا كوم والسؤال دا كوم، سيبنى دلوقتي لوحدي.
ـ حاضر، سلام.
سيكون سلام إذا أدركت،
سيكون سلام إذا تغيرت،
سيكون سلام إذا أردت أن تصبح من أولي الألباب،

سيكون سلام إذا أردت النجاة،
سيكون سلام إذا أردت السلام.
أيتها الدنيا، هل أنتِ سلام؟!
أعلم أنكِ لستِ سلام، فلماذا البعض يريد أن يعيش فيك بسلام؟!
أنتِ أرق، أنتِ عناء، أنتِ مشقة، أنتِ جحيم، لست أنا القائل حتى تغضبي مني، ولكن إذا أردتِ أن تعرفي من القائل، فأنصتي جيدًا لكي أخبرك :
" ولقد خلقنا الإنسان في كبد". الآية ٤ ـ سورة البلد.
أأدركتِ الآن؟!
ولكن الأمر بالنسبة ليَ مفجع ومحزن، أعلم أن دار السعادة، دار القرار، دار الراحة، دار الحب، دار النقاء، دار الصفاء، دار الحياة الحقيقية.
رحمك الله يا إمام أهل السنة والجماعة، إنها كلمات لكنها لن تخرج مني أبدًا، ما هذا الرد التعجيزي يا إمام، عندما سئلت عن الراحة؟
وردك كان غير عادي.
" الراحة عند أول قدمٍ في الجنة".
يا لها من حكمة ودهاء، ليست خيال، ليست حلم ضائع، ولكنها حكمة من الواقع الذي ينتظرنا، إما السعادة، وإما التعاسة.
مهما استخدمت استخدامات خاطئة فأنا أحبك، أنا لا أعرف اليأس، لا لأشخاص جهلة يجعلونك في منحدر الفكر، استخدموك لمصالحهم الشخصية، فالمسؤول يريد أن يربح دون مشقة، واللاعب يريد أن يربح، وربحه من راحته، لأنه يلعب، لأنه يمكر، لأنه يريد أن ينسى آلامه وأوجاعه ويسعد بك، وفي ذلك الوقت يريد أن يحصل على المال، يا له من خبث ولؤم!
أن لا أحملك فوق طاقتك، أنتِ كالسكين، البعض يستخدمك استخدامًا صحيحًا في تحضير الطعام، والبعض الآخر يستخدمك استخدامًا خاطئًا كالقتل وترويع الناس والحيوانات والبشرية.

الطبيب

" خير علوم الدنيا الطب".
الإمام الشافعي.
الطب أعلى القمم،
الطب حلم الكثير من الشباب والفتيات،
الطب ليس في الشهرة فقط،
الطب دواء الأجساد،
الطب عودة الحياة،
الطب الرسالة،
الطب الابتعاد عن الألم والتعاسة،
الطب الراحة والسعادة،
الطب الحياة.
ـ ألو.
ـ ألو.
ـ أيوه يا محمد، بقولك أختك تعبانة جدًا ورحلها دلوقتي، لأني أنا عمال أتصل على مامتك وكل ما اتصل يجيلي مغلق أو غير متاح.
ـ يمكن مفيش شبكة عند أمي.
ـ أنت فين؟
ـ أنا في أحوال النيابة العامة، بعمل قيد عائلي.
ـ طيب كلم والدتك وقولها.
ـ خلاص أنا رايح أهوه وهكلم أمي برضو.
ـ ماشي، سلام.
ـ سلام.
ما هذا الهراء؟

أخرج من مصيبة أدخل في مصيبة!، وكأن المصائب مقسمة إلى أقسام!،
عندما يدق باب الفرج بإنهاء تلك المصيبة، تأتي التي بعدها بدون استئذان، ويستمر العقد في الانفراط، ويجب عليَ أن ألمه من على الأرض وأقوم بإصلاحه.
ـ حضرتك يا فندم كنت عاوز القيد العائلي.
ـ الاسم؟
ـ محمد عادل.
ـ بص يا محمد أنت لازم تخلي والدتك تعمل بطاقة تانية بدل دي.
ـ ليه يا فندم؟
ـ عشان هنا مكتوب متزوجة، واحنا عاوزين البطاقة تكون والدتك فيها أرملة.
ـ حضرتك أنا بقالي هنا شهر كامل وكل ما أجي أخد القيد العائلي يقولوا ليَ لأ، لسه ناقصك ورقة، انتوا ليه مش بتقولوا ليَ انتوا عاوزين ايه من البداية، عشان متتعبوش الواحد معاكم؟!
ـ أنت هتهرج هنا ولا إيه؟
ـ لأ يا فندم، ههرج ايه! سلام عليكم.
أشخاص تائهون في أفكارهم العقيمة، يظنون أنفسهم على صواب، لا يعرفون الإدراك ولا ينتمون إليه بصلة، عقولهم ضعيفة، لا تحمل التفكير، كالآلات الصناعية، يُحركون من قبل مديريهم، كما تحرك الآلة، يضعون أنفسهم في أحلك الأمور، وهم يعرفون جيدًا أنهم ليسوا أهلًا لها، وبعد ذلك يضيعون الأمور وبمن فيها، وهم لا يتسخون بأعمالهم الضالة، بل الذي يتسخ، هو الذي يريد أن يجعل أموره في هذه الأمور.
وإن لم يكن هناك رقابة، فأين رقابة الضمير؟!
هل انتهى كما انتهت أشياء أخرى؟!
هل انتهى كل شيء ولم يبق شيء لصحوتنا مرة أخرى؟!
أختي.
ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ
تأتي الرياح بما لا تشتهي السفنُ
المتنبي.
أنت تؤرقني يا أبا الطيب، شعرك بداخلي يغلي في جميع أجزائي، نسير في طريق،

وعلى غفلة نصطدم بمطب، ثم نكمل السير، ثم نصطدم بمطب، ثم نسير، ثم نصطدم بمطب، والخوف هنا أن نفقد الأمل في إكمال الطريق من كثرة المطبات.
يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.
عشرين حصواية ومرارة!، اللهم لك الحمد يا رب العالمين.
ـ هو أخد منك كام يا أستاذ محمد؟
ـ دا هو قبل العملية بقول له يا دكتور طمني، العلمية سهلة ولا لأ؟، قام قايل لي: أهم حاجة جبت ال ١٢### جنيه؟! قمت قايل له: هما معايا، وبعد كده أخدهم وقال لي متخافش.
ـ يا نهار أبيض، للدرجة دي؟!
ـ شوفت يا عم محمد، بس مش مهم الفلوس، المهم إن أختك تقوم بالسلامة إن شاء الله.
ـ حسبي الله ونعم الوكيل، أنا قولت إن الدكاترة دول جزارين فلوس.
ساعة ونصف ب ١٢### جنيه!، أهذا حلال؟! ليس كما كنت أظن، إن الطب رسالة، وأن الطبيب دائمًا يراعي مصالح الناس، ولكن المفهوم اليوم تغير، ربما لأني لم أحتك بأطباء منذ زمن، تغير مفهوم الطب اليوم، بعدما كان رسالة، أصبح تجارة، كالشخص الذي يتعلم مهنة أو حرفة، ثم بعد ذلك يطلب المبلغ الذي يناسبه، وإن لم يقبل الشخص المحتاج، فالعروض كثيرة، ولتبحث عن غيري وأنا سأنتظر غيرك، لأنه حتمًا سيأتي، والكل يفعل ما يريد وعلى قدر طاقته.
وأصبح الشعار الرسمي للطب، إما أن تدفع وتنجو، وإما أن تموت.
ولكن لن تمت فجأة من شدة الألم، فسوف تمر بأشياء تجعلك تتمنى الموت، ومن ثم تمت بعض أجزائك، ثم الوصول إلى المرحلة النهائية وهى موت الروح.
ومن ضمن الأشياء التي تجعلك تتمنى الموت :
قلة الحيلة،
البكاء على نفسك وحظك،
الشفقة من الجميع، فتلك الشفقة تنهي الشخص قبل أن ينتهي.
لم أعد أحتمل الألم، لا بد وأن أذهب لطبيب، فركبتي ما زالت تؤرقني، لا بد وأن أصل إلى حل، وإلى طريق يسير، أعلم أن البعض يحسبني لا أتألم لأنى أسير على قدمي

بدون أن يختل توازني، نعم إنهم يذكرونني بالمتنبي، عندما قال :
لا تحسبن رقصي بينكم طربًا
فالطير يرقص مذبوحًا من شدة الألمِ
رحمك الله يا أبا الطيب، وكأنك كنت تكتب الشعر فيَ، أنا مدين لك يا أبا الطيب ولأشعارك التي ليس لها مثيل.
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام.
ـ حضرتك كنت عاوز أحجز كشف.
ـ قدامك ٣٣ يوم.
ـ ليه؟!
ـ الدكتور مش فاضي، وعنده مؤتمرات في لندن، وعنده عيادات تانية وبيعمل عمليات كل يوم.
ـ يا ربي!
ـ قولت إيه؟
ـ الكشف بكام؟
ـ ٣٦#.
ـ اتفضل.
مبلغ زائد، والانتظار لمدة أكثر من شهر، والمريض يتألم، يتوجع، يموت، ليس في الحسبان، وإن رفضت، فالرد سيكون كالآتي:
"عندك دكاترة تانية، واكشف عند اللي يعجبك".
أعلم أنه أفضل الأطباء على صعيد الدلتا، بل على مستوى الجمهورية، ولكنه اليوم أصبح يتاجر بمهنته، ولا داعِ للكلام، فعليك بالصمت وإلا، أنت تعلم.
سأصبر هذه المدة، وأنا على علم تام أن ركبتي بحاجة إلى عملية جراحية،
لا تسبق الأحداث بأفكارك المريضة، تحلى بالصبر واجعل ثقتك في ربك كبيرة.
أنا ثقتي في ربي ملهاش حدود، ولكن اللى ما يشوفش من الغربال يبقى أعمى!
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام.

ـ حضرتك أنا ميعاد كشفي النهاردة، ودا الوصل.
ـ طب هات الوصل واستنى لما الدكتور يجي كمان ساعة.
ـ هو قدامه قد إيه؟
ـ هو عنده عملية وممكن يجي كمان ساعة.
ـماشي هستنى.
الساعة مرت، تلو الأخرى، تلو الأخرى، ولم يأتِ الطبيب إلى الآن، كان الميعاد الساعة الواحدة ظهرًا، والآن الساعة الرابعة عصرًا!، الساعة السادسة ولم يأتِ! الطبيب، الجميع هنا من بلاد بعيدة، على الأقل ساعتين في المواصلات ذهاب، وساعتين في الإياب، غير الألم الذي يصاحب كل هؤلاء المرضى، والطبيب للساعة السادسة لم يأتِ، هل هذا هراء، أم ماذا؟!
ـ اتفضل يا أستاذ أدخل للدكتور.
ـ من الساعة ١ للساعة ١#، ٩ ساعات علشان أكشف!
ـ اتفضل يا أستاذ.
ومن الذي يحترم ميعاده في هذا الوطن؟!
الكلام أصبح ليس له ثمن، عرب الجاهلية كان الميثاق بينهم الكلمة، إذا أعطى الرجل الكلمة، كانت خيرًا من ألف ورقة.
- السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام.
كنت أظن أنك ستفحصني لمعرفة مصدر الألم، ولكنك لست فارغًا، ليس عندك وقت أيها التافه، لأنك تفحص الهاتف الخاص بك، عشر دقائق ولا تستحي مني!، هل شهرتك هي التي جعلتك مغرورًا هكذا ولا تحترم من يجلس أمامك؟!
ـ يا دكتور.
ـ أيوه، آسف.
خلي الحاجة تشرب ميه كتير، ولو عاوز فلوس قول متتكسفش مني، أنت عارف إني عاوز أساعد بأي حاجة.
تريد أن تساعد؟! لو كنت تريد أن تساعد حقًا، فمن باب الرحمة أن تخفض الكشف الخاص بك، وأن تحترم ميعادك، وأن تكون على درجة عالية من الإنصات للشخص،

تبًا لك أيها الذي يدعى طبيب!
ـ تمام، تمام.
ـ خير يا دكتور؟
ـ بص يا عم محمد الإشاعة مبينة إنك عندك الغضروفين الداخلي والخارجي مقطوعين قطع كلي في ركبة رجلك اليمين.
ـ ايوة!
ـ والعضلة خاسة.
ـ طب العضلة دى ممكن ترجع تاني؟
ـ أه، إن شاء الله.
ـ طب يا دكتور الحل إيه؟
ـ ركبتك محتاجة لمنظار.
ـ بكام يا دكتور؟
ـ ب ١#### جنيه.
ـ وبتاخد وقت قد ايه؟
ـ نص ساعة.
نصف ساعة ب ١#### جنيه، انتهى زمن الرسالة، وبدأ زمن التجارة!
ـ طب حضرتك مش كتير ١#### جنيه على نص ساعة؟!
ـ دا أنا كارمك.
ـ طب ممكن أسأل حضرتك شوية أسئلة؟
ـ بس متطولش عشان فيه مرضى برا كتير!
- حاضر، حضرتك عندك عربية وبيوت وعندك فلوس في البنك صح؟
ـ ليه بتسأل السؤال دا؟!
ـ جاوبني يا دكتور؟
ـ أيوه.
ـ ليه الأطباء لما بيتخرجوا، بيبقى كل تفكيرهم إنهم يشتغلوا عشان يجيبوا عربيات وعمارات ويكونوا ثروة ويبقوا أغنية؟!
ـ حقنا يا بني، احنا بنتعب!

ـ حقكم! دا انتوا بتمصوا دم الناس، لما يبقى موظف بياخد ١٢## جنيه في الشهر، وعنده أسرة وعاوز يعمل عملية والعملية ب ١#### جنيه، هو محتاج كام شهر عشان يحوش ويدخل يعملها؟
ـ كل الدكاترة زمايلي بيعملوا كده.
ـ هو عشان الحرامية زمايلك وجزارين البشر بيعملوا كده يبقى أنت تعمل زيهم؟!
ـ طب أخرج من هنا، أنت مش محترم!
ـ شكرًا يا دكتور، أنا هخرج بس خليك فاكر الآية دي كويس جدًا :
"يوم يحمى عليهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون". الآية ٣٥ ـ سورة التوبة.
ـ أخرج ومعتش أشوف وشك هنا.
ـ حاضر، سلام.
ـ من غير سلام، امشي ياللا!
لا مكان للفقراء في هذا العصر، يموتون جوعًا، يموتون مرضًا، يموتون قهرًا.
من الذي اغتنى من مهنة الطب؟!
من الذي جعل الطب تجارة بأرواح الناس؟!
من قاتل الفقراء؟!
كنت صغيرًا وأسمع تلك الكلمة وكانت تعجبني، أنا نفسي أطلع دكتور عشان أساعد الفقراء.
كان كلامًا من تجار البشر، لأنهم كانوا بالفعل فقراء، لأنهم كانوا مفتقرين للشهرة والمال، وعندما حصلوا عليهما تغير الشعار، وأصبح الشعار، أنا دكتور لأجل المال، الفقير سيفقرني، والغني سيغنيني.
مات كل شيء، مات الضمير، ماتت الأخلاق، ماتت المروءة، ماتت الرجولة.
الحمد لله لأنني بعدت عن مهنة الطب، حتى لا أكون سببًا في موت أحد قهرًا قبل أن يموت مرضًا.
كنت أرفع القبعة احترامًا لكل طبيب ليس لأنه أفضل مني، ولكن لأنه يمارس عملًا أكثر من رائع، ولأنه يمارس مهنة من أخطر المهن، ولأنني كنت أظن أنها رسالة.
لكن الأمر الآن اختلف، فالأطباء عندي الآن كالتجار، الجميع يمارس عمله لكسب

المال ولزيادة مدخراته ولمنافسة اللصوص أصدقائه، ولكن على حساب من؟!
المقهورين!
المظلومين!
الموجوعين!
الباكين حزنًا!
المقتولين نفسيًا!
الفقراء!
"لو كان الفقر رجلًا لقتلته".
علي بن أبي طالب.
بالطبع لو كان رجلًا لكنت أنا من أوائل الناس الذين سيخرجون لقتله، فهو يقتلنا ويمزقنا إربًا.

الصاحب

ننزل من بطون أمهاتنا لا نعرف شيء، لا نختار، لا نستطيع أن نطلب، لا نستطيع أن نميز إلا صوت وحنين أمهاتنا.
نولد وينقطع الحبل الذي كنا متمسكين به لنجاتنا، ولكن حبل الحب والحنين لا ينقطع مدى الحياة.
ننمو وينمو كل شيء بداخلنا، نمر بتجربة اختيار الصديق، ليس وفق المعايير والشروط المنصوص عليها من قبل الوالدين، ولكن وفق شروط الإنسانية.
دائمًا ما نغضب ونترك بعضنا للحظات محدودة، ولكن الأنين يصلح بيننا، ليس لأننا لا نعرف شيء وقتها، ولكن لأننا خاليين من الحقد والحسد والبغض والكراهية.
وننمو وتنمو الصداقة، وعلى أتفه الأسباب نتشاجر ونرجع مرة أخرى كعادتنا، وما أجملها من عادة.
نعم، الاختلاف ممنوع ومرغوب.
ممنوع عندما يولد شحناء،
مرغوب عندما يعطي تنوع.
الصداقة شيء عظيم، لا أتخيل أن يكون الشخص بلا صديق واحد على الأقل، الصداقة هي الأب والأم والأخ والأخت حين فقدانهم أو الحرمان منهم.
كما كنت ساذجًا عندما كنت أفضل العزلة والابتعاد عن الأصدقاء، كم كنت مريضًا عندما كنت أظن أن الجلوس معهم سيضيع وقتي وسيؤدى بيَ إلى الهلاك.
لا بد أن نُرجِع تلك اللحظات التي عشناها بالأمس، العمر ليس مقسم على فترات، العمر فترة إن مضت، مضى كل شيء.
يجب ألا أنتظر مكاني وأتمنى عودتها مرة ثانية، يجب أن نعيدها ونستمتع جميعًا.
لا للعزلة، لا للانطواء، لا لكل شيء يضع حواجز بيننا.
أعلم جيدًا أن الطريق مستقيم، ولكننا نحن من نجعل الطريق به مطبات وانحرافات .

مطبات الزوجة والبيت والأبناء والانشغالات.
وانحرافات الوقت، لست فارغًا، ليس لديَ الوقت الكافي للجلوس معكم، إنني مرهق ولست بحالة جيدة وأخاف أن أعكر صفو مزاجكم.
نعم، هما المطبات والانحرافات التي تجعل حبل الصداقة يلين ثم يلين، ثم يبدأ بالانفكاك على مسافات متقاربة، ومن ثم ينقطع ويهوى، ونحن معه دون أن نشعر، وتهوى أنفسنا إلى المنحدرات، إلى الاغتراب مرة أخرى، بعدما كان بيننا حبل قوي يجعلنا متقاربين من بعضنا البعض.
ـ ألو.
ـ محمد عامل ايه؟
ـ الحمد لله تمام، عامل ايه؟ ليك وحشة!
ـ تمام، فينك يا بني؟
ـ موجود، بقولك جمع الشلة بالليل عندي أو عندك أو أي حد، المهم يتجمعوا، عشان نرجع أيامنا الجميلة تاني.
ـ تمام، خلاص ماشي يا حمام، الليلة عندي إن شاء الله.
ـ حبيبي.
الآن أشعر أنني أمتلك شيئًا من السعادة، فما بالي إذا التقينا الليلة وأعدنا شريط الذكريات؟، يا لها من متعة لا تعوض، أخيرًا شعرت أنني سعيد، وأن الدنيا بكل ما أوتيت من قوة لا تستطيع أن تنزع مني هذه اللحظة السعيدة.
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام، عمنا وعم الليلة، عامل ايه يا زعيم؟
ـ تمام الحمد لله، ليكوا وحشة يا رجالة.
ـ أنت أكتر، ايه سبب التجميعة دي النهاردة؟
ـ أصلكم وحشتوني ومقعدناش مع بعض من زمان.
ـ أنت أكتر، بس احنا على طول بنقعد وأنت مش بتبقى فاضي!
ـ ما أنا خلاص فضيت، حتى لو تبصوا حلو هتعرفوا إني خسيت!
ـ خفة دمك دي هي اللى مصبرانا عليك.
ـ الشغل عامل معاكم ايه؟

مهلًا، مهلًا، مهلًا، أنا أريد أن نستمتع، لا أريد أن يشكو كل منكم من الموظفين الموجودين معه، أو السب بأفظع الشتائم، لكن لا بد من هذا الكلام للتخفيف عنهم، ولسماع مشكلاتهم، فلنسمع.

ـ طب أنا هنا عشان أسمع الكل والكل يسمعني، واحد واحد يتكلم على اللي هو بيشوفه فى الشغل.

ـ متفقين يا معلم.

ـ خش يا ميدو.

ـ بصوا يا رجالة؟

ـ بصينا.

ـ كنا مرة قاعدين فى المحل الرئيسى بتاعنا بتاع الأجهزة الكهربائية، اللى هو بتاع أكبر مستورد وأكبر تاجر في الدقهلية، وبعدين جالنا ولاد الحاج وقالوا لنا إن شركة توشيبا للأجهزة الكهربائية منزلة عروض فى جميع المحافظات فى ماركات كارفور، وبعدين قالوا لنا لازم نروح نشتري العروض دي بسرعة، وكلنا لازم نتوزع في أنحاء الجمهورية بسرعة البرق.

ووزعونا،

كل واحد راح مكان مختلف، وأنا رحت طنطا واشتريت اللي قدرت عليه والعربية اللي تبع الشركة اللي أنا شغال فيها هي جات أخدت كل الأجهزة اللي اشتريتها.

ـ وأنت كأنك زبون عادي؟!

ـ صح، وبعدين كل زمايلي جابوا الأجهزة اللي في كل المحافظات.

ـ وطبعًا الكلب اللي أنت شغال عنده جاب الأجهزة بنص التمن؟

ـ صح.

ـ عشان دي أصلًا كانت نازلة للناس الفقرا اللى مش قادرين يشتروا من التجار والحرامية؟

ـ تمام.

ـ وهو اشتراهم عشان يحتكر السوق ويغلي براحته ومفيش حد تاني يستفيد؟

ـ عليك نور.

ـ وأنت ساعدته في الجريمة دي؟

ـ أنا مليش دعوة بحد.
ـ ملكش دعوة! أنت مش بتقول إنك جبت الأجهزة اللي قدرت تجيبها من طنطا؟
ـ أيوه، بس أنا مدفعتش حاجة من جيبي.
ـ أنت تعرف إن فيه أمهات بتتسجن وهما بيجهزوا ولادهم عشان ٢### جنيه، بسبب فُجر التجار؟!
ـ يا عم محمد ملناش دعوة بحد، احنا مش عايشين والسلام! هنعوز إيه تانى؟!
ـ أنت سبب من حدوث الجريمة، وأم الكلمة دي هي اللي ضيعتنا، وبقينا زي الغزال بالظبط، الأسد ياكل الضعيف مننا، واحنا نسيبه ونفلت بجلدنا، والتاني يموت ويبقى وجبة للأسد، وبعد كده الأسد يقعد يصفي فينا لحد ما ننتهي.
ـ أنت مكبر الموضوع كده ليه؟!
< ـ يا بني الموضوع كبير جدًا ومش سهل زي ما أنت متوقع
ـ طنش يا عمونا.
كلنا مذنبون، الفاعل والمفعول به والصامت، كلنا مذنبون، لا أحد خارج هذه الدائرة.
تكالب علينا الأعداء بسبب ماذا؟
تفشت الأمراض، بسبب ماذا؟
لا أحد يتزوج، بسبب ماذا؟
غلو المعيشة، بسبب ماذا؟
قلوبنا ضيقة، بسبب ماذا؟
ـ محمد، محمد، محمد.
ـ ها.
ـ روحت فين يا راجل؟
ـ معاكوا.
ـ أنت سرحت في ايه؟
ـ مفيش، كمل.
ـ مين اللي يكمل؟
ـ ميدو.

ـ ما هو خلاص خلص!
ـ احكي أنت يا عمدة.
ـ بصوا.
ـ بصينا.
ـ أنا شغال عند أكبر واحد فى الجمهورية، عندنا أكبر مزارع في مصر، وبنزرع الفاكهة والخضار.
ـ تمام.
ـ وبنرشهم كيماوي.
ـ ما كل الخضروات والفاكهة بتترش بكيماوي!
ـ لأ احنا بنزود أوى عشان الحاجة تكبر بسرعة.
ـ يا جدع؟!
ـ بس دا للمصريين بس.
ـ وضح أكتر؟
ـ قصدي إن احنا عندنا مزارع أجنبية ومزارع مصرية.
ـ تمام، كمل.
ـ الأجنبية بنتعامل معاها زي الراجل اللى قعد ٣# سنة مخلفش وفى الآخر خلف عيل، وقعد مهتم بيه أكتر من نفسه واللي يقرب له يقتله، دا بالظبط اللى عندنا في المزارع الأجنبية.
ـ يعني دي بتاعت الأجانب ولا بتصدروا ليهم؟
ـ لأ، بنصدرلهم.
ـ والمصرية.
ـ المصرية عشان عارفين إن الشعب المصري شعب غلبان ومتخلف وعاوز ياكل وخلاص فاحنا بنأكله وخلاص.
ـ تقصد إيه؟!
ـ قصدي إن احنا بنأكله هرمونات وكيماوي.
ـ طب ما الزراعة حاليًا عاوزه كيماوي!
ـ ما أنا فاهم إنها عاوزه كيماوي، بس لو هي عاوزه نسبة محددة، احنا بنحط

أضعاف الكيماوي عشان الحاجة تطلع بسرعة والشعب المصري ياكل ويتهنى.
ـ يتهنى!
ـ يتهنى بالسرطان والديدان والأنيميا، دا غير مياه الصرف الصحي اللي احنا بنشرِبها للفاكهة والخضار بتاعت المصريين.
ـ وطبعًا دا بيجيب على طول فشل كلوى؟!
ـ شور.
ـ وطبعًا المزارع الأجنبية بتشربوها ميه معدنية؟!
ـ مش للدرجة دي يا عم محمد!
ـ أمال بتشربوها ايه؟
ـ ميه خالية من الفيروسات ومتفلتره كويس ومعمول لها لجنة وحاجة أوروبية.
ـ والشعب المصرى يموت؟!
ـ ما هو كده كده ميت، فيموت بمرض عشان يكون شفيع ليه يوم القيامة.
ـ يعنى هي جات عليك، وأنت بقى بتشتغل هناك ايه؟
ـ شغال مراقب عمال.
ـ أنا مش كنت سايبك موظف؟!
ـ ما أنا لو كنت فضلت عايش على راتب الوظيفة، كنت زماني بقيت شحات.
ـ ماشي.
لو قلت أن هذا لا يصلح للحيوانات، فما بالنا نحن البشر؟!
نأكل سرطان، مع جرعة من الديدان، مع عصير من الفشل الكلوي، يا لها من وجبة رائعة، تنعش من يأكلها، أو بلفظ أصح، تأخذ إلى الإنعاش، وهذا إن عاش!
كل هذا لأجل رجال الأعمال الفَجَرَة!
الناس يموتون لأجل رجال الأعمال، ولزيادة أرباحهم، للمفاخرة أمام أصدقائهم اللصوص، ومن نحن حتى نعيش؟!
نحن لا شيء، نحن أناس مساكين، نريد أن نعيش في جحر خفي، لا أحد يرانا ولا نرى أحد، هذا ما نتمناه.
أعلم أن هذا التمني شديد الصعوبة في مجتمع يأكل القوي فيه الضعيف، ويتحكم الحاكم في المحكوم عليه.

صرنا في مجتمع شبيه بالغابة، إذا استطاع الحيوان أن يأكل حيوانًا آخر فعل.
لا تكن قاسيًا على الحيوان، فلقد رأيت حيوانًا ينقذ حيوان، ورأيت آخر يطعم آخر، وإلى الآن لم أرَ إنسانا يَصلُح أن يكون إنسان!
كنت ظالمًا عندما شبهت الأناس بالحيوانات، فنحن قد وصلنا إلى مرحلة القاع.
لا، أقصد المرحلة التي لم يصل لها القاع، كان الشيطان قديمًا يوسوس لنا ويزين لنا المعاصي ويتفنن في إظهار الحرام لنا حلالًا، أما نحن الآن صرنا نعطي دروسًا في الحرام للشيطان، الشيطان تقاعد في البيت، وطلع على المعاش، وقد وكلنا بالمهام من بعده، حتى نكون على درجة عالية من الفاعلية والكفاءة في فعل المحرمات، أعرف وأسمع دائمًا أن مهما كبر التلميذ في العلم، لن يتفوق على معلمه، ولكننا الآن تفوقنا على معلمنا، ألا وهو الشيطان.
ـ محمد، محمد!
ـ نعم!
ـ أنت مالك يا بني فيك ايه؟
ـ مفيش.
ـ لأ أنت النهاردة مش تمام.
ـ معلش أصل فيه أمور فى البيت شغلاني شوية.
ـ طب لو عاوز تروح تعالا نروحك ياللا.
ـ لأ، احنا هنكمل السهرة، مين اللى عليه الدور؟
ـ هيما.
ـ ياللا يا هيما.
ـ هيما، ٢٢ سنة، خريج كلية تجارة، لفيت على شركات كتير عشان أشتغل مش لاقي شغل خالص، وكل حاجة لازم خبرة ٣ سنين، وأنا لسه متخرج وعاوز أشتغل وأجيب فلوس عشان أجيب بيت وأتجوز.
ـ وبعدين يا هيما؟
ـ الكل رافضني،
قمت مكلم واحد صاحبي شغال فى اكسسوارات المحمول عند واحد مشهور في مصر والشرق الأوسط.

ـ منين الراجل دا؟
ـ من نبروه.
ـ تمام، كمل.
ـ وبعدين شغلني شهر، والناس كانوا فرحانين بيَ أوى،
قام رايح واخدني القاهرة هناك في فروعه الرئيسية بدل من نبروه.
ـ طبعًا وافقت؟
ـ فعلًا وافقت على طول، وبعدها بشهرين زود راتبي لحد ٢### جنيه.
ـ وهو أنت أول ما روحت كان راتبك كام؟
ـ كان ١###.
ـ تمام.
ـ كل شوية يسمع عني أخبار كويسة، فخلانى أبقى مشرف وملاحظ.
ـ بس يا بني المكان دا صعب حد يوصل له، إلا بعد سنين!
ـ مش شرط فى الشغل دا، النباروه عاوزين أمانة بس، ولو أنت كنت أمين معاهم، هيعطوك عمرهم، ولو غدرت بيهم قول على نفسك ياللا السلامة.
ـ كمل.
ـ وعرفت بعد كده الشحنات بتيجى من الصين وبتيجى برخص التراب، واحنا بنبيعها أضعاف أضعاف أضعاف!
ـ مثلًا؟
ـ بنجيب البطارية بتاعت السامسونج المضروبة ب ٢# وبنبيعها ب ٦# وب ٩#.
ـ وكل شركات الاكسسوارات المحمول بتعمل كده؟
ـ طبعًا، وإلا مكنش عندهم أبراج وعربيات وشركات.
ـ أنت شوقتني إني أبقى حرامي، قصدي ابقى تاجر اكسسوارات محمول.
ـ دا غير اللزقة.
ـ دي بكام كمان؟
ـ بنجيبها ب ٢ جنيه وبنبيعها ب ٦#، دا غير محلات الجملة اللى بتاخد مننا، يعني ممكن توصل ل ١# جنيه، وغير الجرابات.
ـ بكام هي كمان؟

ـ واقفة علينا ب ١# جنيه وبنبيعها ب ٣# جنيه.
ـ أنت كده طمنتني.
ـ حبيبي يا عم محمد.
ـ دا انتوا طلعتوا كلكم مجرمين!
ـ يا عم محمد أنا قررت أشتغل وأبقى إنسان كويس بس ملقتش، والشغلانة دى هى اللى كانت قدامى، أعمل ايه، أسرق؟!
ـ ما أنت بتسرق!
ـ ازاى؟
ـ بتسرق الناس، بس مش بطريقة مباشرة، زي النصاب بالظبط.
الكل يظن أن السرقة تأتي بالطريقة المباشرة فقط، هذا ما تعلمناه منذ الصغر، وعندما تتعمق في أنفس الناس تجد أن السرقة لها طرق ووسائل أخرى، سواء بالتحايل والمكر والخديعة، أو التسلط والتصويب نحو الهدف بدون تفكير.
وأصبح شعار المرحلة مليش دعوة بحد أنا عايش في حالي، هذا ما أصبح عليه ذلك المجتمع العقيم المتخلف، الذي يرفض بتاتًا البحث عن الهدف السامي، وإن كان يوجد معوقات وحواجز تمنع الإنسان من الوصول إلى هناك، لكن المعوقات والحواجز جعلت للعدالة، جعلت لتفرق بين الملتزم والمصر والمنضبط، والذي يريد أن يصل إلى هدفه وإلى أحلامه بطريقة سهلة وبدون عناء وبدون مشقة، نعم إنها حواجز العدالة، حواجز الترسيخ والثبات والتمكين لأهل العزم والهمم.
ويخاطبنا شاعرنا العظيم وإمبراطور الشعراء ومنشد الدهر ونادرة زمانه، فى أبيات ليست بأبيات فقط، بل هي من الحكم الذي دونها وسجلها التاريخ وسيظل مدونها ومسجلها لنا وللعصور القادمة من بعد بإذن الله :

على قدر أهل العزم تأتى العزائمُ
وتأتى على قدر الكرام المكارمُ
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائمُ

أبيات تشعل الفرد، أبيات لو وضعت على القش لأحرقته، أبيات لو وضعت على الشجر الأخضر لأججته، أبيات لو وضعت على النائم لأيقظته، أبيات لو وضعت على

الكسول لألهبته، أبيات لو وضعت على النكرة لعظمته.
ـ مين اللي عليه الدور؟
ـ أنا يا حمام.
ـ قول يا بودي.
ـ مش هختلف عن الرجالة في حاجة.
ـ طب قول يا معلم.
ـ أنا كنت شغال في مكتب مهندس مشهور جدًا، وبيتعاقد مع شركات ومقاولين إنه ياخد العمل دا ويسلمه بعد فترة محددة.
ـ تمام.
ـ وكان بيوزع العمل علينا، بس هو اللي كان بيخطط وينفذ وكل حاجة كانت بتاعته، وهو اللي كان بيرسم كمان.
ـ أمال أنت وزمايلك كان لازمتكم ايه؟
ـ كنا مشرفين عمال.
ـ بتتكلم جد؟!
ـ بجد، بص هو كان يسلمنا العمل ويقولنا أنا عاوز دا يتنفذ بالحرف مش عاوز أي تعديل أو تحريف في العمل، ولو فيه عامل مرضاش ينفذ دا مشيه وهات واحد تاني، وأي مهندس مش عاجبه، بالسلامة يمشي.
ـ دا على كده انتوا بقى يعتبر مشتغلتوش بالشهادة بتاعتكم خالص، ولا كأنكم مهندسين أصلًا؟!
ـ بالظبط كده.
ـ طب ايه اللى خلاك تكمل مع إنك مش بتشتغل بشهادتك ولا بتتعلم وتزيد خبرات؟
ـ لأن فلوسها كانت كتير، ودا اللي المهندس كان شغال عليه، كان بيعطيلنا فلوس كتير جدًا، عشان محدش يفتح بوقه.
ـ وبعدين؟
ـ كان العمل متقسم حسب الناس.
ـ وضح؟

ـ يعنى كان فيه رجال أعمال وناس تقيلة في البلد، كان بيتعمل لهم أحسن حاجة، وحاجات لو شوفتها هتنبهر.
ـ تمام.
ـ وناس تانية زى شركة كده عاوزة منك ٥ عماير على حتة أرض، هو كان بيقلب العمل معاهم، ومع الناس اللى مش معاهم قوة وحصانة وناس مسنودة.
ـ يا حبيبي!
ـ بس كل العقود كان بيكتبها باسمه.
ـ ليه؟
ـ عشان هو كان عارف اللي احنا عرفناه بعد كده.
ـ عارف ايه؟
ـ عارف إن الناس اللى ملهمش ضهر، العمارة مش هتكمل سنتين وهتقع، وكان مرتب كل حاجة، ومحول فلوسه فى سويسرا، وكان بيزودنا عشان محدش يفكر خالص فى العمل اللي محطوط دا وننفذ زي الأنعام بالظبط!
ـ يا ابن الواعية!
ـ بس كان راجل محترم، هو اللي كان بيمضي العقود عشان محدش يتضر غيره.
ـ دا دماغه ظالمة!
ـ وبعدين عشان هو مظبط كل حاجة ومخطط كويس، عمل فلوس كتير جدًا وحولها لحسابه فى سويسرا، وعمل إنه وراه شغل في سويسرا ولازم يخلصه، ولأنه مشهور محدش هيسأل عنه ولا هو رايح فين؟
وبعد شهر مجاش والسكرتير فى لحظة ملقنهوش، ومفضلش غير المهندسين زمايلي والعمال، ونكلمه على موبايله مغلق، ونكلم السكرتير مغلق برضو، وكل الناس اللي كانوا قريبين منه برضو مغلق، وتاني يوم سمعنا إن العمارات اللى كان عاملها وقعت وانهارت وفيه ناس غلابة كانت شارياها من الشركات دي وماتت وخسروا فلوسهم ونفسهم وولادهم، والدنيا اتقلبت والصحافة اشتغلت، والمباحث جات خدتني وكل زمايلي والعمال، وقولنا لهم على اللي كان بيحصل، وهو اللى كان مسؤول عن كل حاجة، وهو اللي كان بيمضي العقودات، حتى اسألوا الشركات اللى اتفق معاها.
وفعلًا الشركات اعترفوا وقالوا كده، حتى العمال قالوا إن المهندسين كانوا شغالين

علينا مشرفين بس، ولما كنا بنقولهم دا غلط على العمارة أو البرج يقولولنا احنا ملناش دعوة، المهندس الكبير هو اللي عاوز كده، واحنا شغالين مشرفين عليكم بس، واللي مش عاجبه يمشي، وفعلًا فيه عمال مشيوا لأنهم كانوا عارفين إن دا غلط وهيتسبب فى دمار بعد كده!

ـ وأنت ليه ممشتش؟

ـ أنا كنت مفكر علشان مشهور إنه أفضل مننا كلنا، ومن الدكاترة اللى كانوا بيعلمونا، وهو فاهم هو بيعمل ايه واحنا لسه صغيرين ومش فاهمين ومعندناش خبرات.

ـ يا جدع أنت معندكش عقل، العمال يسيبوا المكان ويفهموا وأنت مش قادر تفهم أنت وزمايلك، انتوا ازاى خريجين هندسة؟!

ـ يا عم محمد الفلوس برضو كانت بتغري.

ـ دا كان أكبر دليل إنك تشك إن فيه حاجة غلط!

ـ اللى حصل حصل.

ـ والناس اللى خسرت فلوسهم، والناس اللى ماتت؟!

ـ يعنى أعمل ايه؟!

ـ طب وانتوا متحاكمتوش؟

ـ ازاى هنتحاكم ومفيش دليل علينا، والعمال شهدوا على حسن نيتنا والشركات برضو؟

ـ وطبعًا الناس اللي ماتت والفلوس اللي انهارت طظ، صح؟!

ـ ربنا يعوض عليهم ويرحم اللي مات.

ندعو لهم بالدعاء والرحمة، ونحن لم نرحمهم!

ربما لأننا لا نمتلك الرحمة، ونطلب الرحمة من الرحمن الرحيم، ونطلب أن يرحمنا، مع علمنا التام أننا لا يوجد ذرة رحمة في قلوبنا، الآيات كثيرة، والأحاديث كثيرة، والأقاويل كثيرة، ولكن نحفظها لكي نقولها لأشخاص آخرين، نحن نعشق الكلام، أو الكلام الذي يعشقنا، وهل جاء العشق بتلك السهولة؟!، فالعشق لا يأتي إلا بعد عناء طويل، أتعبناه معنا لكي يعشقنا، ونحن نعم نعشقه لكن بلغة أخرى، لا يعلمها إلا من دخل ذلك العالم الذي إذا شئت فالمسميات كُثر، الغالبية تتجه إلى الانحدار، لكنها تقوم بوضع لافتات على غلافها الخارجي ما لا يحمله الغلاف الداخلي.

لماذا نحفظ لنقول؟!
لماذا نحفظ ليقال؟!
لماذا نحفظ لنكون؟!
لماذا نحفظ ونزيد من النسخ؟!
لماذا نحفظ؟

الصحفي

الصحافة هي نبع الأمة.
الصحافة هي نبراس العلم.
الصحافة هي حرية التعبير.
الصحافة هي توعية الناس.
الصحافة هي الماضي.
الصحافة هي الحاضر.
الصحافة هي المستقبل.
الصحافة هي الحياة.
عندما تتكمم الأفواه، وتتوقف الأيادي عن استرداد الحقوق، يأتي القلم بكل ما أوتيَ من قوة للدفاع عن الحقوق، وكشف الفساد والمستور عن أعين الناس، وتحدي الجهات الفاسدة التي تعمل على إفشال حركة التنمية والنمو الاقتصادي والتعليمي والديني.
ويُشحَذ القلم بنيران القلوب، لتعويض ما عجز عنه الجسد، ولمواكبة العصر والحث على دعم الأنشطة في كافة المجالات المختلفة، والرجوع بالأمة ثانية، واعدة، رائدة، قائدة.
فلتكن هي الصحافة، الدافع والمحرك الأساسي والرئيسي لنشر كل ما عجزت عن تحقيقه، أو عجزني بعض الأناس، نعم أنا أمتلك قلمًا حرًا، وقلبًا حيًا، فلماذا لا أكتب؟!
لماذا لا تخرج جيوش الكلمات التي بداخلي؟!
لماذا أظل هكذا؟!
تخطيط + تنظيم + توجيه +رقابة = إدارة.
وجميعها بداخلي، الآن وحتمًا ولا بد أن أصير رجلًا إداريًا، ليس إداريًا في نطاق العمل وكفى، ولكن إداريًا فى علاقاتي مع الناس، إداريًا مع عائلتي، إداريًا مع أصدقائي، إداريًا مع نفسي، إداريًا فى حياتي.

لقد شوقتني أيها القلم القائد، لقد شحذتني، أيقظت الأشياء الجميلة التي بداخلي، لقد أيقظت الأمل بداخلي، لقد أيقظت الحماس بداخلي، لقد أيقظت شخصًا كنت بحاجة إليه.

اليوم سأذهب إلى جريدة ما، ليس اليوم، بل الآن.

الآن سأذهب لراحة فؤادي، الذي ظل يحفزني ويشجعني ويدب الأمل بداخلي، ولراحة الكلمات التي تنزف دمًا، ولراحة البسطاء والفقراء الذين لا يستطيعون أن يصعدوا بأصواتهم إلى الجهات السيادية، لمحاسبة كل من تسبب فى قهرهم وظلمهم واستغلالهم أسوأ استغلال وجعلهم هكذا.

ـ السلام عليكم.

ـ وعليكم السلام.

ـ أنا عاوز أقابل المدير.

ـ حضرتك واخد ميعاد قبل كده؟

ـ لأ.

ـ أمال عاوز تقابله ليه؟!

ـ عشان أخلي الجريدة دي أفضل جريدة في الشرق الأوسط.

ـ مش فاهمه قصدك ايه!

ـ مديرك هيفهم، وبعدين أنا مش فاضي ورايا مشغوليات تانية، بالظبط قدامى ١# دقايق، لو مديرك أخرني أكتر من كده أنا همشي ومش راجع تاني.

ـ طب أقوله ايه؟

ـ قولي له فيه واحد عاوز يخلي الجريدة بتاعتنا أفضل جريدة في الشرق الأوسط، وتبقى المصدر الوحيد لثقة الناس فيها.

ـ طب استريح حضرتك ثواني وأنا هكلم المدير.

ـ شكرًا

جميل، أول خطوة: رفع السماعة.

رائع، الخطوة الثانية: التحدث بشأني.

غير واضح، الخطوة الثالثة: لماذا التكلم بصوت كصوت الحرامية واللصوص؟!

ممتاز: الخطوة الرابعة: "دا هو بيقول يا فندم إنه جاي عشان يخلي الجريدة بتاعتنا

أفضل جريدة في الشرق الأوسط".
ـ تفضل، المدير بانتظارك.
ـ شكرًا.
لست أنا من يرتجف أمام المدير أو المسؤول، لست أنا من يرتجف لأجل عمل، لست كباقي الأناس الذين ينزفون عرقًا وخوفًا ومهابة من المدير.
والخوف أن تضيع هذه الوظيفة من تحت أيديهم، ورب إجابة خائفة، خير من إجابة عاقلة.
وهذا ما سيحدث الآن إن شاء المولى عز وجل، لقد أثرت فضوله نحوي، بعدما كان رافضًا لجميع المقابلات، ظل هو من ينتظرني، ويشتاق لرؤيتي.
بالطبع ستنفعني الآن، أيتها الكتب أخرجي جيوشك لمساعدتي، فأنا كنت أساعدك عندما كنت أقتل وقتي لأجلك وأخسر الأصدقاء لأجلك، المساعدة الآن كل ما أريده، أريد خلاصتك فقط.
ـ اتفضل.
ـ شكرًا يا فندم.
ـ أنت بتقول إنك هتخلي جريدتنا أفضل جريدة في الشرق الأوسط؟
ـ تمام يا فندم.
ـ ازاى بقى؟!
ـ بالقلم دا!
ـ ليه، القلم دا بيعمل ايه؟!
بيكتب وبيوصل رسالة، وبيوعي الناس.
ـ طب ممكن أشوف شغلك؟
ـ أيوه طبعًا، اتفضل.
ـ ايه دا يا بني، مقال واحد بس؟!
ـ أيوه، مقال واحد بكل المقالات اللي نزلت لحد دلوقتي من يوم ما اتخلقنا لحد دلوقتي.
ـ ومقالك زي أسلوبك جميل كده؟
ـ حضرتك ممكن تقرأه، أو لو حضرتك مجهد أنا ممكن أتفضل بالقراءة على سيادتكم،

ولكني آمل أن أسمع مقالي من حضرتك لزيادته روعة وجمالًا.
ـ أنت غير كل الموظفين اللي هنا، واللى اتقدموا للوظيفة قبل كده!
ـ دا من كرم سيادتكم.
ـ بس أنا شخص واحد بس، ممكن كنت تقول سيادتك!
ـ يا فندم سيادتكم تعني التعظيم من شأنكم، كما يقال في الخطابات قررنا نحن رئيس الجمهورية.
ـ طب أنت دفعة كام؟
ـ حضرتك أنا لسه طالب.
ـ طالب ايه؟
ـ طالب الوظيفة.
ـ أحلى حاجة فيك، خفة دمك وأسلوبك، قولي بجد طالب ايه؟
ـ حضرتك أنا لسه بدرس وفي سنة رابعة.
ـ صحافة وإعلام؟
ـ لأ يا فندم.
ـ أمال ايه؟
ـ فى معهد.
ـ بس أنت عارف إن اللي بيشتغلوا هنا كلهم خريجين صحافة وإعلام.
ـ ما هو عشان كده مش موهوبين! والجريدة على المستوى المحلي فقط، وغير كده يا فندم ٨#٪ من خريجين الجامعات الأمريكية مش بيشتغلوا بالكلية اللي خدوها، هما بياخدوا كلية وبيشتغلوا فى حاجة تانية خالص، وغير كده يا فندم ألبرت أينشتاين.
ـ ماله؟
ـ كان المدرسين بيقولوا عليه متخلف وبيقرأ بالعكس، مع إن درجة ذكائه كانت حادة، وهو أذكى شخص فى العالم بعد كريستوفر لينجين، وذكاؤه كان: ١٩٥، مقارنة بأنشتاين: ١٦#، وبدأ يتكلم وهو عنده ٦ شهور، وعلم نفسه القراءة وعمره ٣ سنوات، وفى عمر ٥ سنوات كان بيناقش جده فى أدلة وجود الله -سبحانه وتعالى- وفي اختبار الرياضيات واللغة الشهير "سات" حصل على درجة كاملة وعمره ١٦ سنة، مع إنه كان نايم والاختبار شغال.

وفى اختبار الذكاء المصمم للموهوبين فقط، حصل على درجة كاملة.
وأديسون الذي لقب بالفاشل وغيرهم من العلماء اللي اتظلموا بس هما مستسلموش
.
طب هقرأ مقالك ولو عجبني هعينك.
ـ شكرًا يا فندم على التعيين.
ـ فلسفتك دي عجباني أوى، سيب لي رقمك هنا ومتعطيهوش للسكرتارية.
ـ حاضر يا فندم، اتفضل.
ـ شكرًا.
ـ سلام.
ـ سلام.
ـ مقال بعنوان:
مصر ٢#٣# ـ الآمال والطموحات
مصر كانت هي المصباح الذي يضيء للعالم وسط غياهب الأيام، فهي أقدم البلاد، والبلد الوحيد الذي نزل فيها القرآن الكريم باسمها، والبلد التي كانت ممتلكة لجميع الخيرات أثناء ما كان سيدنا يوسف -عليه السلام- المسؤول عن خزائن الأرض. فهي كانت سائدة، رائدة، قائدة، موجهة، وكانت بمعنى الكلمة ليست لأنها أقدم البلاد، ولكنها لأنها كانت المسؤولة عن البلاد، فهي أم الدنيا.
مصر كانت :
العمل، الفعل، الإنجاز، الحضارة، الحياة.
.....
لا بد أن نعبر خريطة الطريق.
لا بد أن نقوم بدفع عجلة الإنتاج.
لا بد أن ننهض.
لا بد أن نرجع لنسود العالم مرة أخرى.
.....
مصر تجتاز الخطوة الأولى فى مؤشرات النجاح.
مصر تتقدم يوم بعد يوم.

مصر تسير بخطى ثابتة نحو النجاح.
مصر تهرول إلى الرقي والتقدم.
مصر تجري.
مصر تطير.
مصر تفرح.
مصر تعيش أجمل أيامها.
مصر وصلت.
أخيرًا مصر نجحت.

.....

وجميع المحللين والإعلامين يقومون بعملية الافتخار العاجز، فجميعهم يقولون ويتحدثون عن التاريخ والماضي.

فكنا نحن وكانت الدنيا بأسرها راكعة تحت أقدامنا، فكنا منارة للعلم، فكنا الحياة، وغيرنا الوفاة، وكنا، وكنا وكنا!

وهذا اسمه الافتخار العاجز، الافتخار بشيء ليس ليَ أنا، ليس بمجهودي أنا، ليس بجدي وتعبي وإصراري وعزمي وانضباطي أنا، فأفتخر بشيء لم يكن ليَ، ولكنه مرتبط بصلة إليَ، كالنسب.

فمنا من يكن له أب عالم فى مجال ما، ثم يقوم هذا الابن بالافتخار أمام أصدقائه، أنه يمتلك أب عالم، نعم، إنه افتخار، لكنه افتخار عاجز.

ويخاطبنا الشاعر قائلًا:

ليس الفتى من قال كان أبي
إن الفتى من قال ها أنا ذا

وقد رأيت الكثير من الناس لا الإعلامين فقط، لا السياسيين فقط، لا المسؤولين فقط، بل من العامة والدهماء، ومن الجهلة والحكماء، ومن الأغبياء والأذكياء.

الجميع يتكلم ويتلفظ بكلمة لا بد أن ننهض، لا بد أن نسير، لا بد أن نجتاز تلك المحنة، لا بد وأن نرجع إلى المنافسة العالمية.

وأتساءل هنا :

كيف؟!

الجميع يعطي شعارات، ولا أحد يعطى مهارات وإبداعات.
فالمدرس لا يقوم بواجبه على أكمل وجه، ويقوم بكتابة الدرس على الحائط، ويأكل ويشرب ويتكلم وينشغل عن تأدية مهمته، ومع كل ذلك لا يريد أن يُنقص من ماله شيئًا، وهو يفعل كل هذه الفوضويات ولا يريد أن يُنقص من ماله.
والسؤال هنا :
هل ماله حلال أم حرام؟
بالتأكيد حرام، لأنه سرق الوقت وأخذ حقه كاملًا، ولم يعط المطلوب، ومع ذلك يعطي دروسًا خصوصية، ويقول التعليم فاسد!
إنه يريد أن ينهض، لكن بدون مشقة، وبدون تعب، وبدون عناء.
يريد أن يطير مع العلم أنه لا يجيد الطيران!
والمتنبي يخاطبنا قائلًا :
لولا المشقة ساد الناس كلهمُ
الجودُ يفقر والإقدام قتالُ
يقول التعليم فاسد ولا يفكر هو في شيء جديد ليضيفه، ويفيد مجتمعه ودولته وأمته والبشرية.
وكذلك الإعلامي والمحلل والمزارع والنجار، إلخ.
ولا أحد وقف مع نفسه وقال:
كيف ننهض؟
ومنا من يقول :
مصر تفرح، مصر تهرول، مصر تجري، مصر تطير، مصر نجحت.
فكل هذه الشعارات لا فائدة منها، نريد أن نطمئن الشعب بهذه الشعارات كي لا يغضب، وكي لا ينزعج من هول الأمر.
مع العلم أن الشعب لا يفعل شيء للصعود إلى القمة، ولا المسؤولين عن الشعب، الكل في غيبوبة.
أيها الناس، هل أنتم حقًا أناس؟!
"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". الآية ١١ ـ سورة الرعد.
"ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض". الآية ٩٦

ـ سورة الأعراف.
فالله -جلَ جلاله- وضع التغيير بداخلنا نحن، حتى لا يحتج أحد، حتى لا نتكاسل عن العمل، حتى لا نموت ونحن بانتظار التغيير، فإذا قمنا بعملنا، وخططنا تخطيط استراتيجي، وكنا مع الله -جل جلاله- وكنا أناس روحانيين، لفتحت علينا البركات من السماء قبل الأرض، ولكننا نحاسب الغير ولا نحاسب أنفسنا، نرتكب الخطايا، وندمر مصرنا الحبيبة، ونريدها أن تكون متقدمة، كيف؟!
وليكتب الكتاب، وليرسم الرسامون، وليتكلم المتكلمون، أن مصر عام ٢#٣# سوف تكون في المنافسة العالمية، بمشاعرهم العاطفية، وقلوبهم الهاوية، وعقولهم الملغية.
وأقولها أخيرًا وليس آخرًا، بملء الفم :
مصر لن تنهض في ٢#٣#، ولن تنهض في ٢#٦#، ولن تنهض في ٣#٣#، ما دمنا نعطي شعارات، لا إبداعات ومهارات.
ستنهض:
عندما يكتب الكاتب للناس، لا لنفسه وللشهرة وللمال، ويغير من أفكاره ويأتي بالجديد.
عندما يعمل الطبيب بضمير، ولا يرفع سعر الكشف، وعندما يتخلى عن مص دماء الناس.
عندما يعمل المدرس بجدٍ ويغير من نفسه، ويقوم بعملية التغيير والإبداع.
عندما نغير، عندما نجد، عندما نتوقف عن الثرثرة والشعارات، عندما نعطي مهارات وإبداعات، ستنهض مصر، ستزهو مصر، ستخلد مصر، ستبقى مصر.
هل سيقبلني هذا المدير، أم سيكون الحاجز بيننا كلية الصحافة والإعلام، التي لم ألتحق بها؟
لا أعرف!، المهارات لا ترتبط بأشياء، المهارات ترتبط بالإبداعات، وأنا لست من الهواة في الكتابة، ربما يسلط الضوء على بعض أخطائي اللغوية، لكني لا أكتب بالقواعد اللغوية، وإنما أكتب بالقلب، ما دام القلب ينزف، فلا بد أن ينزف القلم معه.
وإن رفض فسأذهب لغيره، إلى أن أصل إلى الحلم الذي أريده، ربما ليس الحلم الأمثل، ولكنه سيفتح لنا بابًا للحلم الأمثل.
أتتذكر يا رجل عندما قلت: لن يتوقف قلمي عن الكتابة، ما دام يأخذ حبره من دم

قلبي.
أتذكر هذه الكلمات التي كانت تشعلني عندما أتوقف عن الكتابة لفترات معينة، لا بد وأن أدونها في غرفتي، بل في جميع غرف البيت، حتى إذا تكاسلت أراها، فأزيد حماس مرة ثانية وعزيمة وإصرار.
أغلق فمك أيها المحمول المزعج، لا تزعجني الآن، أو تكلم لكن بصوت هادئ.
هذا الرقم ليس مسجلًا عندي على الهاتف، ماذا؟!
ـ ألو.
ـ محمد.
ـ أيوه، مين معايا؟
ـ أنا عاوزك تجيلي بكره الساعة ١١ صباحًا في الجريدة.
ـ حاضر يا فندم.
ـ سلام.
ـ سلام.
هل عجبه المقال، أم يريد أن يقتص مني، لأني ضيعت له وقته في مقال لم يكن بالشكل المطلوب؟ لا أعرف، لا أعرف، لا أعرف.
آه من الحيرة، لا بد أن أهدأ وأنام حتى لا أتعب من التفكير الشيطاني.
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام، نعم!
ـ المدير مستنيني.
ـ حضرتك مين؟
ـ أنا اللي هيقدم الجريدة بتاعتكم وهيخليها أفضل مجلة في الشرق الأوسط، افتكرتي؟
ـ أيوه افتكرت، المدير بانتظارك، اتفضل أدخل.
ـ شكرًا.
سأتمالك حتى وإن رفض هذا المقال، سأتمالك وإن كان رأيه على غير هداي، فأنا لست أتأثر بالمؤثرات الخارجية، أنا أكبر من الاستسلام والضعف، انا أكبر من الرفض، أنا الماضي، أنا الحاضر، أنا المستقبل، أنا الحلم.
ـ ايه يا عم الكلام الجامد دا؟!

ـ شكرًا يا فندم، يعني عجب حضرتك؟
ـ طبعًا، لكن أنت مدرستش فنون كتابة المقال.
ـ فعلًا، لكن درست فن الخطابة، وفن الإلقاء، وفن التأثير، وأجيدهما بدرجة الامتياز، وهذا ما يميزني عن الكثير من الكتاب.
ـ أنت مشكلة.
ـ حضرتك يا فندم ممكن ترفض وتجيب أي شخص بيعرف يكتب المقالات، لكنه لا يجيد توصيل المعلومة للناس والتأثير فيهم!
ـ بس أنت ليه كاتب المقال دا وحاطه في أولوياتك؟
ـ لأني كنت داخل بيه مسابقة إبداع ٥ واترفضت، بس مش من لجنة إبداع، ولكن من لجنة الدلتا اللي كانت بتقيم أعمالي وأعمال كل المتسابقين، أنا عارف إنهم رفضوني عشان لا أجيد ترتيب أولويات المقال، لكن حضرتك لو جيت تبص على كل المقالات كلها هتلاقي كلهم شبه بعض وكلهم مفيش فيهم رسالة.
ـ وأنت ايه اللى عرفك؟
ـ لأنهم وصلوا ابداع.
ـ مش بقولك أنت مشكلة!
ـ تعرف حضرتك يا فندم، أنا لو كنت في لجنة التحكيم وبقيم الأعمال، عمري ما كنت ركزت على صياغة المقال وشروطه والأخطاء الكتابية واللغوية والنحوية، ولكن كنت هركز على الرسالة اللي فيه، حضرتك الشروط والحاجات دي سهلة تعلمها، ولكن من الصعب تعلم فن الإلقاء والتأثير، وفن الشجاعة، وفن الروح، وفن إبداء ما عجز عنه الكثير أو ربما لم يشعر به الكثير لذلك لا يبدونه لنا ولكل الناس، وغير كده يا فندم الشركات العالمية لما حد بيجي يتقدم للوظيفة اللي هما عارضينها، مش بيركزوا أوي على الجانب العملي، بل بالعكس، بيركزوا على الجانب النفسي، وحسب الدراسات إن المادة العلمية بتمثل ٧٪ فقط من شخصية الإنسان، وفن الاتصال وفن الإلقاء وفن الخطابة وكل دا داخل فن التأثير بيمثلوا ٩٣٪.
ـ عاوز كام فى الشهر؟
ـ على قد عملي وجهدي وابداعي.
ـ ٩## حلوين؟

ـ وإن زدت فمن كرم سيادتكم.
ـ ١٢## ماشى؟
ـ وزيادة الخير خير.
ـ أنا كنت بقول عليك مشكلة بس، لكن دلوقتي اقتنعت إنك مجموعة من المشاكل، بس لازم تتعلم كيفية كتابة المقال وشروطه وقواعده وشوية حاجات كده، مع شوية تدريب.
ـ ممكن أسأل حضرتك سؤال يا فندم؟
ـ اتفضل.
ـ مين اللي وضع للمقال شروط وقواعد ولوائح؟
ـ مش عارف، بس أكيد إنسان!
ـ حضرتك قولت أكيد إنسان، وهل هو صائب في جميع الأحيان؟
ـ أظن لأ!
ـ طب هو يؤخذ ويرد عليه، ولا يأخذ منه فقط؟
ـ بالطبع يؤخذ ويرد عليه!
ـ وأنا إنسان، وزي ما هو ضاف أشياء جديدة، أنا بضيف أشياء جديدة، المهم إن الطريقة اللي تأثر في الناس هي دي الطريقة اللي المفروض نمشي على نهجها، ولا بد أن نقبل بالتغيير والتجدد والاستمرار، ولا كلامي خطأ؟
ـ أنت ازاي كده؟!
ـ طبعًا مش زي الناس، ولكني أحب الجنون، ولذلك أنا هكذا.
ـ روح شوف شغلك مع الأستاذ عمرو، وهو هيقولك ايه المطلوب منك.
ـ شكرًا يا فندم على موافقة حضرتك بالعمل في هذه الجريدة.

تعمق إذا شئت في التفكير والمناوشات الفكرية، لكن احذر أن تصاب ببعض من جنوني، هل حقًا قد أصبته ببعض من جنوني، أم أنه يريد أن يجن مثلي، أعلم أنه يطرح على نفسه هذه الأسئلة الآن :
من هذا الشاب؟
لماذا هو هكذا؟

كيف صار هكذا؟
هل تغير العالم حولنا بهذه السرعة، لكي يخرج لنا شابًا مثل هذا الذي قابلته؟
هل المنافسة العالمية تحتاج إلى الجنونية، وليست العقلية؟
لا أعرف لماذا قبلت هذا الشاب؟
إنني دائمًا لا أعين أحدًا إلا بالمعايير التي وضعتها، وماذا يفيد؟! فقد وضعت المعايير وجاء الكثير وكان من ضمنهم أشخاص يتمتعون بنفس المعايير التي وضعتها، وما الناتج؟ لا شيء!، الجريدة كما هي لا تتقدم، وكل هذا كان في وسط الأمور العقلية، فيجب أن أخوض مرحلة الأمور الجنونية مع هذا الشاب، لنرى جميعًا هل المعايير المنصوص عليها والتي تتماشى مع العقلاء هي التي ستنتصر أم الجنون؟
هل الجنون سيتخطى جميع الحواجز، أم سيصل إلى نفس درجة العقلية، أم سيكون أدنى من العقلية ويؤدى بيَ إلى الهلاك والموت السوقي؟
تحير كما أردت أيها المدير في أفكارك، أو في الأفكار التي وضعتها لك في ذهنك، كما تحيرت أنا بالأمس عندما استقبلت ضيفًا كان بعيدًا، ألا وهو تفكيري، فلتأخذ نصيبك أيها المدير الآن، وسأخذ أنا نصيبي من مقالي الذي نال إعجابك، وغدًا إن شاء الله سينال إعجاب الملايين.
ـ ماذا تريد؟
ـ أنا عمرو.
ـ ما أنا عارف إن حضرتك الأستاذ عمرو.
ـ محمد ورانا شغل عاوزين ننجزه.
ـ بس كده، حاضر.
ـ أنت بتسخر مني؟
ـ لأ ازاي، أنا مرضاش كده لنفسي.
ـ ماشي يا عم محمد، بس لازم تحترم نفسك شوية، أنا أكبر منك.
ـ حضرتك أنا محترم، والكلمة دي مسمعهاش تاني، وهو أنت أكبر مني في السن؟ دا اللي قصدك عليه، صح؟
ـ لأ في كل حاجة.
ـ لأ أكبر مني في السن بس، وأنا أكبر منك في حاجات تانية.

ـ زي ايه؟
ـ في الفلسفة.
ـ يا بني أنت بتهزر وشكلك هتنسينا شغلنا.
ـ طظ في الشغل، المهم يبقى مزاجك تمام.
ـ يمكن عشان أنت رايق وبتضحك كتير.
ـ بالعكس، أنا موجوع بس مخبي، تعرف أنت فكرتني ببيت شعر للمتنبي :
لا تحسبن رقصي بينكم طربًا
فالطير يرقص مذبوحًا من شدة الألمِ
ياه يا أبا الطيب، لقد اشتقت إليكَ وإلى أشعارك، اشتقت إليك بدون أن أراك، كما اشتاقت لك جملة، من سماع شعرك.
ـ مين أبا الطيب دا؟ ومين جملة دي كمان؟
ـ دول بتوع فيلم الظاهر بيبرس.
ـ أنا قولت كده برضو!
ـ مفيش فايدة، سعد زغلول!
ـ المهم أنت تشد حيلك الأيام الجاية، وتكتب مقالات كويسة عشان الجريدة تبقى أفضل جريدة فى الشرق الأوسط.
ـ حاضر، وأنت مش هتكتب حاجة جديدة؟
ـ هكتب طبعًا، وهتشوفها إن شاء الله.
ـ إن شاء الله.
أخيرًا، فلتذهب يا عمرو إلى ما تريد أن تنافسني عليه، فقد سئمت منك، ولكي تثبت أن مكانك ما زال موجودًا، لأني دائمًا أستحوذ على الأشياء، إذا سنحت ليَ الفرصة.
لكني الآن لست مستعدًا، أريد أن أذهب إلى الفراغ، إلى الهدوء، إلى الاتزان، إلى الشحن، ولكن لشحن نفسي بحالة الهدوء والدخول فى مرحلة الألفا، لكي أستجم، وللبعد عن مرحلة البيتا.
دائمًا ما يبحث الإنسان عن التميز وعن الاختلاف، أما أنا فلست أبحث عن الاختلاف وحسب، بل عن اختلاف الاختلاف، ولذلك قررت أنا أختلف عما أختلف، وأن أتميز عن ما أتي به إلى التميز.

الوصول إلى القمة يتطلب عزيمة، إصرار، انضباط، التزام، ثقة، والجميع ينظر إلى العزيمة والإصرار والانضباط والالتزام فقط أنهما المصادر التي يحتاجها الإنسان للوصول إلى القمة، ولكن بدون ثقة ستضيع العزيمة، سيضيع الإصرار، سيضيع الانضباط، سيضيع الالتزام، سيضيع كل شيء.

نعم إنها الثقة، عندما يفقد الطالب الثقة في نفسه وهو داخل لجنة الامتحان، يؤدى هذا إلى الرسوب.

عندما يفقد اللاعب الثقة في نفسه يكون كالمجرد من ثيابه.

عندما يفقد المقاتل الثقة في نفسه يكون كالحيران، يتخطفه الطير من كل مكان.

عندما يفقد الإنسان الثقة في نفسه سيكون بلا حياة، سيكون بلا وزن، سيكون بلا شيء، آسف لن يكون.

ـ اتفضل المقال بتاعي يا حمام.

ـ طب استنى كده.

ما هذا الهراء الذي كتبته أيها الجهول؟! أهذا هو النمط الذي يسير عليه كل الموظفين هنا أم ماذا؟!

ـ ايه القرف دا اللي أنت كاتبه؟!

ـ قرف ايه يا عم، احترم نفسك معايا بقى.

ـ أنت صحفي أنت؟!

ـ المقال فيه حاجة؟

ـ دا مستحيل يتنشر.

ـ هيتنشر وهتشوف.

ـ طب ماشى هنشوف.

صوت مرتفع وضجيج غير عادي، هل أحد قد طلب من المدير أن يزود راتبه! فمعظم المديرين يموتون إذا طُلِبَ منهم زيادات، والبعض الآخر إذا جاء أحد الموظفين بأفكار جديدة.

ـ لو سمحت يا أستاذ محمد.

ـ نعم!

ـ المدير عاوزك.

ـ شكرًا.
لا مفر، لا مفر من العقاب، بالطبع قد قال له عمرو، أنا لا أخاف من أي إنسان، أنا لا أخشى إلا الله -عز وجل، مهما كانت القرارات، مهما كانت النتائج، لن أغير موقفي، لن أغير من نفسي لأجل أناس تافهين، يريدون أن يعيشوا كالحشرات، تتخفى حتى لا يدوسها أحد بقدميه.
ـ أنت بتقول إن مقال الأستاذ عمرو مش عاجبك؟
ـ أيوه يا فندم.
ـ ليه؟
ـ لأنه بينافي الحقيقة.
ـ طب أنا عاوز منك مقال يتماشى مع الحقيقة.
ـ بس كده، حاضر.
ـ اتفضل يا أستاذ محمد وريني شغلك.
ـ شكرًا يا فندم.
لماذا كل هذا الغضب؟
لماذا لا يتفهمون الأمور من جميع جوانبها؟
لماذا يرفضون حرية التعبير والإبداع؟
لماذا يتجمدون بآرائهم؟ وإن كانت صحيحة فلا بد من أخذ المشورة!
لماذا التسلط والرجعية والسطحية؟
لماذا كل هذا؟
سوف آتيك إن شاء الله بمقال سيكون بدايتي في الارتقاء،
أو نهايتي في الانتهاء!
لا بد أن آتيك بما يشعر به الناس، إذا كان الناس لا يستطيعون أن يوصلون أصواتهم فأنا أمثلهم، وواجب عليَ أن أجعل صوتهم يرفرف في السحاب بين الطيور.
اليوم ليس يوم الكلام، اليوم يوم الفعل.
أتغضب مني أنا أيها المدير؟! ربما لأنك قد تعودت على المقالات التافهة.
سأكتب، سأعبر، سأغير، سأوصل، سأكون أنا وليس المدير، فلتأتي أيتها الكلمات، لماذا توقفتِ الآن؟

هل لأنني غاضب؟ لا تنزعجي مني، فأنا منزعج من نفسي، لماذا الكل عليَ الآن؟ سأصرخ حتى لا أختنق، حتى لا أنفجر، حتى لا أموت.
أخيرًا، فليكن هذا.
الفوضى فى الكتابة!
نتحدى القلب، والقلب يتحدى القلم، والقلم يتحدى نفسه، نكتب، ليس لأنفسنا نحن البشر، نكتب لأناس، آسف نكتب لحيوانات تحت مسمى الناس والبشر، نكتب لهم لكي ننال رضاهم، حتى لا تضيق علينا الأرض بما رحبت، حتى لا ننتهي، حتى نأخذ مالًا يفي باحتياجاتنا الدنية، احتياجاتنا وشهواتنا التي تتغلب على إنسانيتنا، احتياجاتنا التي تقضي على الحب، على المشاعر، على الأحاسيس، على الناس، على النباتات، على الحيوانات، على البشرية بأكملها، على الأرض وما دب عليها.
سنكتب ليس للحق، ليس للعدل، ليس للخير، سنكتب للباطل، سنكتب للظلم، سنكتب للشر.
سنكتب للذين يأتون بالطعام والشراب لإفادة الناس، مع جرعة الديدان، الأنيميا، البلهارسيا، الفشل الكلوي، الفيروس، السرطان.
سنكتب للذين يجرعوننا جرعات الموت، سنكتب لقتلة الأطفال، سنكتب للذين يعيشون على أموالنا، للذين يقتلوننا باسم رجال الأعمال.
فلتبكي أيها القلم، ولتنزف دمًا بدلًا من الدموع، ولتتجرع ما أتجرعه الآن. ليت الحبر توقف عن سير سيله، وتمرد كما تمرد الفيل عندما جاءوا به لهدم الكعبة الشريفة.
أخيرًا انتهيت، انتهيت من كتابة هذا المقال، وبعد قليل سأنتهي من هذه الوظيفة، إن لم يغضب المدير من هذا المقال، أو يغضب، فماذا سيحدث؟ سأطرد؟! تعودت على هذا!، يومًا ما سأصل إلى حلمي، وسأجتاز كل هؤلاء الكراسي.
ـ اتفضل يا فندم.
ـ دا المقال الجديد يا محمد؟
ـ أيوه يا فندم.
ـ طب خليك معايا شوية لحد ما أخلص.
ـ ماشي يا فندم، وشكلها هتكون آخر مرة هنقعد مع بعض.
ـ بتقول ايه؟!

ـ لأ مفيش يا فندم، دا أنا عشان منمتش كويس فبخرف، اتفضل يا فندم اقرأ المقال.
ـ حاضر.
أنا أعلم أن هذا المقال سينهيني الآن، سيقودنى إلى الهلاك والضياع والانهيار والانتهاء، لكني أفضل الهلاك في الدنيا لكي أحيا في الآخرة.
بلا شك سألقى مصرعي الآن، صبرًا أيها الوجع، فلتأتي بعد الانتهاء من قراءة المقال، ستأخذ نصيبك مني، ولكن لا تكن شديد اللطم، فأنا أخشاك وأخشى كل سراياك.
ـ ايه يا بني دا، حرام عليك أنت عاوز تموتني؟!
ـ لأ يا فندم، دا أنا اللي كنت فاكر إن حضرتك اللي هتموتني!
ـ أنت بتهزر؟
ـ لأ يا فندم.
ـ أنت عاوزني أنشر الكلام دا؟
ـ دا لو حضرتك تكرمت!
ـ أنت جيتلي منين يا بنى؟!، أنت عاوز تقفل الجريدة يا بني؟!
ـ يا فندم أنا بقول الحق، واللي مفروض يتنشر.
ـ متيجي تقعد مكاني وتقول ايه اللي يتنشر وايه اللي ميتنشرش.
ـ قريب إن شاء الله.
ـ يا بني أنت عاوز مني إيه؟!
ـ يا فندم لو احنا سكتنا، رجال الأعمال دول هيقضوا على الشعب وهنكون منهم أنا وحضرتك والأستاذ عمرو.
ـ ملكش دعوة بعمرو، وغير كده أنا مش من الشعب.
ـ أمال أنت من مين يا فندم؟!
ـ أسكت بقى خنقتني.
ـ حاضر يا فندم.
ـ تحبها إقالة ولا استقالة؟
ـ إقالة.
ـ ولك هذا.
ـ شكرًا يا فندم، أنا كنت عامل حسابي، سلام.

إلى أين أنا متجه؟ لا أعرف!، لكن مؤكد سأذهب إلى مكان خير من هذا، إلى مكان خالٍ من النفاق، خالٍ من المهابة والتعظيم لأشخاص وحشيين.
إلى متى ستظل الكلاب تنهش في لحم أبنائها؟!
أنا في بداية الطريق وشوفت اللى محدش شافه، أو ممكن شافه أحد الناس، لكنه رفض أن يستمر، ولكني سأستمر وسأظل عند موقفي، لمعرفة لماذا تخلفنا؟!

الشيف

عندما كنت صغيرًا كنت أتوق للأكلات السريعة ولا أعرف اسمها، ولكنها كانت تتعمق بداخلي للمعتها الخارجية، ربما الداخلي غير الخارجي، ولكننا دائمًا ما نعجب بالمظاهر والشكليات أكثر من المخفيات.
وكنت دائمًا أسأل نفسي هذه الأسئلة :
هل هذه الأطعمة حقيقية، أم هي صورة فقط؟
إذا كانت هذه الأطعمة حقيقية فمن الذي ابتكرها؟
كيف خرجت تلك الأطعمة بهذا المنظر الأكثر من رائع؟
هل هذه الأكلات للأغنياء فقط؟
هل سيكون من حسن حظي أن أنال شطيرة من تلك الشطائر؟
كانت أسئلة، وكبرت وظلت معي تلك الأسئلة، لم أبح بها لأحد إلا نفسي، ربما يندم البعض عندما ينمو على كل ما فعله في صغره ويستحقر نفسه، أما أنا فإني فخور أنني كنت هكذا وسأظل أنا، وستظل أسئلتي معي ولن أتركها حتى تحقق حلمها.
"لو كنت غيري لصرت أنا مرة ثانية".
محمود درويش.
سأذهب إلى أحد المطاعم لكي أعمل، أنا أحب الطهي، وأحب تلك الأكلات، ليس لأني أريد أن أحصل على تلك الشطائر في أي وقت، ولكن لأنني أحب أن أكون واحدًا من الذين يصنعون تلك الشطائر.
سأذهب وسأقوم بتحقيق حلم كانت نفسي تتوق إليه ولتحقيقه منذ الصغر.
اليوم هو أول يوم في هذا العمل، لا أعلم أي شيء عن المكونات وعن الأشياء وعن الأكلات، ولكنني لست قلقًا، لأن الذي اكتشف هذه الأكلات كان إنسان، والذي فعلها كان إنسان، وكل إنسان نزل لا يفقه شيء، وبالتعلم أصبح يمتلك الكثير من الخبرات والكفاءات، وأقول: أنا كذلك إنسان.
انتهى اليوم الأول، وتلاه الثاني، ثم الثالث، الشهر الأول انقضى عمره، والثاني كذلك،

قد تعلمت الكثير في هذا المطعم، الآن علمت أن هذه الشطائر وهذه الأكلات لم تكن مستحيلًا ولا عائقًا أمامي، ولكن العائق أمامي كان هو الاعتقاد.
عندما كنت صغيرًا كان يملأني الحماس لصنع هذه الأكلات ولتذوقها، ولكن لم يكن لديَ اعتقاد أنني أستطيع أن أفعلها، وكذلك سولت ليَ نفسى أنني لست الشخص الذي يستطيع أن ينفذ هذا، ليس أنا الشخص الذي خلق لهذا، ولكن اليوم أدركت أن الإبداع غالبًا ما يأتي بالممارسة والجهد.
" إن المثابرة والكد والصبر هي أساس النجاح، وإن نسبة الوحي والإلهام هي ١٪ و ٩٩٪ عرق وجبين".
توماس أديسون.
ـ طبعًا يا عم محمد أنت مبسوط معانا؟
ـ يعني.
ـ يعنى أنت مش مبسوط؟
ـ لأ مبسوط بس مش أوى.
ـ طيب يا عم محمد!
ـ أنت بتعمل ايه استنى!
ـ ايه!، بقطع الفلفل.
ـ الفلفل دا مش مغسول.
ـ ما أنا عارف.
ـ طب أنت هتقطعه وبعد كده هتغسله ولا ايه؟
ـ لأ هطلعوا بره نعمل الأكل منه.
ـ أنت مجنون!، أنت عاوز تخلي الناس ياكلوا فلفل متغسلش؟!
ـ أه.
ـ يا بني حرام عليك!
ـ يا بني ما هما بياكلوا طماطم حمضانة، ولحمة فاسدة، وبندوس عليها على الأرض، وغير كده كل دا على الجريل بيروح.
ـ ازاي؟
ـ يا بني أهم حاجة عند الزبون شكل الحاجة من برا تكون حلوة وشيك.

ـ ومن جوا ضايعة؟!
ـ يا عم محمد متدقش، دول بهايم بياكلوا أي حاجة.
ـ أنا هقول للمدير.
ـ ما تقول أنا هخاف، وغير كده هو عارف.
ـ يعني عارف وساكت؟!
الآن انتهى كل شيء، لا أريد أن أستمر في هذا العمل، كنت أسمع عن التسمم الطعامي، وكنت لا أصدق أن الطعام يأتي بالتسمم إلا عن طريق المعلبات التي انتهت صلاحيتها.
أما اليوم أدركت كيف يأتي التسمم ويأتي المرض وربما يأتي الموت من تلك الوجبات الضارة.
كل ما تمنيته اليوم أصبح هباءً منثورًا، كنت غافل ومغفل عن كل الحقائق، أأندب حظي على أنني كنت ساذجًا، أم أفرح لأنني علمت مبكرًا عن ما يحدث في تلك الأطعمة؟
سأقسم نفسي إلى شطرين :
شطر للحزن،
وشطر للفرح.
هل أنا كنت واحدًا من هؤلاء البهائم الذين كانوا يأكلون؟
ربما كان خطأي أنني كنت أهتم بالشكليات أكثر من المخفيات.
الآن تعلمت الدرس، وتعلمته جيدًا، الآن أعلم ما يحدث، ولكن العلم ليس كافيًا، لا بد وأن يصحبه قرارًا قاطعًا، أن لا أذهب إلى هذه الفوضويات مرة ثانية.

الملحد

خلق الإنسان وخلق معه أفضل الأشياء، وقد فضلنا الله -سبحانه وتعالى- به على سائر المخلوقات، ألا وهو العقل التحليلي، العقل الذي ألقبه أنا بالفلتر، ليقوم بالتحليل المباشر للمعلومات الآتية في ذاك الوقت مع الدراسات السابقة المخزنة، ثم إخراج أفضل الآراء وأفضل الاختيارات.

نحن البشر متساوون مع عالم الحيوانات في العقل العاطفي، فالحيوانات جميعها تمتلك العقل العاطفي، وبذلك تجد الحيوان يهجم ويشن الحرب على حيوان آخر، والحيوان الآخر يلتزم بالهروب من هذه الواقعة المؤلمة، وحتمًا إن لم يكن له قرارًا بالهروب، سوف يكون طعامًا لذيذًا للحيوان المفترس.

وجاء العقل ومعه الأسئلة الملحة على معرفة كل شيء، فهو لا يهدأ له بال إلا إذا علم ما لم يعلم، بطبيعته وفي غريزته فن الاستطلاع والفضول، ليس لمعرفة ما يريد أن يعرفه الآن، ولكن لمعرفة ما سيكون بعد الآن.

أحب السوشيال ميديا، لأنها تزدني بالمعلومات الرائعة، وتوفر عليَ جهد قراءة الكتب ومال شرائها، ولكنني لست مغرمًا بها كما يفعل البعض، البعض يظل على السوشيال ميديا أكثر من نصف يوم، إنجاز، لا شيء، زيادة معلومات، لا شيء، وصل أرحام، لا شيء، عمل، لا شيء، سب، نعم، بغضاء، نعم، ضياع وقت، نعم، ضياع عمر، نعم.

إنه الاستخدام، إن صلح، صلحت السوشيال ميديا، وإن فسد، فسدت السوشيال ميديا.

ليس من العقل أن نهاجم السوشيال ميديا لأن لها أضرار كثيرة، ولكن من العقل أن ركز على الإيجابيات الموجودة بداخلها ونعمل بها.

ما الدليل؟

عندما جاء أحد السائلين يسأل الشيخ الشعراوي :

هل التلفزيون حرام يا شيخنا؟

فكان الرد كالآتي :

الكثير منا يستخدم السكين، ولكن هنا الاستخدام، فمنا من يستخدم السكين للطعام ومتطلبات الحياة، ومنا من يستخدم السكين في الطرق الخاطئة، كترويع الآمنين والهجوم عليهم وسلب ممتلكاتهم بتهديد السكين، والقضاء عليهم بضربة أو بضربات من السكين، فهنا الاستخدام هو الذي يحكم على الشخص، وكذلك التلفزيون إذا كان استخدامك يرضي الله -عز وجل- فهذا استخدام محلل، وأما إذا كان الاستخدام يأتي بالمحرمات ويعصي الله -عز وجل- فهذا استخدام محرم.

كانت كلمات فى غاية الأهمية، ليتني علمتها قديمًا، لتغيير قناعات اكتسبتها منذ الصغر، ولتغيير إدراكًا سلبيًا، واللجوء إلى الانفتاح وعدم التغطرس والتشدد والتقديس للأشخاص وللأشياء بدون وعي ولا إدراك، ونحن فاصلين الأنبياء والرسل والصحابة وعباد الله الصالحين والمقدسات الدينية.

هاي.

ـ لأ مش هاي.

ـ ليه؟

ـ لأن أنا مسلم، وتحيتنا السلام عليكم.

ـ ما علينا من التحية، أنت بتقول إنك مسلم؟

ـ تمام.

ـ ليه؟

ـ عشان الإسلام دين رحمة ومحبة وسلام.

ـ طب ليه الإسلام حرم الخمر والزنا؟

ـ أنت مسلم؟

ـ لأ.

ـ أمال أنت ايه؟

ـ أنا ملحد.

ـ بص حضرتك، قبل ما نتحاور لازم نتفق على شوية حاجات.

ـ ايه هما؟

ـ أولًا: الاحترام.

ثانيًا: عدم ترك البديهيات.

ثالثًا: الاقتناع.
ـ وزي ما الحكمة بتقول: الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، الحكمة دي تكون شعارنا احنا الاتنين.
ـ موافق.
ـ بس ليه حضرتك اخترتني أنا بالذات؟
ـ لقيتك بتنشر حاجات كويسة، وفيه سماحة ورحمة وحب، فقولت أتكلم معاك في شوية نقط كده أنا مش مقتنع بيهم، عشان أنا كلمت شيوخ وناس كتيرة والكل كفرني، ومحدش فهمني، والكل كان بيتكلم باسم الدين ومحدش فيهم بيعمل بالدين.
ـ شكرًا يا فندم، بس دلوقتي قبل ما نبدأ لازم نتفق على حاجة كنت ناسيها وافتكرتها دلوقتي.
ـ ايه هي؟
ـ المرجعية، يعنى نتفق على الأشياء اللي بتقنعك.
ـ ايه هما؟
ـ أولًا: القرآن الكريم.
ثانيًا: السنة المحمدية.
ثالثًا: العقل.
ـ أنا ملحد!
ـ ما أنت ممكن تكون ملحد بالسنة بس!، ممكن تكون ملحد بالله -عز وجل- بس!
ـ أنا ملحد بكل شيء.
ـ طيب مفيش قدامنا دلوقتي إلا العقل، هترضى نتحاور بيه ويكون هو الحكم بينا، ولا حضرتك مش موافق على العقل كمان؟! ولو مكنتش موافق أنا مقدرش أدخل حوار عالفاضي ونقعد نزعق لبعض والكل يبقى عاوز يثبت إنه الصح وخلاص.
ـ تعرف، أنت أول واحد يكلمني كده ورأيه منظم وفاهم؟!
ـ شكرًا يا فندم، لازم الحوار يكون مبني على أساسيات وبنية تحتية.
ـ أنا موافق على العقل.
ـ تمام، أنت بقى بتقول ليه الإسلام حرم الخمر والزنا صح؟

ـ صح.
ـ طبعًا أنت أكيد عارف اللي بيحصل دلوقتي في العالم؟، لأن العالم دلوقتي أصبح دولة صغيرة بوجود التكنولوجيا والإنترنت.
ـ صح.
ـ طبعًا سمعت كتير إن فيه ناس كتيره من اللي بيروحوا الحانة بيرجعوا مش سكرانين وممكن يقتلوا أي حد وهما مش في وعيهم؟
ـ سمعت.
ـ وسمعت طبعًا أو شوفت ناس كتير بترتكب جرائم وهما سكرانين؟
ـ فعلًا.
ـ وغير كده الواحد بيشرب خمرة ليه؟
ـ مش عارف!
ـ فيه اللي بيشرب عشان يهرب من أوجاعه وينسى، وفيه اللي عاوز يشربها بس عشان يقول إنه حر ويحسس نفسه إنه مش متقيد بحاجة، وفيه اللي بيشربها عشان هو غني وعايش فى ترف وثراء ولا بد من البروتوكول ابن الكدابة دا، وكل دول في الآخر خسرانين.
الأول: بيهرب من مشاكله، ومش قادر يواجهها، فدا إنسان ضعيف.
التاني: عاوز يكسر كل القواعد الربانية تحت مسمى الحرية، حرية ضايعة بتجيب الهلاك لصاحبها دنيويًا قبل دينيًا، وهو مفكر إن الحرية في كده. واسأل أي حد من الصنف دا وقول له: أنت بتشرب الخمر وبتقول عشان تبقى حر ومفكر إن سعادتك هنا، هل أنت فعلًا سعيد؟
التالت: اللي بيشربها عشان يهرب من الفراغ اللي هو فيه، وعشان الثراء اللى عنده، ولازم يبقى على مستوى عالي زي صحابه الفاشلين والضايعين، وبرضو هو محروم من السعادة.
وتعالا بقى في الطب،
تعرف إن الخمر بيجيب فشل كلوي! وبيجيب مرض الكبد! ومع مرور الوقت بيجيب شلل لبعض أجزاء جسم الإنسان.
كان مرة دكتور راح لمدمنين الخمر، وكان جايب معاه إزازتين:

الأولى: فيها ميه للشرب.
الثانية: فيه خمرة.
وبعدين قام رايح مطلع من جيبه دودة، وراح حاطتها فى إزازة ميه الشرب، فالدودة سبحت قدامهم.
وبعدين قام جايب الدودة وراح حاطتها فى إزازة الخمر، وبعدها بثواني الدودة اختفت.
وقام قايل :
أظن حضراتكم فهمتوا اللي أنا عاوز أقوله، وقام ماشي.
وبصراحة أنا مذهول من كل واحد بيشرب خمر لحد دلوقتي! وتلخيص كلمة الطبيب :
أما المياه ما هي إلا حياة،
والخمر ما هو إلا وفاة.
وندخل بقى على الزنا،
طبعًا العالم كله عارف إن أكثر الأمراض المنتشرة في العالم هو مرض الإيدز؟
ـ طبعًا.
ـ ليه بقى؟
ـ عشان المرأة العاهرة بتستقبل مني أكثر من رجل.
ـ أنت بقى اللي جاوبت على نفسك، ركز معايا فى النقطة دي يا معلم.
ـ حاضر.
ـ مثلًا أنت رايح تقضي ليلة حلوة مع فتاة ليل، ولما أنت جهزت وخلاص الأجساد على وشك الالتحام ببعضها، هي قامت قايلة: أنا عندي إيدز، هتنام معاها برضو وتضحي بحياتك، ولا هتعمل ايه؟
ـ طبعًا لأ، دا مستحيل.
ـ وبفرض إنك متجوز، وجيت من الشغل لقيت مراتك نايمة مع واحد، ولما شافك هرب، وهي فضلت معاك، دلوقتي، أنت ممكن تبادلها العلاقة الجنسية مرة ثانية؟
ـ لأ، دا أنا هقتلها فى لحظتها.
ـ ليه؟

ـ لأنها طلعت خاينة.
ـ وبفرض إنك كملت حياتك معاها، وأنت مش بتقرب لها على فراش النوم، وهي حملت وخلفت، هتبقى فرحان إن جالك مولود، ولا مقهور لأنك مش عارف دا ابنك ولا ابن الراجل اللي نام معاها؟!
ـ طبعًا هبقى مقهور!
ـ عرفت ليه الإسلام حرم الخمر والزنا والقتل والسرقة وكل الفساد؟
ـ وضح؟
ـ ربنا حرم كل دا خوفًا علينا قبل أن يكون تقييد لنا وقوانين تحكمنا، والقوانين الربانية وضعت لإسعاد البشرية ولنجاتها من الهلاك والضياع في الدنيا قبل الآخرة، تخيل لو ظاهرة زي الزنا انتشرت في المجتمع، ايه اللي هيحصل؟
ـ ايه اللي هيحصل؟
ـ هقولك، بالنسبة للي متجوزوش، هيبقى فيه انتهاك للأعراض كتير أوي، وبعدين الناس هتخاف تتجوز، لأنه ميضمنش إنه اللي هيتجوزها طاهرة وعفيفة، والناتج انقراض للكائن الإنساني كما انقرضت الديناصورات.
بالنسبة للي متجوزين، تخيل إن كل الزوجات بتخون أزواجهم، وبيخلفوا ولادهم دول بقى من حلال ولا من حرام؟
ـ مش عارف!
ـ أنا بقى عارف،
من حرام طبعًا، لأن طالما مني حرام دخل رحم امرأة، خلاص كده بالسلامة، وبعد كده تعدد النسب!
ـ يعني ايه؟
ـ يعني ممكن تلاقي واحد عنده أخ من حرام وأخ من حلال، ومحدش يعرف وبعدين يدخل في الورث بعد كده وطبعًا دا مش في ديننا الإسلامي، عرفت بقى إن كل القوانين الربانية في صالحنا؟
ـ عرفت.
ـ طب وقررت تدخل الإسلام ولا عاوز تفضل زي ما أنت كده ضايع؟
ـ ضايع!

ـ طبعًا ضايع!، ولله المثل الأعلى، تعرف إن فيه مستكشفين أوروبيين أخدوا قرد صغير جدًا من أمه وحطوه في غابة تانية مع قرود برضو بتلعب وبتاكل، وهو كان بياكل بس بعدها بأسبوع مات ومستحملش غياب أمه، ولله المثل الأعلى طبعًا.
ـ طب لما الإنسان كده كده هيموت، ليه يعيش، ما يموت نفسه أحسن طالما كده كده هيموت؟
ـ قولي فيه حاجة غالية في حياتك أو حاجة بتحبها؟
ـ عقلي.
ـ حلو، طب ما أنت كده كده هتموت وعقلك هيبقى هباءً منثورًا، طب ما تقتله دلوقتي أحسن قبل ما تموت.
ـ ازاي؟
ـ روح اشرب خمرة واسكر وازني وروح اعمل كل المحرمات وهو هيتمسح لوحده، وأوعى تفكر، خليك زي الأنعام مش بتفكر وعقلك هيموت.
ـ مش بقولك أنت عجبني.
ـ أنت بتحب عقلك لدرجة جنونية، ودا اللي واضح قدامي، بس لو كنت قرأت القرآن الكريم قبل ما تسألني كنت زمانك بقيت مسلم.
ـ ازاي؟
ـ أنت طبعًا مش مؤمن بالله -عز وجل- ولا بأي شيء إلا العقل بس؟
ـ أيوه.
ـ تخيل أنت مخلوق أيام العصر الحجري، وما تعرف أي حاجة عن التكنولوجيا وعن الاختراعات والاكتشافات والانجازات دي اللي احنا بنستمتع بيها اليوم بفضل الله -عز جل- وعقلك مش قادر يكتشف ولا يخترع أي حاجة، ازاي بقى أنت بتعظم عقلك مع إن عقلك عاجز عن التفكير؟!
ـ كمل.
ـ طبعًا أنت مريت قبل كده بمراحل كتير فيها نسيان وسرحان؟
ـ كتير!
ـ مش المفروض إنك بتعظم شيء مفيهوش خلل؟
ـ تمام!

ـ ازاي وهو بينسى!
ـ صح!
ـ وعشان أثبت لك إنك بتعظم شيء فيه خلل، اقرأ الآية الكريمة دي وعلي صوتك :
"وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا". الآية ٨٥ ـ سورة الإسراء.
ـ خلاص أنا هبحث شوية في الإسلام وهشوف كده.
ـ ماشي وربنا يوفقك للهداية وتكلمني تاني وأنت مسلم.
الشك يتعمق بداخلنا، ربما يكون شكًا للوصول إلى اليقين، وربما شكًا للضلال، يقين أم ضلال، الإنسان هو من يقرر، كل إنسان بداخله شخصان، شخص يشك، والآخر يرد، إما بالأجوبة الصادرة لذلك الشخص الشكوك، وإما أن يكون إنسان يشك للوصول إلى اليقين، وإما أن يكون إنسان يشك وضعيف الشخصية، للوصول إلى قتل اليقين.
وما هو الشك إلا أسئلة تطرح بداخل الإنسان، ثم تخرج وتنفض الغبار من عليها للصعود إلى القمة، ثم تخرج وتنطلق دون قيود.

الذهاب إلى اللا شيء

ضيق في التنفس، أشعر وكأن روحي تصعد إلى السماء! ما هذا؟ لا أعرف! ينتابني الآن شعور الاكتئاب والضيق والتنفس من ثقب إبرة.
ما الذي يجري بداخلي؟ لماذا صرت هكذا؟ هل هذه أشياء تراكمت عليَ والآن تضرب بأشد مدافعها؟
أنا لا أحتمل هذا، سأذهب، إلى أين؟ لا أدرى! ولكن سأذهب للخروج من هذا الضيق، وهذه العتمة المظلمة، لا يوجد خيار آخر إلا أن أتمشى في شوارع المنصورة، ولكن أي شارع بالتحديد؟ لا يوجد بداخلي أي شيء لاتخاذ القرار المناسب والسير في أحد الشوارع.
سأذهب وبدون أن أختار، سأجعل اللا شيء هو الذي يختار، دائمًا ما أختار، ولكن اليوم سأكون أنا المختار.
المنصورة وشوارعها الجميلة، إلى أي مكان ستأخذني قدمي سأذهب معهما بدون أي معارضة، سأدخل من شارع، إلى شارع، إلى شارع، إلى محافظة ، إلى دولة، كيفما شاءت قدمي، لن أقهرهما ولن أزعجهما ولن أكون لهما حائط سد ومانع وحاجز.
سأجعل هذه الليلة ليلتهما، هما تحت أمري دائمًا، فماذا سيحدث إذا كنت أنا تحت أمرهما هذه الليلة؟
لا أعرف!
ولماذا لا تعرف؟
ولماذا أعرف؟
نعم أنت محق، فلتكن قدميك هما القائد والموجه اليوم، ولكن هل ستعدل بين أعضاء جسدك بعد ذلك، دون التحيز لقدميك فقط؟
ماذا تعني؟
أعني هل ستسلم نفسك لقلبك ليلة، وعقلك ليلة، وعينيك ليلة، وجميع أعضاء جسدك ليلة بعد هذه الليلة وتعدل بينهم، أم ستكون قدميك لهما التفضيل فقط

عندك؟
فكرة جيدة، ربما نعم، وربما لا، ولكني سأفكر في تلك الفكرة طويلًا.
اشتقت إليكِ، مدينتي المفضلة، اشتقت إلى نسيم هوائك، اشتقت إلى نهارك وليلك، اشتقت إلى هدوئك وازدحامك، اشتقت إلى بردك وحرك، اشتقت إلى كل شيء فيك.
اشتقت إليكِ، أعلم أنني مقصر تجاهك، لا أمُر ولا أزورك إلا قليلًا، ولكن هذا الأمر ليس بيدي، فقد شغلتنا هذه الحياة عنكِ، انشغلنا عنكِ مع العلم أنكِ دائمًا في قلوبنا، والدليل أنني عندما أختنق أذهب إليكِ لأخبرك بما جرى ليَ، وأطرح عليكِ مصائبي لتشاركيني رأيك السديد، رأيك الذي طالما كان صائبًا.
الحياة، ليست حياة، بل وفاة على أرض تسمى الحياة، أتسمعي ما أسمع؟
أسمع نبض قلبك وهو يحترق حزنًا عليَ.
لا تطلقي رصاص دموعك، فأنا اكتفيت من الحزن ولم أعد أحتمل أي بكاء ولا حزن.
هل ستضيفيني كعادتك أم أنكِ غاضبة مني لأني تأخرت عليك؟
أظن أن الكريم لا يتحول إلى بخيل أبدًا مهما حدث، وإن رأى الكثير من السوء والإساءة، فالكريم يظل كريمًا مهما طال الزمان به، بماذا ستضيفيني أيتها الجميلة؟
أنا ما زلت واقفًا، ألا تستحي وتأذني ليَ بالجلوس؟!
لما الصمت هكذا؟
لما التحديق في وجهي؟
لما الخروج عن نصك المعتاد؟
تكلمي، تكلمي، تكلمي.
ما هذا؟!
ما هذا الصراخ؟
من أين هذا الصراخ؟
أهذا صراخك، أم أحد الناس؟
سأذهب عنكِ الآن وأتركك لمعرفة ما يجري هناك، ولكن لنا عودة ولقاء سيجمعنا قريبًا.
ماذا تفعل أيها الحقير؟ فلتذهب إلى الجحيم، سأطيح بك، سأجعلك عبرة لمن لا يعتبر، سيكون مصرعك هذه الليلة على يدي أيها الحقير.

أخيرًا اجتمعوا، وليس كافيًا الاجتماع، بل ساعدوني في ضرب هذا الحقير، أنا فخور لأنني ضربته ضربًا مبرحًا وشنيعًا، وقد نلت منه ما قد سيهديني قليلًا.
لن أكتفي بهذا، سيكون هذا الحقير عريس الليلة، لكي ينال حقه كاملًا في السجن.
لن أكون متواطئًا كما فعل الجبناء من الناس، فهم قد انصرفوا جميعًا، لن أترك هذه الفتاة، سأذهب معها مصطحبين هذا الحقير إلى قسم الشرطة، إن ضل الكثير، فيوجد القليل ليحمي الشجاعة والمروءة والرجولة، لا ولن أتخلى عن تلك الفتاة، أمي، شقيقتي، ربما يتعرضا لموقف كهذا، ويرسل الله - عز وجل- أحدًا لنجدتهم، كما أرسلني إلى تلك الفتاة.
ربما كان الضيق والاختناق، وذهابي إلى حبيبتي هذه الليلة كان مقدرًا لإنقاذ تلك الفتاة، اللهم إني لا أحسن التدبير فدبر ليَ أموري يا رب.
ـ أيها الأمين أنا عاوز أفتح محضر، عشان الحقير دا كان بيتحرش بالبنت الغلبانة دي.
ـ طب اقعد هنا شوية كده.
نظراتك أيها الحقير تتبعني، بداخله كلام يريد أن يفيض به في وجهي، ولكن مثل هذا الحقير يكون له رغبة في الحديث كيف؟!
نظراته بداخلها جرح عميق وآهات، دعك من هذا إنه مجرم وقد اقترف جريمة لا تغفر له مهما كان السبب، لا داعٍ للتبرير لهذا المجرم، لأنه ارتكب جريمة شنعاء.
ـ أنت ليه ضربتني؟
ـ عشان أنت واحد مش محترم ومش متربي.
ـ وأنت كده ربتني؟
ـ مش بالسرعة دي، بس ممكن تيجي على فترات لو شوفتك بتعمل حاجات زي دي تاني.
ـ على فكرة أنا ممكن كنت أضربك وأقتلك كمان بس مرضتش، لأني لقيتك إنسان محترم!
ما هذا الكلام؟! من أين جاء بهذا الكلام؟ هذا الكلام لا يقوله المجرمين، المجرم مجرم دائمًا في كل شيء، حتى أسلوبه، ولكن هذا الشاب يتكلم كلامًا عجيبًا! قلت أنه بداخله حزن عميق وآهات، وبداخله أشياء تقتله لا أعرفها، ولكن ما الذي دفعه لارتكاب تلك الجريمة؟ علامات استفهام حول هذا الشخص؟ صرت متعجبًا من أمره!

كيف أرد على هذا الشاب؟ حتى كلمة مجرم بعدما سمعت كلماته لا تريد أن تخرج، وكأنه سحرني.

ـ طب أنت عملت كده ليه واتحرشت بالبنت دي ليه؟

ـ عشان هي مش محترمة.

ـ وهو أنت كده علمتها الاحترام؟ أنت كده عالجت الخطأ بخطأ، وبعدين ايه اللي أكد لك إنها مش محترمة؟

ـ لأ معلمتهاش زي ما أنت متوقع، بس بعد كده هتمشي محترمة نفسها في الشارع.

ـ طب هي مش محترمة ازاي؟

ـ أنت شايف لبسها عامل ازاي! دا لو مراتي لبسالي كده أتحرج أبصلها، دي كأنها طالعة من كباريه!

ـ تروح تعاقبها بأغلى شيء عندها؟!

ـ هي السبب.

ـ أنا كل ما أجي أكلم حد يقولي دا هو السبب، كل الناس السبب!، نفسي مرة ألاقي واحد يعترف إنه غلطان!، وبالنسبة للبسها مش أنت اللي هتحاسبها، وهي حرة تلبس اللي هي عاوزاه، ويوم القيامة فيه حساب، ومنها لربنا.

ـ طب أنا ذنبي ايه إني كل ما اهدى شوية، واحدة فاجرة تيجي تولعني!

ـ غض البصر.

ـ وهي ليه متبقاش عفيفة وتخليني مبصش؟!

ـ ملكش دعوة بيها، خليك في نفسك!

ـ تعرف أنا لما بشوف واحدة محترمة ولبسها محترم بتكسف أبصلها، عشان هي احترمت نفسها واحترمت كل الشباب، فمستحيل أقرب لها

ـ كلامك بيأكد لي إن فيك حاجة كويسة، أنت مكنتش مجرم صح؟

ـ صح، وكنت مواظب وإنسان محترم وخريج كلية تجارة جامعة المنصورة.

ـ طب ايه اللي خلاك كده؟

ـ لا عارف أشتغل ولا عارف أجيب شقة ولا عارف أتجوز، حاسس إني مسجون ومقتول نفسيًا، وفوق كل دا مجتمع فاجر، قولي بقى أنا أعمل ايه؟!

ـ طب ما أنا مش متجوز وعاوز أجيب شقة ومش عارف أشتغل، وكل ما أروح

أشتغل يحصل مشكلة وتخليني أسيب الشغل ووالدي ميت، بس الحمد لله أنا مع ربنا ومسلم أمري لربنا.
ـ إنسان من إنسان يختلف.
ـ لكن ربنا غفور رحيم، ارجع لربنا مضيعش الفرصة.
ـ ادعي لي.
ـ هدعي لك، بس لازم يكون عندك النية إنك تتوب وترجع إنسان محترم.
سأدعو لك، وعد مني سأدعو لك، صحيح إنه محق في بعض النقاط ، لكن هذا ليس مبرر لارتكاب الجرائم، إذا وضعنا الأعذار على كل شيء وفعلنا المنكرات، فمن الذي سيفعل الخيرات؟!
هي مذنبة بملابسها، إن كانت تلبس شيء! لا أعرف ما هذا الفجر الذي انتشر في النساء!، كلهن يردن أن يخضعن إلى الموضة الغربية، وتناسين الأصول والأعراف العربية.
ظنن أنهن حرائر! تلك خديعة ومكر، يصطحبان صاحبهما إلى الهلاك، وهن يقلن لسنا بضارين أحد، فليغض البصر من يرانا، وكأنهن ينفين اللوم عن أنفسهن، ويضعنه على الشباب والرجال!
الشيطان يزين لهن هذه الملابس حتى يحصلن عليها ويخرجن بها، ويضيقن المساحات على الرجال، وبالتالي الرجال لا حول لهم ولا قوة.
فمنهم من يقبض على الجمر ويتماسك.
ومنهم من لا يستطيع ويرتكب المحرمات.
ومن من لا يستطيع أن يرتكب المحرمات، لأنه لا يمتلك المال، فيرتكبها إكراهًا رغم أنفهن كما فعل الشاب الذي برحته ضربًا.
ومنهم من يذهب إلى مشاهدة الأفلام الإباحية واللجوء إلى العادة السرية لتفريغ طاقته.
وكل هذا من المتسبب فيه؟
كنا قديمًا نعرف المرأة الفاسدة من المرأة الصالحة، ولكن الأمر اختلف الآن، فصرنا لا نعرف من منهن صالحة!

فتاة الليل (العاهرة)

سائر، حائر، يمشى على مهلٍ في شوارع تغيرت كثيرًا، أو ربما أنا من تغيرت!
وجهت قبلتي كعادتي لراحتي، ولكن الأمر اختلف، فبعد ما كنت أذهب إلى شوارع حبيبتي لأنال قسطًا من الراحة، صرت أنال قسطًا من الهم والحزن والأرق والبكاء، ونلت ما يكفيني عشرين سنة قادمة!
أهذا ما كنت أبحث عنه؟
أهذا ما تركت كل شيء لأجله؟
أهذا ما عاهدت نفسي عليه؟
أسئلة تشتعل بداخلي، أسئلة كنت أظنها قد فارقت الحياة! ولكني كنت مخطئًا، الأسئلة لا تعرف الموت، الأسئلة تهبط وتصعد،
تهبط بهبوط الرغبة،
وتشتعل وتصعد بصعود الرغبة.
ربما تراكمت عليَ المصائب وكان قدري أن أذهب إلى هذه الشوارع لأسمع فتاة تصرخ ثم أذهب لنجدتها، هذا شيء جميل، لم أخسر وقتًا وإن قيل، ولكني اكتسبت خبرات ومهارات.
مدينتي الجميلة أنا آسف، تركتك وذهبت عنك وجعلتك تنتظرين بأشد أشواقك، أو ربما لا، فربما أنا من يظنك قد اشتقت إليَ حتى صببت عرقًا.
ولكني قلت لكِ لنا عودة ولقاء، وها أنا بين أحشائك، أريد السماح، أريد أن تكشفي وجهك القدسي، أريد أن أتمتع بمفاتنك الخلابة.
لا أحد الآن يضيق علينا، لا أحد بجانبنا، لا أحد ينظر إلينا، الجميع نائم.
منهم الذي نام لاستعادة قواه الجسدية والعقلية،
منهم من نام ليهرب من واقعه الأليم،
منهم من يبحر الآن في أحلامه،
وأنا الآن أريد أن أبحر فى جمالك.

هيا، أريد الآن تحطيم كل العوائق التي تحول بيننا، لا تستحي مني، أنا عشيقك، أنا حبكِ، أنا قلبكِ، أنا زوجكِ، أنا أنتِ، أنتِ أنا، فلماذا الحياء؟!
من هذه الفتاة؟
هل أنتِ التي أرسلتيها، أم ماذا؟!
قلت لكِ اكشفي وجهك القدسي، ولكنك تأخرتِ، أعلم أنها ليلة غير كل الليالي الماضية، لا أعرف لماذا أنتِ ضجرة مني هكذا؟!
أنتِ السبب في إفساد سهرتنا، يا لكِ من عنيدة! ومن هذه الفتاة التي تمشي على ظهرك؟ تذهب وترجع وكأنها تريد شيء.
سأصمت وسأظل كما أنا حتى أعرف أمر هذه الفتاة.
ما هذا؟ نصف ساعة، ساعة، ساعة ونصف، ساعتين ونصف، ما هذا؟ لقد تعبت من التحديق في وجه هذه الفتاة، وهي لا تمل تذهب وترجع على بعد عشرة أمتار، لكنها أصبحت فتاة متفوقة على لاعبي كرة القدم، فأقصى ما يستطيعون تنفيذه من الرياضة ساعتين فقط، لكن هذا الأمر عجيب! هل تأتي فتاة ليلًا وفي ساعة متأخرة لممارسة الرياضة؟ اعتقاد غريب!
بداخلها شيء تريد أن تبوح به، ولكني لن أعطيها الفرصة لذلك، لأنها أفسدت عليَ خلوتي مع حبيبتي، والعين بالعين، والسن بالسن، والبادي أظلم.
ملامح الغضب بدأت تظهر على وجهها، أخاف أن تفعل شيئًا ليس جيدًا، ولكني لم أفعل شيء سوى التحديق فقط، أهذه جريمة؟
نعم إنها جريمة، لماذا تحدق فيها؟
ولماذا أفسدت خلوتي مع حبيبتي؟
ستنال منك،
أو ربما أنا!
الفوز للأقوى،
أو للأذكى،
فليكن،
أو لا يكون،
ماذا تقول؟!

كما تقول!
سأنتظر وسترى،
وأنا كذلك.
ـ هاي.
ـ ليه؟
ـ هو ايه اللي ليه؟
ـ مفيش.
ـ أنت قاعد لواحدك كده ليه؟
ـ عشان مستنيك تيجي تسألليني السؤال دا!
ـ أنت بتتكلم جد ولا بتهزر؟!
ـ اللى انتي عاوزاه!
ـ الجو برد، صح؟
ـ فعلًا!
أضحكتيني أيتها الجهولة، تستخدمين الحيل عليَ أنا! أنا من ابتدعَ الحيل، تأتي فتاة وتتحايل عليَ أنا! الجو برد، ثلج، لن أنزع الجاكيت من على جسدي حتى وإن تجمدتِ من البرد.
ـ بتفكر في ايه؟
ـ في نفسي.
ـ أنت سهران لحد دلوقتي كده ليه؟
ـ طب أنا شاب وميفرقش معايا، ايه بقى اللي مسهرك لحد دلوقتى؟ وشوفتيني وقعدتي تلفي وتيجي وتروحي، وأبصلك عشان تتحرجي وتروحي، ومفيش دم عندك، وعمالة تبصيلي ولما زهقتي حبيتي تكلميني! انتي عاوزه ايه؟
ـ مفيش أصل الجو برد وفكرتك هتيجي تعطيني الجاكت بتاعك عشان أدفى.
ـ طب روحي واشربي حاجة سخنة وانتي هتدفي علطول، وأول ما تدفي روحي نامي.
ـ لحد دلوقتي مش عارف أنا عاوزه ايه؟!
ـ لأ عرفت.
ـ طب هتدفيني في بيتك ولا فين؟

ـ قومي روحي أنا مخنوق!
ـ وهسيبك كده، أنا ملقتش حد غيرك النهاردة وعاوزه أخد نصيبي.
ـ عاوزه نصيبك؟
ـ يا ريت!
ـ طيب، انتي بتعملي كده ليه؟
ـ عشان أعيش!
ـ طب ما ممكن تعيشي بطريقة محترمة وشرعية أحسن من كده!
ـ ما أنا كل ما أروح أشتغل، صاحب الشغل يطمع في جسمي، ولما برفض بكون في الشارع ويلفق ليَ تهمة سرقة أو مش محترمة أو أسلوبها وحش مع الزباين.
ـ ترفضي، وبعد كده تقبلي وتسلمي نفسك!
ـ طب وهعمل ايه، واخواتي صغيرين، وأنا بصرف عليهم لأن أبويا وأمي ماتوا وسبولي اخواتي.
ـ كل اللي كلمتهم دايمًا يقولوا لي أعذار ويبرروا لنفسهم!
ـ طب أنت يمكن عايش، أنا لأ.
ـ أبويا ميت، ومفيش شقة، كنت بحب بنت وراحت اتجوزت، ومش لاقي شغل مناسب ليَ، ولما باجي على نفسي وأقول لازم أبدأ من الصفر واشتغل أي حاجة أترفض وأتسب، والناس اللي مسافرة، بتنزل دلوقتي عشان السفر بقى طين وسواد، والواحد مش عارف يعمل ايه، ولو فضلت هنا واشتغلت، عشان أتجوز محتاج ١٥# سنة شغل!، وغير كده لا بررت ولا قعدت أقدم أعذار، وسايب الأمر لله -سبحانه وتعالى ، ولا نمت مع واحدة، ولا لفيت على واحدة عشان هي معاها فلوس، مع إني كان قدامي كتير معاهم الفلوس وكانوا يتمنوا إني أتقدم لهن، ومرضتش لأن أنا عندي عزة نفس، والفلوس والحياة عندي لا شيء.
ـ كلامك حلو، بس أنا خلاص بقالي زمن في الموضوع دا.
ـ طب انتي بتقولي إنك بتشتغلي عشان اخواتك الصغيرين، صح؟
ـ صح.
ـ طب انتي لو جالك الإيدز، هتعملي ايه؟!
ـ لأ متخافش، فيه أساليب متطورة دلوقتي.

ـ قومي روحي، مفيش فايدة!، أو روحي شوفي حد غيرى!
ـ باي.
نظرة احتقار لا تكفي،
اشمئزاز لا يكفي،
ضرب لا يكفي،
سب لا يكفي،
صمت، نعم إنه يكفي.
كانت العاهرة قديمًا تفعل الخطيئة، ولكنها كانت تخشى أن يعرف أحد بأمرها، تخشى أن ينتقص من كرامتها المجتمعية.
نعم إنه ذلك السبب الواصل بين الماضي والحاضر، المال. ولكن العاهرة كانت تتخفى عن أعين الناس، أما الآن! ليته لم يأتِ، أصبح شعار المرحلة الفجر الأنثوي.
هل اقترب موعد الرحيل؟
هل هذا الزمان هو الزمان الأخير؟ وإذا لم يكن هذا الزمان هو الزمان الأخير، فهل يأتي من بعدنا جيل آخر أفجر من جيلنا العظيم؟!
ثمة أسئلة يطرحها قلبي قبل عقلي! العقل أصبح مشتت، والقلب أصبح معطل، واللسان شل، والعين فقدت بصيرتها، والأذن صارت محترفة بعدما كانت هاوية، واليد توقفت، والقدم قُطِعَت.

البلطجي

ثمة أفكار تجتاحني بكل سهولة،
ثمة أفكار تتعمق بداخلي،
ثمة أفكار تحدد مصيري،
ثمة أفكار تمنعني من مواصلة التفكير في أفكار أخرى،
ثمة أفكار أصبحت ليست بأفكار، بل حالة واقعية.
لا وقت للتفكير، لقد اقترب موعد آذان الفجر، يجب أن أستمتع بالثلث الأخير من الليل، وكيف سأستمتع؟! فمنذ جئت هنا وهذه الليلة لم تطعمني جمالها ولم أستمتع، وكيف يأتي الاستمتاع وحبيبتي غاضبة مني؟!
يغضب العشاق من بعضهما، ولكن عند أول قدم في طريق الحب ينتهي الغضب وتنتحر الشحناء، ما زلنا نحن على ما نحن عليه! أقدم لكِ الحب نفسه بدلًا من الطريق وأنت جازعة، فماذا أفعل؟!
إذا كان هناك شيء يزعجكِ وأنا جاهل له، فالفتي انتباهي له، لعلي أكون بذلك قد عرفت مفتاح شفرتك حبيبتي.
لست محبًا،
لست عاشقًا،
لست مغرمًا،
لست متيمًا،
لست، لست، لست.
ولكن أنا أنتِ، وأنتِ أنا.
وإن كان للحب مسميات، فنحن قد تخطيناها بمراحل حبيبتي، ربما ينبهر العشاق من حبي لكِ! ولكنني لا أريد من العشاق الانبهار، ولكن أريده منكِ حبيبتي.
ما هذه النظرة المشتعلة الجاحدة! لن أهرب ولن أترك حبيبتي بدون لقاء، لن أتركها وهي غاضبة مني، لن أتركها حتى تطلب مني أن أتركها.

ـ هتطلع بسكات ولا تحصل كل اللي مات؟
ـ حتى وأنت رافع عليَ سلاح بتقول شعر!
ـ طلع ياض.
ـ أنت جيت للشخص الغلط.
ـ هتطلع ولا؟
ـ لأ أنا مش عارف أطلع، سبني أقعد عالرصيف وطلع كل اللي فيَ.
ـ طب أقعد ياض.
ـ اتفضل يا باشا أنا مسلم آخر تسليم.
ـ أسكت بقى ياض عشان أركز وأنا بقلبك.
ـ حاضر.
ـ بس بقى ياض دا أنت رزل!
ـ حاضر.
ـ ايه دا مش معاك ولا حاجة إلا كتاب.
ـ أنا ممكن أسيبهولك، هيفيدك.
ـ أنت هتهزر يا روح أمك؟!
ـ طب كويس إني روح أمي مش روح حد تاني!
ـ ولا.
ـ أنا مش بهزر، أنا بتكلم جد.
ـ طل اخلع كل اللبس دا.
ـ حاضر.
ـ حاضر! أنت غريب أوى!
ـ دا أنت حبيبي، اتفضل ولا عاوز كله؟
ـ لأ خليك كده بملابسك الداخلية، حلو كده؟
ـ شكرًا يا كبير.
ـ لا شكر على واجب يا صاحبي.
ـ متنساش تبقى تغسلهم الأول.
ـ حاضر يا رزل!

ـ مع السلامة يا حبيبي.
أخيرًا حصلت على شيء من الاستمتاع، ولكني لم أحصل عليه بدون خسائر، فقد خسرت ملابسي، ولكن أنا سعيد.
أنظري ما حدث ليَ بسببك حبيبتي؟
جئتك مرغمًا لأجل سعادة كنت أظنها، ولكن ظني بدا أنه كان ليس في محله، رفضتيني بكل وسائل الرفض، ثم تعاليت عليَ، ثم سرقتي وقتي مني، وجعلتيني أتأخر ثم أتأخر ثم أتأخر على أمل أنكِ تنزعي غطاءك من عليك وأراك.
كلمات جميلة، فهل تقبليها بكلمات معها للمؤانسة سويًا؟
لا تجيبي، اسمعي، وأنتِ كما أنتِ.
قصدت قلبك بجمر أشواقي
ولمست قلبك قبل التلاقي
أنا الحبيب وحبي ذِلة
وذلي في شوقي واشتياقي
هل أعجبتكِ تلك الكلمات، أم هي بالنسبة لكِ لا شيء؟ أعلم أنى لو طرحتها على غيرك لصار مُلكًا ليَ، ولصار أسير في حبي، أخشى أن يصل بيَ الحال وأقول لكِ كما قال شاعرنا القدير محمود درويش:
"فأنتِ لا تستحقي قصيدة ولو حتى مسروقة".

الإعلامي

ليلة مضت، وكأنها ألف ليلة، أحداث لم تكن في الحسبان، أشياء جاءتنا بدون أن نرغب فيها، وبدون أن نطلبها، علمتني هذه الليلة الكثير والكثير، الذي وصلت له في ليلة واحدة لم أصل إليه في عشرين عامًا مضوا.
تعبت كثيرًا في هذه الليلة، لا بد أن أرتاح، لا بد أن أنام، أنام لأرتاح، أم أرتاح لأنام؟!
أتفلسف حتى وأنا منهمك وغارق في المصائب، نعم إنها الفلسفة، الفلسفة في حياتي وبدونها لا أكون، وربما أكون كما الناس.
فالذين لم يتفلسفوا هم الأناس العاديون، الذين لا يؤثرون ولا يتأثرون بأي شيء.
أقرأ للفلاسفة وأتوقف: هل سأكون يومًا مثلهم؟
ربما، إذا فعلت كما فعلوا.
وماذا فعلوا؟
لا تعرف ماذا فعلوا؟!
لا أعرف استراتيجية حياتهم.
فلماذا تقرأ لهم؟
أقرأ لهم لأكون مثلهم.
. كيف تريد أن تكون مثل الفلاسفة وأنت لا تعرف استراتيجية حياتهم؟!
أريد أن أعرف.
يجب عليك أن تعرفهم قبل أن تقرأ لهم، وبعد ذلك خالف الناس في الأفكار جميعها، إلا مخالفتهم في الدين، فكل الذين اختلفوا وتخلفوا عن الناس في الأفكار أصبحوا اليوم فلاسفة وأدباء.
لقد قبلت هذا.
الآن، أم بعد؟
الآن.
فليكن.

لباس جميل، مكان رائع، تقبل اجتماعي، مظهري غير العادي، معجبين، أموال طائلة، سيارة آخر موديل، أفخم جناح على ضفاف النيل، خدم، زوجة وأولاد على مستوى عالٍ، حدائق ومنتجعات سياحية، مهاب بين الناس، مرض لا، فقر لا، جهل لا، قوة ونفوذ، صوت مسموع، حياة.

ما هو موضوع حلقة اليوم؟

سيكون كالمعتاد وننقل الأخبار، أم ماذا؟

ولكن هذا الأمر لم يعد ينفع مع الناس، الناس أدركوا هذا، فماذا أفعل؟

لا بد وأن آتي بشخصين يرفع كلٌ منهما صوته على الآخر، ومن ثم تشتعل الحلقة، ويشتعل البرنامج، وتزيد نسبة المشاهدة، حتى نغطي تكاليف الإعلانات، وتزيد الأرباح، يا لها من فكرة رائعة.

لا بد أن أقترح هذا الاقتراح على مدير القناة، وأن أطرح عليه فكرة أخرى، أن نخصص من برنامجي حلقتين في الأسبوع ونأتي بأشخاص متعارضين مع بعضهم البعض.

وبذلك نربح أكثر، وعلى رأى المثل، نفع واستنفع.

الناس تحب الانفعالات، وإن لم تكن هادفة، لمجرد وجود انفعالات على الشاشة الناس تهرول إليها، وهذا ما نريده بالضبط.

ـ السلام عليكم.

ـ وعليكم السلام.

ـ أنا عندي لحضرتك فكرة يا فندم جامدة وهتخلينا نطلع فوق.

ـ قول بسرعة.

ـ احنا نجيب شخصين النهاردة ومش مهم يكونوا معروفين، ويكونوا مختلفين على قضية ما، وندخل واحد من عندنا يعمل مكالمة تليفونية يشتم في دا شوية ودا شوية، ونولع الحلقة والمشاهدة تزيد.

ـ طب لو ضربوا بعض؟!

ـ ما يضربوا بعض يا فندم، احنا عاوزين كده عشان الناس زهقت من البروتوكولات اللي على الشاشات، عاوزين نظهر للناس إن احنا بنجيبلهم الحقيقة مش الكدب والضلال.

ـ حلو أوى.

ـ وكنت عاوز أخصص حلقتين في الأسبوع من البرنامج بتاعي.
ـ لو الفكرة دي نجحت النهاردة، أوعدك هعمل اللي أنت عاوزه، وهنكتب عقد تاني والراتب هيزيد الضعف.
ـ شكرًا يا فندم.
الحلقة انتهت، هذا ما كنت أريده، لقد أنجزت ما كنت أحلم به، وقد رأيت أفكاري تنفذ، فهذا شيء يسعدني، إفادة أم إبادة لا يهم، المهم أن أفكاري نجحت بامتياز، ومالي بالطبع سيزيد وسأكون أشهر إعلامي في الشرق الأوسط خلال فترة قصيرة.
جني المال على حساب الجهلاء شيء عظيم، لا يشعر به إلا من وصل إلى هذه المكانة، ربما أنا الأول الذي وصل إلى تلك المكانة، أو واحد من الذين وصلوا إلى تلك المكانة، شركات الإعلان ستتقاتل مع بعضها البعض لإبرام العقود معنا.
سعادة لا توصف أن تصل إلى حلمك، والسعادة الأكثر أن يكون حلمك مبني على الجهلاء، غير كل الأحلام التي تبنى على العلماء.

لخبطة

لا حول ولا قوة إلا بالله،
الحمد لله إني كنت بحلم.
أنا فعلًا كان نفسي ابقى إعلامي بس مش بالطريقة الحقيرة دي!
كابوس وانزاح من على صدري.
وما هي الحياة إلا كابوس، فلماذا أرمي باللوم على الأحلام؟! فالحياة ما هي إلا كابوس حقيقي ملموس على أرض الواقع.
إلى أين؟
لا أعرف.
ولماذا لا تعرف؟
عرفت الكثير، فما الفائدة؟!
لا فائدة،
عقل، لا فائدة.
جنون، لا فائدة.
حب، لا فائدة.
بغض، لا فائدة.
رؤية، لا فائدة.
خيال، لا فائدة.
إدراك، لا فائدة.
جهل، لا فائدة.
لين، لا فائدة.
شدة، لا فائدة.
تسامح، لا فائدة.
انتقام، لا فائدة.

احترام، لا فائدة.
انحدار، لا فائدة.
خير، لا فائدة.
شر، لا فائدة.
ضحك، لا فائدة.
حرية، لا فائدة.
حياة، لا فائدة.
وفاة، لا فائدة.
نعم تلك الفكرة في ذاك الوقت، هي الفائدة.
أتتذكر؟
نعم أتذكر، عندما استيقظت ذات يوم في منتصف الليل، وذهبت إلى الخلاء، وقبل أن أدخل وقفت أضغط على مفتاح الكهرباء، مرة أنير، ومرة أظلم. واستمر هذا الحدث إلى أكثر من دقيقة، وبدون أن أدرك أنني يقظ! وجاءتني والدتي وهي في حالة ذهول من هذا! ثم أخذتني إلى غرفتي، وأنا كنت يقظ العينين، لكني نائم في ذلك الوقت.
ثم قررت أن أخرج، في هذه الساعة أريد أن أخرج، لا أعرف إلى أين! ولكني أريد أن أخرج، واستيقظ والدي، وتشاجرنا، وبعد ذلك نمت، ولم أدرك أنني كنت يقظًا، وعندما استيقظت ظلت والدتي تضحك من أمري، فضحكت بدون أن أعرف، ثم تعجبت من الضحك المتكرر، ما الذي يضحك يا أمي؟ ألا تعرف؟ لا أعرف!، وبدأت تسرد ليَ ما حدث أمس، ثم عندما سمعت هذا لم أتوقف عن الضحك، هذا لم يحدث ليَ قبل ذلك، فلتضحك أيها النائم حتى تستيقظ.
كانت البارحة مليئة بالعقبات، ربما لأنني سرت في ظلام الليل!
ماذا تعني؟
أن تسير نهارًا.
لماذا؟
حتى تقيم الحجة.
إذًا، فلنبدأ.

ما هذه الحرارة؟ الشمس شديدة، والعرق يقتحمني، والغضب على وجوه الناس، والشوارع متسخة، والفوضى سائدة، والزحمة متكلمة، والصبر مدفون بتراب الخلق.

ـ ما هذا؟!

ـ مش تحاسب يا عم!

ـ أنا آسف.

ـ آسف ايه، داتكم القرف ضيعتوا البلد، تلاقيك مسلم بالبطاقة!

ـ ايه!

ـ زمانك مسلم بالبطاقة ومتعرفش حاجة عن دينك.

ـ مسلم بالبطاقة؟!

كان لا يجب أن يقول هذا الرجل هذه الكلمة، ربما قالها لاحتكاكه بأناس آخرين ليسوا على ما يرام، ولكن ما ذنبى أنا؟! ولكني لست مسلم بالبطاقة، أو ربما أنا مسلم بالبطاقة، نعم الرجل على صواب عندما قال أنني مسلم بالبطاقة، فأنا كبرت ونضجت وأنا مسلم ولا أعرف شيئًا عن الإسلام، وأصلي وأزكي ولا أعرف شيء عن الإسلام، وأريد أن أعمل وأتزوج وأنا لا أعرف شيء عن الإسلام، وأريد أن أكون إنسانًا وأنا لا أعرف شيء عن الإسلام، نعم إنه على حق وأنا مسلم بالبطاقة، ولست مسلم بالعقيدة والدين.

القسيس

كلمة،غيرت موازين حياتي،
كلمة، جعلتني أدرك،
كلمة، جعلتني أتوسع في الأفكار،
كلمة، قيلت بدون هدف، ولكنها أصابتني.
كلمة، ليست بكلمة، بل مجموعة من الإدراكات والمفاهيم.
دائمًا ما كنت أقول عندما أرى أناس ليسوا على ملة الإسلام: لماذا هؤلاء غير مسلمين؟!
ألم يعلموا أنهم على باطل؟!
ألم يعلموا أنهم يجهلون الحقيقة؟!
أسئلة كانت تطرح ولم يكن لها الجواب آنذاك.
هل أصبحوا كما أصبحت؟
هل صاروا يهود أو نصارى أو مجوس أو بوذيين أو، أو، كما صرت أنا بالوراثة؟ وإذا كان الأمر هكذا فلماذا لم يبحثوا عن دين الحق؟
أضع العذر لهم؟
لا.
أضع.
لا، لأنهم كانوا غير مكتملين العقل في الصغر، ولكنهم الآن يمتلكون عقلًا واعيًا يميز بين الصواب والخطأ، وبين الحق والباطل، وبين الدين والانحرافات، وبين الشيء واللا شيء.
لكنهم!
لا داعِ للعذر، لا داعِ للتبرير.
لكني مثلهم.
ولدت مسلم، وورثت الإسلام عن أبي وأجدادي، وكبرت وأنا مسلم، ولم أتعمق في الإسلام ولم أبحث في فلسفة الديانات الأخرى، ولماذا هؤلاء الناس مقسمون؟ وهل أنا مسلم بالبطاقة فقط؟
لا أعرف كيف أبدأ! وإلى أين أذهب!
يجب أن أتخذ قرار قاطع وعقلاني، يجب أن أخطو نحو التقدم، فالله -عز وجل-

منحنا العقل لنتدبر ولنفكر ولندرك.
" أفلا يعقلون". الآية ٦٨ ـ سورة يس.
"أفلا يتدبرون". الآية ٢٤ ـ سورة محمد.
" أو لم يتفكروا في أنفسهم". الآية ٨ ـ سورة الروم.

مجازفة.
لا.
مجازفة خطرة.
ستجعلني إنسانًا.
كيف؟
لأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يحمل العقل، وهو الذي يفكر، وطالما الكائن أدرك وفكر، فهذا إنسان، عكس الحيوان، لأن الحيوان لا يعرف الفكر، بل يعرف الاتباع فقط، صواب أم خطأ لا يعرف، لأنه حيوان.
فلتسترح،
سأسترح،

ليس وحدك، بل والثاني، أنتما تحيرانني، فاستريحا.
لن أخذ من أقوال الناس، لا بد وأن أكسر الشك باليقين، لا بد وأن أذهب إليهم في عقر دارهم، أعلم أنه جنون، ولكن لأجل الله -سبحانه وتعالى، وللتخلص من كلمة مسلم بالبطاقة.
"لن تكون متدينًا إلا بالعلم، فالله لا يعبد بالجهل.
د. مصطفى محمود.
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام، عاوز ايه؟
ـ عاوز أدخل الكنيسة.
ـ ليه؟
ـ عاوز أقابل القسيس.

ـ بس أنا مش شايفك يعني عامل على ايدك صليب، ولا لابس الصليب!
ـ لأ، أنا مسلم!
ـ مسلم!، طب هات بطاقتك.
ـ اتفضل.
ـ تمام، مفيش عليك سوابق، طب كنت عاوز تدخل ليه؟
ـ في موضوع شخصي.
ـ طب قرب لما أفتشك.
ـ خلاص كده أدخل؟
ـ أدخل ياخويا.

هذه المرة ليست حلم، هذه المرة حقيقية، أنا داخل الكنيسة، لم أرها إلا عبر شاشات التلفاز، وتلك هي المرة الأولى التي أراها بدون شاشات، إلى أين أذهب؟ أين هو القسيس؟
ـ بتدور على حد؟
أنفاس تكاد تنقطع، لقد شيبت في تلك اللحظة، لا أرى أحدًا وفجأة أسمع هذا الصوت! هذا مزاح، أم ماذا؟
ـ حضرتك القسيس؟
ـ أيوه، أنت مسلم؟
ـ صح.
ـ طب عاوز ايه؟ أو ايه اللي جابك هنا؟
ـ أنا كنت بدور عليك عشان عاوزك في موضوع مهم.
ـ اتفضل، اتكلم.
ـ حضرتك أنا كنت ماشي، وواحد اصطدم فيَ، وبعدين قال لي: تلاقيك مسلم بالبطاقة"
. ووشه أتغير وكأنه كان عاوز يضربني، وأنا كنت تعبان وماشي ومش شايف قدامي، وكنت بفكر في حاجات تعباني، وبعدين أنا مقدرتش أرد، لأ رديت!، قلت له: أنا آسف.
وهو مشي يمكن هو شاف من مسلمين كتير حاجات مش كويسة، بس الإسلام دين

جميل ومعتدل، أنا مش عارف إن كان الراجل اللي قالي دا مسلم أو مش مسلم، لكنه خلاني أقعد أفكر مع نفسي، وقلت فعلًا أنا مسلم بالبطاقة، أنا أعرف ايه عن الدين، إلا الصلاة والصوم والزكاة! وقلت في ديانات تانية سماوية، زى المسيحية واليهودية غير الإسلام، وكنت جاي لحضرتك تحكي لي عن المسيحية وأقرأ الإنجيل، ولو المسيحية طلعت أفضل من الإسلام هعتنقها.

ـ كلامك جميل، بس لو حد عرف من قرايبك هيحصل لك مشاكل.

ـ أنا ببحث عن العلم، وبشوف الخلافات دي ليه؟ وعاوز أعرف الناس الملحدة والناس اللي بتعتنق ديانات تانية مش سماوية ليه؟

بالبلدي أنا عاوز أكون بني آدم بيفكر وبيعبد الله عز وجل عن علم.

ـ طب أنا هعطيك الإنجيل، بس هترجعه امتى؟

ـ ممكن كده على شهر.

ـ خلاص اتفقنا، بس أنت قلت لي لو المسيحية طلعت أفضل من الإسلام هعتنقها؟

ـ وأنا عند وعدي.

ـ اتفضل الإنجيل، وأنا مستنيك.

ـ شكرًا لحضرتك.

ـ العفو.

ماذا سيحدث إذا شاهدتك والدتك وأنت تقرأ الإنجيل؟

ماذا سيحدث إذا علم أحد أصدقائك، أقاربك، أنك تمتلك إنجيل؟

يحدث كما يحدث، أنا أريد أن أعبد الله بالعلم، لا بالوراثة ولا بالجهل، آلاف الأشخاص يوميًا يفارقون الحياة، ولا تعرف عنهم أي شيء، لأنهم ورثوا الحياة وورثوا الدين، والدين لا يورث، الدين يفهم ويتقن لمعرفة الله -عز وجل- والوصول إلى أعلى درجات الخشوع والتقرب من الله.

وهذا ما يحدث الآن، الجهل يورث من أجيال إلى أجيال، حتى وصلنا إلى قاع القاع، كأننا ما زلنا نعيش في العصر الحجري، عصر التخلف، عصر التأخر والرجعية، عصر اللا شيء والسطحية.

كنت سأنسى، الحمد لله أني تذكرت، أذهب أم لا؟

أنا أفضل الذهاب أكثر، لكي أفي بوعدي وعهدي.

ـ كل مرة هتقعد تتلفت كده في الكنيسة؟
ـ لأ هي آخر مرة.
ـ قصدك ايه؟
ـ اتفضل الإنجيل الأول.
ـ طبعًا اقتنعت؟
ـ أنا فعلًا اقتنعت، بس اقتنعت إن الدين الإسلامي هو الدين المستقيم.
ـ والمسيحية كذلك!
ـ واليهودية كمان، بس قبل ما التوراة والإنجيل يتحرفوا، وفعلًا أنا قرأت الإنجيل ولقيت فرق كبير جدًا بين الإنجيل المحرف والقرآن الكريم.
ـ أنت هتعمل زي المسلمين الإرهابين؟!
ـ أولًا: المسلمين مش إرهابين، وغير كده دينا ملهوش علاقة بالإرهاب، دينا بيأمرنا نحافظ عليكم زي ما بنحافظ على بعضنا، ولو حد اعتدى على واحد مش مسلم كأنه اعتدى على مسلم بالظبط، الناس في الإسلام كلهم سواسية، وغير كده أنا مسمعتش عنكم وصدقت، أنا كسرت الشك باليقين وجيت أقرأ منهجكم.
ـ وبعدين؟
ـ قعدت أبحث أكثر فى ديني الإسلام، وبحثت برضو عن المسيحية، ولقيت إن الحق في كلمة واحدة الإسلام.
ـ طب اتفضل أخرج بره الكنيسة.
ـ كده كده إن شاء الله هخرج، بس كنت عاوز أتكلم مع حضرتك فى شوية حاجات.
ـ عاوز ايه تاني؟
ـ عاوز أحاور حضرتك في شوية نقط.
ـ وأنا موافق، بس قدامك ١٥ دقيقة بس.
ـ أو أقل، أو أكثر.
ـ اتكلم، أنا سامعك.
ـ أنا لما قرأت كتابكم، لقيتكم بتعتبروا سيدنا عيسى -عليه السلام- إله وابن الله.
ـ وبعدين؟
ـ ازاي يكون إله ويموت؟! وازاي برضو يكون إله وكان بياكل ويشرب وبيدخل

الخلاء؟! فمن المفترض إذا عبد الإنسان إله آخر، كما تدعون، فيجب أن يكون يفضل عليه بأشياء تعجيزية، وسيدنا عيسى -عليه السلام- كان بياكل وبيشرب وبيدخل الخلاء! وكل هذه الأمور توجد في الإنسان والحيوان والطائر! ولو هو إله، زي ما انتوا بتقولوا، ليه يعبد إله إذا كان هو إله؟!، فمن المفترض أن يعبد نفسه!
وبتقولوا برضو إنه ابن الله، وازاي يكون ابن الله؟! لو هتتكلم بالعقل، من المفروض إن الإنسان ياخد من جينات والديه وأجداده والعائلة، ولله المثل الأعلى، فكيف يكون ابن الله وهو لا يمتلك قوة الله -عز وجل؟!
لما أعدائه عزموا إنهم يقتلوه وهجموا عليه، ليه مخسفش بيهم الأرض؟ لأن كما تقولون أنه ابن الله ومن المفترض أن يأخذ جينات كثيرة من والده، ولله المثل الأعلى، قادر على دك الجبال وخسف الأرض، وإرسال الصواعق، وإنهاء الحياة، وإطباق السموات على الأرض، وقذفنا بالطير الأبابيل، كما أرسلها الله -عز وجل- على أبرهة الحبشي عندما كان قادمًا لهدم الكعبة، والله على كل شئ قدير.
ولما هو كما تقولون ابن الله، وهو يمتلك نفس الصفات بتاعتنا، فمش حرام إنه يتفضل علينا ويبقى ابن الله؟! وطبعًا أنا بطبعي وأي إنسان هيغيير وهيكون جواه شحنة سالبة.
ـ طب ما أنت عندك النبيين، بشر لكنهم وصلوا لمكانة محدش وصلها، يبقى زيها زي فكرة المسيح، ولو هنحسبها بأفكارك أو أفكار المسلمين هتبقى زي دي بالظبط.
ـ كان قلبي حاسس إن حضرتك هتطرح الفكرة دي، بس حضرتك جبت حاجة ملهاش علاقة بحاجة!
ـ ازاي؟
ـ ازاي،
" ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا". ٦٩ ـ النساء.
"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلًا". ١#٧ ـ الكهف.
يعني الأنبياء تفضلوا علينا بدرجة النبوة، بس المنزلة واحدة، وهي جنة الفردوس.
ـ مش مقتنع.
ـ طب حضرتك وحضراتكم النصارى بتقولوا.

ـ احنا مسيحيين مش نصارى!
ـ لأ نصارى.
ـ اثبت.
ـ حاضر.
" إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى". الآية ٦٢ ـ سورة البقرة.
"وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (١١١) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١١٢)". الآية :١١١ ١١٢ سورة البقرة.
"وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون". الآية ١١٣ ـ سورة البقرة.
والآيات كثيرة في ذلك، وأنا قرأت القرآن كامل بتمعن ولم أرَ فيه لفظ مسيحيين، وقرأت أغلب أحاديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- فلم أجد كلمة مسيحيين.
ـ خلصت؟
ـ لأ لسه، مش كل الديانات غرضها السلام؟
ـ طبعًا.
ـ طب ليه انتوا بتكرهوا سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم؟
ـ كمل.
ـ أنا مسلم، وبحب الأنبياء والمرسلين ومش بفرق بينهم، وديني اللي أمرني بكده واسمع لقول الله -عز وجل:
" آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير". الآية ٢٨٥ ـ سورة البقرة.
وأنا متأكد إن المسيحية كده واليهودية كده بس هما اتحرفوا، وغير كده كل الديانات جاءت بالإسلام والسلام، ونبيكم عيسى -عليه السلام- جه بالإسلام، اسمع حضرتك لآيات الله -عز وجل- قال الله تعالى عن نوح:
"واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات

الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن عليكم غمة ثم اقضوا إليَ ولا تنظرون (٧١) فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين (٧٢)". ٧١ : ٧٢ ـ سورة يونس.

" ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين (١٣#) إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين (١٣١) ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون". ١٣#: ١٣٢ ـ سورة البقرة.

"وقال موسى يا قوم إن كنتم ءامنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين". ٨٤ ـ يونس.

وقال السحرة: "ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين". ١٢٦ ـ الأعراف.

وقال يوسف: "توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين". ١#١ ـ يوسف.

وقالت بلقيس: "وأسلمت مع سليمان لله رب العلمين". ٤٤ ـ النمل.

"يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار". ٤٤ ـ المائدة.

وقال الحواريون: "ءامنا بالله واشهد بأنا مسلمون". ٥٢ ـ آل عمران.

فدين الأنبياء واحد، وإن تنوعت شرائعهم.

وفى الصحيحين عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إنا معشر الأنبياء ديننا واحد".

ـ الدين ليس بالعقل، إنما بالإيمان.

ـ يعنى أنت عاوزني اتبع ومفكرش وألغى عقلى؟! أمال ربنا -عز وجل- منحنا العقل ليه؟!

ـ أنا قولت اللي عندي.

ـ طب ماشي، طبعًا انتوا بتحبوا المسيح -عليه السلام؟

ـ طبعًا!

ـ طب لما سيدنا عيسى -عليه السلام- هجم عليه الأعداء وزي ما انتوا بتقولوا إنه اتصلب واتقتل مع إنه متصلبش ولا اتقتل: "وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان

الله عزيزًا حكيمًا". ١٥٧ : ١٥٨ ـ النساء.
والمفروض بالعقل يعني لو واحد أنا بحبه وحصل له ضرر من أي شيء، أنا بالتالي هكرهه! زي الكفار لما كانوا بيحاربوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فأنا بكرههم عشان كانوا بيحاربوا أشرف خلق الله، وبكره كل حاجة أذته، ازاي بقى انتوا بتحبوا سيدنا عيسى وبتعتبروه إله وابن الله، وفى نفس الوقت بتعشقوا الصليب اللي اتصلب عليه؟، ولما بيحصل لكم أمر غريب أو مذهل بتقولوا باسم الصليب، تناقض مفيش بعده تناقض!، بتحبوا حاجة اتعذب عليها أعز حبيب عندكم.
ـ هو اتصلب واتقتل عشان يغفر لنا خطايانا.
ـ يعنى برضو حضرتك مقتنعتش بالآيات؟! طب ازاي اتصلب واتقتل عشان يغفرلكم خطاياكم، مع إن انتوا كنتوا لسه مجتوش الدنيا ولسه مارتكبتوش خطايا؟!
ـ مش هرد عليك.
ـ لأن مفيش رد، أنت عارف عقوبة الكلام اللي انتوا بتقولوه ظلم وافتراء دا إيه؟
"لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار". ٧٢ ـ المائدة.
"لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤) ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (٧٥) قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرًا ولا نفعًا والله هو السميع العليم (٧٦) يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا عن سواء السبيل (٧٧)". ٧٢ : ٧٧ ـ المائدة.
ـ كفرتونا؟!
ـ على فكرة مش احنا اللي بنكفركم، ربنا -عز وجل- اللي كفركم، وغير كده أنا خايف عليكم من عذاب الله، وانتوا صعبانين عليَ، وأنا لما واحد قال لي أنت مسلم بالبطاقة قلت فعلًا وبدأت أبحث من تاني وأقارن بين الديانات والحمد لله وصلت لمرحلة إني أسلمت من جديد، ليه مبتفكروش وتحاولوا تبحثوا وتفهموا؟

الدين ليس إرث، الدين فهم وعقيدة.
ـ على فكرة أنا سايبك تغلط براحتك لحد دلوقتي، أنا ممكن أخليك معدتش تشوف الشمس.
ـ أنا مش بغلط فيكم، أنا بغلط في الأفكار العقيمة اللي خايف لتضيعكم، وغير كده أنا حاسس إن فيك حاجة غريبة عن ناس كتيرة من جنسكم.
ـ أسئلتك عليها كتير لما تنتهي، ولا خلاص بدأت تخلص؟
ـ لأ معدش كتير إن شاء الله، بس حضرتك أنا شاعر عامية وفصحى وبعرف أميز الكلام اللي قدامي، يعنى أنا لما قرأت الإنجيل محستش إن دا كلام ربنا إلا بس ١#٪، وباقي الإنجيل محرف، أما القرآن الكريم، هو المنهاج المستقيم وهو الكتاب الوحيد اللي متحرفش.
"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". ٩ ـ الحجر.
فليه مش راضي تأسلم وتُسلِم لله رب العالمين وتتبع دين الحق، دين الإسلام ؟ وعاوزك تفضل فاكر الآية دي
" ومن يبتغِ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين". ٨٥ ـ آل عمران.
ـ أنا عارف إن الدين المستقيم والدين الصحيح هو الإسلام، وهو مش دين إرهاب، بس أنا مقدرش أبقى مسلم.
ـ ليه؟!
ـ مقدرش.
ـ ليه بس؟
ـ مفيش، وامشي ياللا عشان ميحصلش مشاكل ومحدش من الإخوة يتهجم عليك.
ـ أنا مش همشي إلا لما أعرف ليه حضرتك مش عاوز تأسلم، أو فيه حاجة منعاك ليه؟
ـ عشان أنا لو أسلمت هتقتل.
ـ ليه؟
ـ احنا عندنا كده.
ـ بس حضرتك لو أسلمت هتخلص نفسك من عذاب الله وهتشتري الآخرة.
ـ ما أنا عارف بس مش قادر.

ـ تعرف حضرتك لو أسلمت كام واحد هيأسلموا؟ هيبقى عدد خرافي.
ـ هما مش هيقبلوا كده، هما هيقتلوني قبل ما أنطق كلمة أنا أسلمت.
ـ طب ما ممكن تهرب وتأسلم.
ـ خلاص يا بني فات الآوان، تقدر تمشي دلوقتي.
ـ أنا كده هروح مقهور!
ـ كان نفسي، وعلى فكرة أنا قرأت القرآن الكريم، عشان متقولش إن احنا بنرفض الحق، واتأكدت إنه من عند الله، وإن الإسلام هو المسار الصحيح، وإن أخطاء بعض المسلمين ملهاش علاقة بالإسلام، الإسلام دين جميل ودين حب ودين سلام!
ـ طب أضحك ولا أبكي؟!
أضحك لأنني وصلت لحلم كان نفسي أحققه من زمان،
ولا أبكي لأني حاسس بكبت وقهر جوا حضرتك ونفسك تعمل حاجة وخايف تعملها عشان ميكونش حياتك قصادها ؟!
ـ افرح يا بني واحمد ربك إنك مسلم.
ـ الحمد لله، دايمًا بقول إن أفضل نعمة في حياتي نعمة الإسلام، بس حضرتك ممكن تأسلم في السر.
ـ أنا خايف عليك روح بسرعة ياللا.
ـ سلام، وعمري ما هنسى الحوار دا أبدًا.
"الخوف هو المصدر الأساسي للخرافات وأحد أهم مصادر القسوة، لذا فالانتصار على الخوف هو بداية الحكمة".
برتراند راسل.
خوف على الوظيفة، خوف على الأولاد، خوف على الزوجة، خوف على البيت، خوف على الصحة، خوف على الحياة.
الخوف إذا تملك من الشخص، قتل فيه الإبداع.
الخوف ما هو إلا حياة مليئة بالطاقات السلبية، وإذا أردت أن تسميه بمعنى آخر فاطلق عليه لقب الموت البارد.
ننتمي إلى أشياء وتكون بداخلنا، لكننا لسنا بحاصديها وذلك من أجل الخوف، ها هو جالس على عرشه يستعملنا كما يشاء، وأقول في نفسي متى يستبدلنا، أو متى نستبدله نحن بأشياء أخرى، كالحرية والإبداع والسعادة؟

الأستاذ الجامعي

أعلم أن هذا قرار صعب وخطير، ليس في صالح مزاجي، أعلم أنني سأعانى كثيرًا، أعلم أنني سأمر بمرحلة ليست بجيدة، ولكني أريد ولا أريد.
أريد أن أدخل تلك المرحلة لإثبات اسمي في كشف الغياب.
لا أريد أن أدخل تلك المرحلة لأني أعلم أن الأساتذة الجامعيين علمهم محدود، ولا أريد لأني لن أحتمل الجهل، ولا أريد لأني سوف أتفلسف، والفلسفة دائمًا ما تضيعني، أو ليست هي التي تضيعني بل المجتمع العقيم الذي أعيش فيه، الذي لا يتقبل الآراء المخالفة والأفكار الجديدة.
مجتمع أصبح، بل أمسى! وما المساء إلا الظلام والجهل والتخلف والانحطاط والانحدار والغطس في القاع، بل وصلنا إلى مرحلة أبعد من القاع، وإن شئت أن تقول لم يعد هناك قاع، لأننا امتلكناه، وأطلقنا عليه اسم آخر، ألا وهو المجتمع.
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام، رايح فين يلا؟
ـ أولًا: أنا مش ولا.
ثانيًا: أنا داخل أحضر المحاضرة.
ـ طيب يا حبيب قلبي مش من الاحترام إن الطالب يدخل قبل الدكتور؟
ـ فعلًا، ومن الاحترام برضو إن لما الطالب يجي من سفر ساعتين عشان محاضرة، وفى الآخر الدكتور يجي فى آخر نص ساعة من المحاضرة ويضيع أكتر من تلتين المحاضرة.
ـ أنت هتحاسبني يلا ولا إيه؟!
ـ اللي بيحاسب ربنا، بس حضرتك بتتكلم عن الاحترام، فقولت أخد حضرتك قدوة ليَ واعمل زي ما حضرتك ما بتعمل معايا، وأكلم حضرتك عن الاحترام برضو!
ـ أنا أتأخر براحتي أو مجيش براحتي.
ـ حضرتك لو هتحسب الوقت اللي حضرتك ضيعته كان ممكن يطلعنا عباقرة، والعكس صحيح!

ـ أنت بتسخر مني يلا؟!
ـ أنا قولت أنا مش ولا.
ـ طب أنا مش بشوفك كتير، ايه اللي جابك يا حبيب؟!
ـ عشان الغياب!
ـ بدأت تعجبني.
ـ أو معجبكش!
ـ ولا، أنت بتقرأ كتب في الفلسفة؟
ـ ما هو دا اللي مضيعني واللي هيضيعني دلوقتي.
ـ طب أنت قلت لي أنت جاي تحضر عشان الغياب؟
ـ تمام.
ـ ليه بقى مش بتحضر؟
ـ مفيش.
ـ قول ومتخافش، ومش هضرك.
ـ وعد؟
ـ وعد يا حبيبي قول.
ـ لأسباب كتير.
ـ زي؟
ـ عشان باجي بضيع وقتي فى حاجات تافهة.
ـ استنى! ايه الحاجات التافهة دي؟
ـ المواد اللي باخدها هنا!
ـ دي حاجات تافهة؟
ـ أيوه، لأنها مش بتفيدني بعد كده في سوق العمل.
ـ ومين اللي عرفك إنها مش هتفيدك بعد كده في سوق العمل؟
ـ لأن أنا بشتري كتب فى تخصصي، وبحضر دورات وندوات ومؤتمرات وبنزل فيديوهات من على اليوتيوب.
ـ لمين؟
ـ لديل كارنيجي، ولستيفن آر كوفي، ولطارق السويدان، ولإبراهيم الفقي.

ـ أنت تعرف ديل كارنيج وستيفن آر كوفي؟!
ـ ممكن حضرتك تسألني في الكتب بتاعتهم ومحاضراتهم.
ـ وايه الأسباب التانية؟
ـ عشان الناس ضعيفة في الفهم والإدراك، والغالبية تافهين!
ـ وايه تاني؟ أنا بدأت أحبك.
ـ حضرتك هتكرهني دلوقتي.
ـ طب قول.
ـ وعشان مستوايا أعلى من الدكاترة.
ـ أنت بتقول ايه؟!
ـ بقولك عشان مستوايا أعلى من الدكاترة.
ـ لولا منا عطيتك الأمان كنت خليتك هنا طول ما أنا عايش.
ـ على فكرة متفرقش معايا، أنا بس عاوز الشهادة عشان أمي الغلبانة اللي مستنية الشهادة بفارغ الصبر، أمال أنا عندي التعليم المصري كأنك شايل ميه في سلة مخرومة من كل مكان.
ـ أنت عارف الدكتور دا تعب قد ايه في رسالة الماجستير والدكتوراه؟
ـ لأ متعبش.
ـ تعب يا بني.
ـ حضرتك بقول متعبش.
ـ يا بني احنا شوفنا اللي محدش شافه.
ـ بالعكس الكل شافه، وعاوزين جيلنا يشوفه، بس مش هتعرفوا.
ـ وضح؟!
ـ حضرتك الدكتوراة في مصر، عبارة عن تجميع شوية مراجع وحفظها، وتسميعها في المناقشة.
ـ وأنت عاوز ايه تاني؟!
ـ عاوز إبداع!
ـ ازاي؟!
ـ وأنا صغير كنت مفكر إن الدكتور الجامعي دا بيوصل لمرحلة محدش يعرف يوصلها

إلا العظماء.
ـ ودلوقتي؟
ـ اتأكدت إن مفيش حد بيوصل للمرحلة دي إلا الجهلاء.
ـ طب وروح أمك لاوريك بعد ما نخلص.
ـ شكرًا يا دكتور، أنا كده خلصت!
ـ كمل ومتزعلش.
ـ طب كده كده فيه عقاب، أطلع بقى كل اللي جوايا!
ـ طلع يا حبيبي!
ـ مش المفروض إن مفيش حد ياخد لقب دكتور جامعي إلا إذا اكتشف علم جديد أو ضاف أفكار جديدة؟
ـ المفروض.
ـ طب حضرتك شوفت حد ضاف علم جديد هنا من الدكاترة الجامعية؟
ـ أنا.
ـ حضرتك لو كنت ضيفت أفكار جديدة كان زمانك كتبت دكتوراة في علم الإدارة مش فلسفة في علم الإدارة!
ـ مين اللي عرفك النقطة دي؟!
ـ أنا طالب باحث مش حافظ!
ـ هات كارنيهك يا جميل؟
ـ اتفضل.
ـ بالسلامة.
ـ وعدت فأخلفت، وهذه سمة من سمات المنافقين.
ـ أنا هعلمك يعني ايه كلمة احترام.
ـ حضرتك هتعلمني يعنى ايه جبن، خوف، استبداد، ظلم، قتل إبداع.
ـ ماشي يا حبيبي!
ـ وحضرتك أنا لو شايف منك احترام كنت زماني أخدته منك ونفذته، بس زي ما تقول كده نحن مقلدون الذين يعلمون والذين لا يعلمون.
ـ الاحترام يا جميل هتعرفه في النتيجة.

ـ والاحترام هتعرفه يوم القيامة.
ـ أخرج من المحاضرة.
ـ سلام.
ـ لا شوفته ولا وعيت تشوفه.
ـ شكرًا.

هذا ما كنت أخشاه، هذا ما كنت أتمنى أن لا أراه، هذا ما كنت أعلم أني سألقاه.
ماذا أفعل الآن؟ لا أعرف، ثمة أشياء ستتراكم عليَ إذا فعل هذا الأستاذ كما يفعل أساتذة الجامعة، وكأنهم خلقوا بلا قلب، كلا، بل خلقوا بقلب ولكنهم حولوه إلى حجر، أنا لست محق في ذلك، بل هذا ظلم وافتراء على الحجر، الحجر لا يفعل أشياء نكرة، بل إنه سخر للإنسان، والإنسان هو من يستخدمه وهو من يصوبه، وإذا استخدمه الإنسان استخدامًا خاطئًا وصوبه نحو شخص آخر يكون الحجر أحيانًا رحيم بنا ويرفض أن يتجه إلى ما صوب إليه، مخافة أن يسبب خسائر جسدية ومادية إلى الشخص الآخر، وهذا هو الحجر، أما الأستاذ الجامعي فلا أرى له مثيل، ولكن الله -عز وجل- وصف مجموعة من الناس بأن في قلوبهم مرض، أيكونون من ضمن هؤلاء الناس الذين في قلوبهم مرض؟ ربما، ولما لا؟!، فمن الأساتذة الجامعية من اضطهد طالب عشرين عامًا وظل يرسبه، ومنهم من ضيع على بعض الطلاب حقه أن يلتحق بالجامعة بعد الدراسة ويصبح معيدًا فيها، ومنهم من تسبب في قتل شاب، ففي جامعة المنصورة، كلية آداب، قسم اللغة العربية، هناك أستاذ جامعي لا يوجد في قلبه رحمة ولا شفقة ولا يوجد أي شيء إلا الكره والضغينة والحقد والسواد، وكان هذا الأستاذ الجامعي دائمًا ما كان يرسب نصف الدفعة كل عام، والنصف الآخر تقدير مقبول، وكان هناك شاب جامعي قد رسب في مادة الأستاذ الجامعي أربع مرات على التوالي، حتى أنه جاء في السنة الرابعة وانتحر على بوابة كلية آداب، وأشيع الخبر وجاءت الشرطة والإسعاف ثم تلاهما الإعلام، وكان حديث الأسبوع عن هذا الشاب.
أب انحنى ظهره من العمل ليلًا ونهارًا لكي يجعل ابنه وقرة عينه صاحب مكانة محترمة في المجتمع، ولكي يحصل على شهادة الليسانس، ولكن الأمر الآن تغير،

وتبدلت التنبؤات والتقديرات.
وأم حملت ابنها تسعة أشهر في بطنها، وعندما ولدته كانت مرهقة بسببه، وظلت ترضعه وهي لا تتحمل، ويبكي، وكانت تضحكه، وعندما يمرض كانت تسهر الليل لأجله، وكانت تتوجع وتبكي من وجعه، وكانت تتمنى أن تأخذ هي وجعه مقابل أن يكون هو صحيح ومعافى، والآن كل هذا أصبح لا شيء، بسبب أستاذ جامعي جاحد، ظالم، فاجر، فاسق، لا يوجد في قلبه رحمة، فأنا لست ظالمًا عندما أصف الأستاذ الجامعي بوصف قرآني، كما جاء في القرآن الكريم.
" في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا". ٩ ـ البقرة.
متى تنتهي هذه المرحلة السيئة؟ هذه ما أتمناه الآن.
قديمًا كان يقال وما زال البعض يردد تلك الخدعة، أسوأ مرحلة في التعليم الثانوية العامة، ولكن بعد مرحلة الثانوية العامة والدخول في مرحلة الجامعة سترى الحياة على طبيعتها، وتكون الجامعة هي المرحلة التمهيدية لِمَ سيحدث لك مقدمًا، ولك حق الاختيار، إما الصمت والسير كباقي النعاج، أو حمية الخروف وتحمل العقبات التي تنتظرك؟
ـ ايه الشجاعة دي يا بني؟!
ـ دي عزة نفس.
ـ أنت هيتفرقعلك.
ـ "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو الفضل العظيم (١٧٤)". ١٧٣ : ١٧٤ ـ آل عمران.
وأنا بقول حسبي الله ونعم الوكيل.
ـ لازم تروح تتأسف للدكتور وتعتذر له.
ـ ليه؟
ـ عشان تنجح وتعدي، أنت جاي على آخر سنة وتعمل كده !
ـ نجاح بمهانة، سقوط بكرامة؟
ـ طب عشان والدتك حتى.
ـ رد عليَ نجاح بمهانة، سقوط بكرامة؟

ـ نجاح بمهانة.
ـ عشان كده أنا الوحيد اللي قولت كده واتكلمت.
ـ طب اهدى شوية كده ولما الدكتور يخلص المحاضرات التانية اللي فضلاله في اليوم ابقى روح له وأنا هاجي معاك يا عم، وهتكلم مكانك، بس لازم تعتذر له الأول، وبعد كده أنا هكمل.
ـ اسمع، أنا لو كنت فعلًا غلطان كنت روحت واتأسفت وخليته يسامحني، بس أنا مغلطتش وقولت الحقيقة، واتأسف له وأخليه يفكر إنه صح ويزداد في الأعمال السيئة بتاعته وبتاعت أصحابه الأوساخ عشان ميسقطنيش! دا في حد ذاته تمكين للجهل والتخلف والظلم، ومعناها كده أنت صح يا دكتور، اعمل اللي حضرتك عاوزه، الدكاترة لا يخطئون، وحتى ولو رآهم البعض مثل أمثالي، فهذا ليس نقص من قدراتكم، بل ضعف من عقولنا التي لم تصل إلى حد مستوى دهائكم.
ـ وأنت بتقول إنك مش بتيجي عشان مستواك أعلى من الدكاترة؟
ـ أيوه فعلًا.
ـ مستحيل يا بني، أنت آفورت في الكلمة دي أوى!
ـ طب اسمع يا حبيب قلبي:
الدكاترة دول يعرفوا حاجة عن لغة الجسد؟
ـ مش عارف!
ـ الدكاترة دول يعرفوا حاجة عن علم النفس؟
ـ مش عارف!
ـ الدكاترة دول يعرفوا حاجة عن فن الإلقاء؟
ـ مش عارف!
ـ الدكاترة دول يعرفوا حاجة عن فن الإقناع؟
ـ مش عارف!
ـ الدكاترة دول يعرفوا حاجة عن فن التأثير؟
ـ برضو مش عارف!
ـ الدكاترة دول يعرفوا حاجة عن فن الاتصال؟
ـ كمل.

ـ الدكاترة دول قرأوا كتب ثقافية قد اللي أنا قرأته؟
ـ يمكن!
ـ أنا مش بفتخر باللي أنا أعرفه ولا بترسم، لا والله، بس اللي قهرني إن شوية التعبانين دول مفكرين نفسهم حاجة وهما أنعام، ومتقوليش يمكن، عشان لو كانوا قرأوا مكنش دا بقى حالهم.
ـ أنت محسسني إن الدكاترة دول عندك ولا حاجة!
ـ أيوه طبعًا.
ـ دا بداية الغرور.
ـ دا مش غرور يا بني، دا حقيقة. تعرف هما عبارة عن ايه؟
ـ لأ
ـ بغباء يسمع الكلام، ثم يحفظه ويظل يردده بدون ما يفرق دا صح ولا غلط.
ـ دا أنت شكلك هتتجنن!
ـ أنا فعلًا مجنون!، شوف الناس العاقلة عايشين ازاي؟! هتلاقيهم عاوزين ياكلوا ويشربوا ويعيشوا ويموتوا زي الأنعام بالظبط!
ـ دا الدكاترة مش بس اللي مش عاجبينك، دا الناس كلها طلعت مش عاجباك!
ـ أيوه الناس كلها، إلا أولي الألباب، وغير كده يا بني، إنسان بدون مهارات وعنده معلومات، هيوصلها ازاي؟!، واحد عنده علم لكن معندوش فن الإلقاء، فن الإقناع، فن الاتصال، فن التأثير، معندوش أى حاجة إلا معلومات، قل لي بقى، هيفيد الناس ازاي؟
ـ ودول عندك؟
ـ مكنتش جادلت الدكتور وجادلتك!
ـ ماشي.
ـ اسمع، الجيل دا اللي هو فوق الخمسين أخد واضعه بزيادة.
ـ ازاي؟
ـ بص يا معلم، احنا كنا طالعين من حرب أكتوبر وكنا عاوزين نبني بلد، ولازم كنا نجيب كفاءات، وطبعًا الحرب دمرت كل الكفاءات؟
ـ طبعًا.

ـ ولو كنا استعيرنا بعض المدرسين والأساتذة الغربيين في كافة العلوم عشان يدرسوا لنا، كانوا هيكلفوا البلد كتير وبلدك مكنش فيها فلوس عشان الحرب كان دمرها.
ـ تمام.
ـ وبرضو مينفعش كنا نطلع بعض الطلبة يتعلموا بره، عشان كانوا هيكلفونا كتير وكنا هنستنى كتير لما يكتسبوا خبرات، واحنا كنا عاوزين نبني البلد بسرعة.
ـ تمام.
ـ فمكنش قدامنا حل إلا احنا نكمل بالمعوقين دول اللي عندنا اللي هما أصحاب العلم وقتها.
ـ كمل دا أنت نكتة!
ـ وبعدين كانوا بياخدوا أي حد متعلم يشتغل، يا عم دول بتوع الدبلومات كانوا بيتوظفوا وكانوا بيلبسوا بدل ما بالك أنت باللى أخد كلية؟!، وما بالك باللي كمل ماجستير وأخد دكتوراة، دا أكيد كان بمقامة وزير حاليًا!
ـ يعني أنت قصدك إن علمهم محدود وجم في وقت ساعدهم كتير؟
ـ يا عم دا جيلنا اللي بيقولك عليه فاشل، تلت تربعه حاصل على كليات وبيشتغل وهو بيدرس، اللي بيقولوا لك جيل الفيس بوك!، ومش عارف يجيب شقة ولا يتجوز ولا عارف يشتغل بكليته، يا عم دي بقت حاجة تقهر!
ـ قصدك إن جيلنا اتظلم، وجيلهم كان محظوظ؟
ـ طبعًا يا بني، دول كانوا عندهم العراق، ومعرفوش يغتنوا، العراق كانت عاوزه جيلنا احنا، وتعالا بص كده على جيلنا تلاقي فيه أكتر من ١#### شاعر، وأكتر من ١### كاتب، وهما كان عندهم يجي ١# شعرا على ٥ كتاب، يا بني المقارنة فاشلة، جيلنا جيل مظلوم.
ـ مش عارف أقولك ايه!
ـ لأ متقولش، أنا عارف أنا بعمل ايه، ومش عاوز حد يقول لي حاجة إلا إذا كانت نقد، عشان أحسن من نفسي.
ـ أنا نازل أحضر سكشن دراسة جدوى.
ـ استنى أنا جاي معاك.
ـ اركب يا معلم.

ربما تكون السعادة هناك! مع إني واثق أن السعادة لا توجد في التعليم العقيم دا!،
كان نفسي أتعلم تعليم نضيف، بس هتقول ايه!،
حدث ثورات ولم يتغير شيء، والكل يريد أن يغير الآخر ولا أحد يريد أن يغير نفسه،
الكل يرمي اللوم على الآخرين، الكل يريد العصا الذهبية التي ستغير من حالته الاجتماعية، تعليم، صحة، بحث علمي، عدالة اجتماعية، هكذا في مخيلة كل منا، لم أرَ أحدًا يحسن من نفسه،
لم أرَ أحدًا يعترف أنه جزء من الفساد،
لم أرَ أحدًا يغير من نفسه تغيير جذري لنيل حياة رائعة،
لم أرَ أحدًا يريد أن يكون إنسانًا،
الكل عايش دور الضحية، إن السبب في جعله مجرمًا، هو المجتمع!،
أن السبب في جعله سارقًا، هو المجتمع!،
أن السبب في جعله قاتلًا، هو المجتمع!،
أن السبب في جعله لا شيء، هو المجتمع!،
وأصبح المجتمع هو الشماعة التي تعلق عليها كل خيباتنا وكل أخطائنا.
الحياة غنوة، منهم من :
يكتب،
يلحن،
يوزع،
يغني،
يصفق،
ومنهم الذي :
يكتب ويلحن ويوزع ويغني، ولا سيما ينال الإعجاب والتصفيق، فلماذا لا أرى أحدًا يكتب ويلحن ويوزع ويغني؟!
لماذا نرضى بالإعجاب والتصفيق فقط؟ مع العلم أن الذي يُصَفَق له، كان في بداية الأمر يُصفِق للآخرين.
ـ السلام عليكم.
ـ أنت حضرت لي قبل كده الأسبوع دا؟

ـ لأ.
ـ بقول لك حضرت لي السكشن دا قبل كده؟
ـ أنا قلت لك لأ!
أهرامات، ٢٥ يناير، غلاف أسود، لون ذهبي، منقوش على أجود أنواع الخيوط، يا له من مبدع أو مبدعة، ما هذا الإبداع؟
جو بديع، هواء نقي، خارج من حمام السباحة الموجود أسفل الأكاديمية، لا يوجد عدد كثير من الطلاب، هدوء وإبداع،
ومع كل هذا الإبداع، أسمع ثرثرة!، نعم إنها المعيدة، لقد أفسدتِ عليَ أيتها المعيدة هذه اللحظة الجميلة، هذه اللحظة التي جئت من أجلها، التي قلت عنها ربما تنتظرني السعادة هنا.
أخيرًا حصلت على السعادة، لكنها سعادة ناقصة، أو سعادة بنكهة القرف، من تلك المعيدة ومن التعليم العقيم.
هذه العقيمة تسخر من الطلبة بأسلوبها المستفز، وتظن أنها تمتلك شيء عظيم، وماذا تمتلك؟ معلومات لا قيمة لها، أخذتها من أستاذها، وأستاذها أخذها من أستاذه، بدون وعي وإدراك وتفكير، وبدون إضافة لتلك المعلومات من مفهومها الذاتي.
ولكنهم يستحقون، لأنهم يعظمونها ويعظمون أستاذها، ويعظمون كل من درس لهم تلك المعلومات، وكل آمالهم المستقبلية أن يصبحوا مثلهم، آسف أن يصبحوا حاملين عقم في عقولهم، ولهذا هم يستحقون.
تسألهم أسئلة إبداعية تلقتها من أستاذها، وتدمرها في نفس الوقت ببعض العناصر المتخلفة.
إذا أردت أن تقوم بمشروع ما، فما هي الأفكار التي ستجعل مشروعك مشروع ناجح؟
عناصر المشروع:
دراسة الجدوى،
الدراسة التسويقية،
الدراسة التفصيلية، إلخ.
وكل هذه العناصر على الحائط، مع العلم أن السؤال إبداعي، فكيف سيبدع الطالب

والعناصر موجودة على الحائط؟
إذًا أنتِ أو أستاذك لا تريدان إبداع خارج عن النص، نص الكتاب التافه.
وليكن الإبداع هنا أن تأتي بأفكار جديدة على حساب أفكاري.
كقول الشاعر: "أنا عايش ومش عايش".
إذًا يجب أن تأخذ كل شيء عن الأستاذ، حتى تتميز، ولا يوجد مكان للمتخلفين، أو بمعنى أصح لا يوجد مكان للمبتكرين.
وكل هذا يتلخص في جملة واحدة كن حمار، حتى تصل المنار.
لم أعد أحتمل تلك العقيمة، لا بد وأن أرحل من هنا، إلى أين؟ لا أدري!، لكن في الخارج سأرتجل وسأبحث عن طريق في ذاكرتي كي أسير عليه.
إذًا فلنبدأ بالرحيل، هيا أيها الجسد الكسول.
ـ معدتش تحضرلي بعد كده ولا سكشن.
ـ ممكن القلم الفلوماستر؟
ـ اتفضل!
ـ كنت أظن أن الحفظ سينتهي بانتهاء جيل المسنين، ولكن للأسف، أفكار المسنين تشعبت في أعماق الشباب، وأصبح الشباب كالمسنين، لا يختلفون إلا في شيء واحد، الجسد.
والعقل صار شيخًا، وتوقف عن سيره ونموه وابتكاراته، وأصبح يتلقى المعلومات ثم ينفذها، ولا يوجد مكان للإدراك والتفكير، وأصبح العقل عاجزًا، لا يستطيع أن يقوم بمهامه، ويريد أن يتكئ على البعض لمساندته فيما تبقى من عمره الذي أُفنيَ عندما توقف عن السير والنمو، واعتمد على التلقي وعدم إضافة أفكار جديدة، ذلك ما كنت أخشاه، ولكن للأسف حدث ما كنت لا أتمنى أن يحدث، وكان هناك أمل يشعلني، أننا يومًا سنسود بدلًا من أن نساد، ولكن الأمر أصبح صعبًا، ولا أقول مستحيلًا، ولكن ستكون هناك عقبات أكبر ممن كنت أتوقع، وعلى المتضرر يخبط دماغه في الحيط.
ـ أخرج بره بدل ما أعملك مجلس تأديبي!

لن أتكلم، سيكون الصمت هو لغتي، وسوف أخرج بدون أن أضرب الباب، حتى لا

تظن أنها أحرجتني، وأنني تعصبت بسببها، ولكن سأخرج بهدوء تام، وكأنني آتٍ من نزهة، لا أحد يستطيع أن يؤثر عليَ، أنا الحلم، أنا أكبر من ذلك التعليم العقيم، ومن المعيدات والأساتذة وكل من يعمل في مؤسسة هذا التعليم العقيم.

سأنتظر صديقي الصدوق حتى ينتهي من هذا السكشن.
ماذا أفعل الآن؟ لا بد وأن أستثمر هذا الوقت، لا يوجد خيار سوى الشعر،
أيتها الكلمات العابرة للعقول، أريدك الآن، هيا تقدمي، أنا بانتظارك،
جميل، جيد، جيد جدًا، ممتاز، أكثرهم أكثر، أريد أن أنسى ما حدث بالداخل، أريد كل ما في القلب أن يخرج بلا حواجز أو معوقات، بدأت أشعر بالراحة الداخلية، بكل قوتك أخرج، لا أريدك أن تظل تؤرقني وتؤرق نفسك، لا أريد أن أراك أحمقًا، لا أريد أن أرى غيرك يتنعم، بينما أنت تتألم.
فلتخرج للناس وللكون، لتغير ما لم أستطع أنا أن أغيره ولا غيري.
أيها الوطن الذي أسكن بداخله، فلتخرج، أيها الشعر فلتخرج حتى تغير، فنحن صرنا عاجزين عن التغيير، فلتخرج لتغير، فلتخرج لتحسن، فلتخرج لتريح، فلتخرج لتوجه، فلتخرج لأن من الأفضل لي ولك أن تخرج.

ـ ايه يا بني دا اللي عملته؟!
ـ عملت ايه؟
ـ دا أنت هنت المعيدة!
ـ أنا مهنتهاش، أنا هنت أفكارها السلبية، اللي هي السبب في جعلها متخلفة زي المتخلفين اللي بيدرسوا لنا!
ـأنت بقى مش هتبطل فلسفة؟
ـ ممكن أسألك سؤال؟
ـ اتفضل.
ـ السمكة لو خرجت من الميه تقدر تعيش؟
ـ طبعًا لأ!
ـ وأنا كذلك، لو متفلسفتش، أموت.
ـ بس الفلسفة هتخليك تتجنن!

ـ فعلًا الفلسفة بتجنن، بدليل إن سقراط لما جه بأفكار جديدة اتحكم عليه بالإعدام وعدموه وكل فلاسفة العالم اتحاربوا وطلعوا مجانين، فدا شرف ليَ إني أكون مجنون زي أساتذتي الفلاسفة.
ـ أنت اتغيرت!
ـ برضو!
" نعم تغيرت، ولماذا لا أتغير؟!"
د. سلمان العودة.
ـ أنا حاسس إنك تعبان، ايه رأيك لو تروح تكشف عند دكتور نفسي؟
ـ أنا فعلًا كشفت عند دكاترة نفسيين كتير، وباخد جلسات كل يوم.
ـ لحظة وبراحة عليَ، أنت بتقول كشفت عند دكاترة نفسيين كتير، وبتاخد جلسات كل يوم؟!
ـ صح.
ـ أنا أعرف إن الواحد يتابع مع دكتور أو دكتورين بالكتير، أمال دكاترة دي غريبة أوى!
ـ فعلًا غريبة أوى!
ـ مين بقى الدكاترة دول؟
ـ فرويد، ويليام جيمس، سقراط، أفلاطون، شيكسبير، جورج برنارد شو، أرسطو، ديستوفيسكي، روبرت شولر، أرشميدس، كونفوشيوس، فيكتور هوجو، فولتير، جوته، توماس أديسون، ألبرت اينشتاين، ستيفن آر كوفي، نيتشه، مارك توين، ديل كارنيجي، كريشنامورتي، برتراند راسل، جون دافيس، باولو كويلو، زج زيجلر، ابن تيمية، ابن القيم، العز بن عبد السلام، أبو حامد الغزالي، الحسن البصرى، ابن خلدون، أحمد بن حنبل، الشافعي، أبو حنيفة، مالك، عبد الله بن المبارك، شمس الدين التبريزي، مصطفى صادق الرافعي، البارودي، جلال الدين الرومي، محمد الغزالي، الشعرواي، أنيس منصور، نجيب محفوظ، مصطفى محمود، إبراهيم الفقي، طارق السويدان، درويش.
ـ كل دول؟!
ـ وناس تانية كتير، بس أنا ناسي مش فاكر الباقي.

ـ أنا فهمت قصدك ايه.
ـ عرفت بقى إن من حقي أتفلسف؟
الفلسفة ليست هي الأفكار التي تعارض الدين، فالفلسفة لا بد وأن تتفق مع الدين، لأن أكبر درجات العلم تنبع من الفلسفة.
والفلسفة هي الروح التي توجد داخل كل إنسان يريد أن يمتلك روحين.
الروح التي نعرفها، والأخرى التي تنتج من خلال خبرات وتجارب وإدراكات.
الفلسفة بدايتها كفر، ونهايتها إيمان.

عن عبد الله بن عباس -رضى الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله". رواه الترمذي وحسنه وصححه الألباني.

العين التي رفضت أن تنام، ليس سهرًا ومعصية وفجورًا، وإنما حفاظًا على أمن الدولة واستقرارها وحمايتها من أعدائها المتربصين المنتظرين غفوة لكي يهجموا علينا وارتكاب الأفعال الإرهابية التي تؤدي إلى زعزعة الاستقرار وإصدار أمر الفوضى والقضاء على الأمن والأمان.

هي العيون الساهرة لحماية ممتلكاتنا وأعراضنا وكل شيء نتنعم به.

هي العيون التي تكلم عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعدهم بوعد من الله -جلَ وعلا- أن جزائهم النجاة من النار.

هي العيون التي إذا انطفأ نورها كان لها أجر الشهادة، أجر الفضل، أجر الثناء عليهم، أجر الرفعة، أجر الوصول إلى مكانة لم يصل إليها أحد إلا النبيين مصداقًا لقول الله -عز وجل- في قرآنه الكريم :

"وجيء بالنبين والشهداء". ٦٩ ـ الزمر.

هو الشخص الوحيد الذي إذا مات، تمنى أن يرجع الدنيا لنيل عظم الجزاء والحصول على المدح والثناء، باستثناء الكافر والفاجر الذي يتمنى أن يعود إلى الحياة ليعمل صالحًا، وعن رب العزة -جلَ جلاله- قال :

" حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون (٩٩) لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون (##١)". ٩٩ : ##١ ـ المؤمنون.

إن الشهيد يتمنى عندما يرى مكانته في الجنان أن يعود فيقتل مرات عديدة، لأنه حي يرزق بعد شهادته.

عن جابر بن عبد الله -رضى الله عنهما- قال:

نظر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم فقال: "يا جابر مالي أراك مهتمًا؟
قال: قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك دينًا وعيالًا.
فقال سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم:
" ألا أخبرك ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحًا" أي مواجهة.
قال عز وجل: سلني اعطك.
قال: أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية.
فقال الرب -عز وجل: "وإنه قد سبق من القول إنهم إليها لا يرجعون".
قال: "أي رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله تعالى :
"ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون". ٦٩ ـ آل عمران.
الحديث رواه: البيهيقي في دلائل النبوة ورواه أبو بكر وابن مردوية والترمذي وابن ماجه.
كنت دائمًا أشتاق إلى أن أكون خادمًا للجيش المصري، ومقاتلًا يحمل السلاح ليقوم بواجبه، وحماية الحدود من العدو المتربص دائمًا لنا ولجميع الأوطان.
الشغف ما زال بداخلي، من سوء حظي أنني عاجز عن تأدية الخدمة الوطنية، أو لست عاجزًا فحسب، بل تعجزت، فأنا كنت أشتاق، لكن القانون وضع الفراق.
أيها الجندي، أنت فعلًا منعم، أنت تهدر صحتك في تأدية الخدمة الوطنية، ولكن أنت تفعل شيء، لا يفعله إلا العظماء، ولك أجران، في الدنيا والآخرة.
أما في الدنيا :
ستهاب وتحترم من جميع فئات المجتمع، لأن الشيء الذي تفعله شيء عظيم.
أما في الآخرة:
فقد قال عنك سيد البشرية ومعلم الإنسانية، محمد -صلى الله عليه وسلم:
"عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله".
يا له من جزاء عظيم، وإذا جاء أجلك وقضي الأمر وأنت تؤدي خدمتك الوطنية ستنال مرتبة الشهداء إن شاء المولى عز وجل، الذين يحشرون مع النبيين.
يا له من شرف ومكانة تسحر القلب، أيها الجندي، افرح، فأنت حقًا حي، وأفضل

الأعمال التي تبين الصالح من الطالح، هي الأعمال التي يتم فعلها مقابل أغلى ما يملكه الشخص، ألا وهى حياته.
ـ لو سمحت، لو سمحت، لو سمحت.
ـ ايه فيه ايه؟
ـ حضرتك، السواق عاوز الأجرة بس.
ـ طب حاضر.
ـ أصل الكل دفع، وهو عمال مصدعنا بمحدش دفع لسه، وقالي شوف يا أستاذ الدفعة اللي جنبك، وصحيه عشان أجرة العربية.
ـ طب خد أديله الأجرة أهيه.
ـ اتفضل الباقي.
ـ متشكرين يا عمنا.
ـ نام، أنا عارف إنك تعبان وجاي من سفر بعيد وبهدلة وكده.
ـ لأ خلاص النوم راح مني يا شبح.
ـ أنت جيشك فين؟
ـ في سينا.
ـ ربنا معاكم، أنا عارف إن انتوا متبهدلين في سينا، وكل يوم ناس تتقتل منكم.
ـ هو فيه، وفيه.
ـ قصدك ايه بالكلمة دي؟
ـ قصدي إن فيه ناس متبهدلة وناس متظبطة.
ـ متظبطة! وأنت بقى من الناس المتبهدلة ولا من الناس المتظبطة؟
ـ من الناس المتظبطة.
ـ ياجدع؟!
ـ بجد يا شبح.
ـ ازاي؟
ـ بص يا شبح، هقولك بس بعد ما نعدي الكمين دا.
ـ الحمد لله، عدينا من غير ما حد يتقبض عليه.
ـ أنت خايف كده ليه؟!

ـ لازم أخاف، دا كمين يابا!
ـ أمال لو عرفت أنا معايا ايه، هتعمل ايه؟
ـ معاك ايه؟
ـ خلينا دلوقتي بس في الجيش بتاعي.
ـ ماشي.
ـ بص يا عمنا أنا شغال في الصحرا في سينا، لما بنعرف إن فيه أراضي مزروعة بانجو بنروح نولع فيها.
ـ جميل.
ـ بس أنا مش بولع في كلها.
ـ أمال بتعمل ايه؟
ـ بقوم لافف لفتين حلوين كده واخدهم معايا وأنا مروح.
ـ يا جدع؟!
ـ زي ما بقولك كده.
ـ طب افرض اتمسكت بيهم وأنت نازل؟!
ـ ممنوع أتفتش أو أقف في كمين أو يتقبض عليَ، أنت مشوفتش الكمين ولا ايه؟!
ـ شوفت!
ـ الكل طلع بطايقه إلا أنا.
ـ وبعدين؟
ـ ولا قبلين، كل ما اجى نازل أقوم جايب لفتين ليَ ولحبايبي ونظبط الدماغ.
ـ أنت ازاي كده؟!
ـ ازاي يعني؟!
ـ يعنى أنت كده راضي عن نفسك؟!
ـ كل الرضا؟!
ـ دا أنت طلعت بتدمر بلدك مش بتحميها!
ـ بلدي، سلملي عليها!
ـ مش محتاجة سلامك!
ـ مش ضروري.

ـ يا خسارة الصورة اللي كنت راسمها لك في خيالي!
ـ أكيد كنت راسم لي، العيون الساهرة والشويتين دول.
ـ شويتين!
ـ أيوه شويتين، ليك شوق في حاجة؟
ـ لأ مليش!
ـ بحسب.
ـ بتحسب بكام اللفة دلوقتي، صح؟!
ـ بتقول ايه؟
ـ مفيش.
كانت أوهام، الآن الأمر اختلف، لم تعد هي العيون الساهرة لأجل الله -جلَ وعلا- ثم الوطن!، لم تعد هي العيون الساهرة التي تضحي بنفسها لكي ينام الآخرين مطمئنين، لم تعد هي التي أعرفها، لم تعد هي التي قد رسمت في مخيلتي.

عن معاوية بن أبي سفيان -رضى الله عنهما- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين".
رواه البخاري ومسلم.
" خير علوم الدين، الفقه".
الشافعي.
لا سب، لا شتيمة، لا قذف، لا غيبة، لا نميمة، لا منكرات، لا مضيعات، صبر، حلم، كلمة طيبة، حياة متزنة وهادئة، وذرية صالحة، وتوفيق ورضا من الله -سبحانه وتعالى، وقبول من الناس ووجه بشوش، وبسمة رنانة تنير الدرب للمحبطين والسالكين لطريق الضلال والفساد والتبرج والرذيلة.
فهم، إدراك، وضع العذر للمذنبين وللبشرية بأكملها، ورد السيئة بالحسنة، والمصيبة بالرضا، والكره بالحب.
كم كنت أتمنى، كم كنت أريد أن أصبح رجل دين، لكن للأسف، دائمًا كلها أمنيات، هذا ليس حظًا كما يعتقد البعض، بل توفيقًا من الله -عز وجل- وجهدًا، وأنا لم أجتهد ولم أدع الله ليوفقني ويرشدني إلى الطريق المستقيم، أنا دائمًا أمشي كالتائه، لا يعرف إلى أين يتجه، أمشي على الطريق وكأنني أترنح، هل هو حقًا طريق؟!
تصعقني الحياة بأشد ما عندها، فأتمايل على جهة وأظل فيها حتى تصعقني الحياة مرة أخرى، فأتجه إلى الجهة الأخرى، حتى وصلت إلى أن أصبحت مترنحًا كالنخيل تمامًا، تضربه الرياح فتوجهه يمينًا، ثم تضربه ضربة أخرى فتوجهه شمالًا، ويظل هكذا إلى أن تصعقه الرياح صاعقة شديدة، فتجعله أرضًا.
أما أنا، فأنا كذلك، أترنح كيفما شاءت الحياة أن تجعلني أترنح، في أي وقت تختاره الحياة لي أن أترنح، أترنح بدون عصيان، بدون تمرد، لأنه لا يوجد تمرد، لأنني ابتعدت عن طريق الله وتمردت، وطلبت الترنح والتمايل، فتركني وأمهلني كي أعود ولم أعد، ولكن أريد أن أعود، لكن الحياة لا تدع مجالًا ليَ أن أعود، فكلما نويت أن أعتزل

الترنح وأن أعود، تصعقني الحياة بكأس خمرٍ يلهيني في ملذاتي، ولكنه ليس خمرًا حقيقيًا، بل كأس الشهوة، حتى أعود إلى رشدي، الذي هو ليس برشد، بل إنه تخدير وتنويم في لحظة من السعادة الفارغة التي أحسبها سعادة، لكنها ليست سعادة، بل تعاسة مؤلمة.

نعم أنا ما زلت على ما أنا عليه، أريد الرجوع، لكن الأمر يريد عزم وحماس، ولكن أخاف أن أكون مثل النخيل، تظل الحياة تصعقني حتى أفارق الحياة، ولا أستطيع الرجوع، لأن العالم الذي سأنتقل إليه، جميع الموجودين بداخله كانوا يتمنون أن يعودوا ويرجعوا، ولكن فات الأوان، وأخشى أن يفوت الأوان قبل أن أرجع وأعود.

لكني أرجع وأرجع ثانية إلى ما أنا عليه، أنا لست سعيدًا، وكيف تأتي السعادة وأنا بعيد عن الله -عز وجل؟

ألم تسمع قول الشاعر وهو يقول :

ولست أرى السعادة جمع مالٍ

ولكن التقي هو السعيدُ

لماذا الدعاة يمارسون الوعظ أكثر من العقل؟!

لماذا يخوفوننا، ويجعلونا نرتعد وننتظر الموت؟!

لماذا يحولون سعادة قلوبنا إلى تعاسة؟!

لماذا يخوفوننا دائمًا بعذاب الله؟!

لماذا لا يكلموننا عن رحمة الله؟

لماذا لا يذكرون لنا أن الله غفور رحيم؟

لماذا يفضلون التواب على الأواب؟ مع العلم أن الأواب أعلى درجة من التواب.

لماذا يريدوننا أن نعتزل العالم والدنيا؟! هل هذا هو الدين؟

هل الدين يجمدنا، ويرفض الصناعات والإنشاءات؟

هل الدين هو الاعتكاف في المساجد فقط؟

طبعًا لأ، الدين يشجع على التعمير ومعاشرة الناس، سواء المسلمين وغير المسلمين.

عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال :

"إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدًا إلا غلبه".

رواه البخاري.

وأيضًا :
عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم:
" يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا".
متفق عليه.
أعلم أن المشايخ والدعاة والعلماء يلتحقون بأعلى الكليات الإسلامية، وفرضًا عليهم أن يدرسوا الكتاب والسنة، وفي السنة يجب أن يدرسوا كل الأحاديث، الصحيحة والضعيفة والموضوعة، فكيف يرهبون الناس ويمارسون الدين بطريقة خاطئة وهم قد درسوا جميع الأحاديث؟
هؤلاء بجهلهم يضرون الدين ولا يشعرون بهذا، لأنهم أخذوا هذا من جهلاء مثلهم، ويظنون أن هؤلاء على صواب، ويظنون أن الدين هكذا.
لماذا الجهل والتشدد؟
لماذا لا أرى فيهم شعراوي جديد؟
أنا فعلًا أعشق الشيخ الشعراوي -رحمه الله، لأنه كان يخاطب العقل، وكان يسهل الدين، حتى في قضية الغناء، جعل الشخص هو الحاكم على نفسه.
إنها جريمة شنعاء! كيف حدثت تلك الجريمة؟! كيف يعيش المرء وكيف يحيا بعد تلك الجريمة؟!
لست أتحدث عن جريمة القتل التي حدثت، ولكن أتحدث عن سكوت المشايخ في بلدتنا، هل هذا مباح لكم أيها الجهلاء؟! أنتم لا تستحقون أن تقفوا على منبر رسول الله، لا أعرف لماذا سكتوا! لا بد وأن أتقدم خطوة جيدة وأتحدث مع أحدهم، ربما يتأثر، ومن ثم يؤثر على باقي زملائه.
ما زلتم على ما تركتكم عليه؟!
دائمًا وعظ، وعظ، وعظ، ألا يوجد عقل؟ ألا يوجد قول الحق؟
كيف تأمرني أن أكون مستقيمًا، وأنت لست مستقيمًا؟!
جلباب، عمة، سبحة طويلة، لحية ممتدة وكثيفة، سواك في اليد، مسك في الجيب، كل هذا خارجي، فماذا عن الداخلي؟!
لو كنا نعدل بين الداخلي والخارجي، لأصبحنا، لا بل دمنا أحياء.
وما هو الدين؟

الدين هو النية.
الإنسان يدخل الجنة بالرحمة، من الرحمن الرحيم، ثم النية،
ويدخل النار بالنية،
عندما كان يقاتل الرسول -صلى الله عليه وسلم، في أحد الغزوات، كان القتال شديدًا، والصحابة كانوا يقاتلون قتالًا شديدًا، ولكن كان هناك رجل يقاتل قتالًا ليس عاديًا، وكان يخوض في صف الأعداء، كخوض مياه خراطيم حرب أكتوبر في خط برليف، حتى تعجب الصحابة من أمر هذا الرجل.
وجاءوا لرسول الله -عليه الصلاة والسلام- وقالوا: يا رسول الله، إن هذا الرجل يقاتل قتالًا شديدًا منذ بداية المعركة ويضرب أعناق الكفار، ويقاتل في سبيل الله، فقال لهم المصطفى العدنان: "إنه في النار"، فتعجب الصحابة من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- وانصرفوا، لكن كان هناك رجل، يريد أن يعرف ما شأن هذا الرجل، فذهب يتابع الرجل وقد طعن وهو على وشك الموت، فقال له الرجل: هنيئًا لك الشهادة، أنت كنت تقاتل في سبيل الله وكنت تدافع عن دين الله، فقال المقاتل: لا، أنا ما كنت أدافع عن الدين ولا كنت أقاتل في سبيل، ولكن كنت أدافع عن شرف قومي وعزهم ومجدهم، ولكي تتحدث الناس عني بعد وفاتي أنني كنت بطلًا وأنني كنت شجاع.
فذهب الرجل إلى رسول الله، وقال: أشهد أنك رسول الله، قال: وما ذاك؟ قال: الرجل الذي ذكرت آنفًا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه ثم جرح جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وبابة بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله عند ذلك: "إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة".
إن المظاهر لا تعطي الجنة، بل الجنة تطلب من يكون داخله سليم ونظيف، إنها النية،
أخيرًا انتهى الحديث، ياللا اتفضل قول متنسوش السنة!، وأنت كمان متنساش قول الحق، وتوعية الناس، وأخذهم إلى بر النجاة!
لماذا هؤلاء المعاتيه يحرصون على الحياة، أأمسك المايك وأقول بعلو الصوت، إنها

زائلة، إنها فانية.
سترحلون وتتركون كل شيء، وستلاقون عملكم :
إما سيء، أو صالح ميمون.
ـ السلام عليكم.
ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
ـ كنت عاوز أتكلم مع حضرتك شوية يا عم الشيخ.
ـ اتفضل يا بني أنا سامعك.
لا تشتاق كثيرًا إلى سماعي، سوف أجعلك تحترق حالًا، سوف أجعلك تطلب أن أنهي الحوار، أو ربما أنت من تنهيه لأنك لن تصبر على استمرار الحوار، سوف أجعلك تندم أنك سمحت ليَ بالتكلم معك، لا تستعجل أيها الشيء التافه، كل مدى أتأكد من صحة عبارة الشاعر: أحمد فؤاد نجم :
" رجال الدين ليسوا نصابين، ولكن النصابين أصبحوا رجال دين".
مهلًا عليك وخذ شهيق، وبقوة، ربما لا تأخذه ثانية بعدما تسمع الكلام مني، ربما يكون آخر شهيق تأخذه!
أنا أعطيك جزءًا من الحياة قليلًا قبل أن تفارقها بعدما تسمع كلامي، فلا تستعجلني لأنني أخشى أن تمت من كلامي أيها المعتوه.
ـ حضرتك يا عم الشيخ عرفت إن فيه جريمة قتل حصلت هنا في البلد، يجي من أسبوعين كده.
ـ صح يا بني.
ـ وبرضو حصل جريمة قتل امبارح وواحدة النهاردة.
ـ أيوه صح.
ـ ليه أنت بقى مبتتكلمش على الجرايم دي، وقلت العقوبات وقلت التحريم ووعيت الناس أنت والشيوخ زمايلك؟
ـ يا بني احنا بيجلينا الخطب مكتوبة من وزارة الأوقاف، واللي بيخالف بيتشال.
ـ يعنى أنت موظف بتاخد أوامر وبتنفذها؟
ـ بالظبط.
ـ وبتمن جهدك بتاخد فلوس؟

ـ تمام.
ـ خلاص، أوعى تنتظر من ربنا ثواب.
ـ ليه؟
ـ لأنك بتاخد ثوابك في الدنيا يا عم الشيخ!، ولا أقولك يا عم الموظف؟!
ـ لأ يا بني أنا باخد أجرين، أجر دنيوي، وأجر في الآخرة إن شاء الله.
ـ دا لو كنت بتقول الحق.
ـ أنا مغلوب على أمري.
ـ أيوه بقى، الأسطوانة المشروخة أهيه.
ـ مش مشروخة يا بني، دي الحقيقة.
ـ دي الحقيقة؟!
ـ أيوه طبعًا.
ـ طب اسمع لقول ربنا -عز وجل:
"إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً". ٩٧ ـ النساء.
ـ طب أنا مش قادر أسافر، وغير كده هسيب ولادي ومراتي لمين؟
ـ لله -عز وجل، زي ما سيدنا إبراهيم -عليه السلام- ساب مراته ومشى، فنادت عليه زوجته وقالت: أتتركنا؟ فمردش عليها، فقالت الله أمرك بهذا؟ برضو مردش، لحد ما فضلت تسأله كتير حتى قال: نعم، فقالت: إذًا لا يضيعنا.
وتركهم لله -عز وجل- والله حفظهم وبارك فيهم.
ـ أنا لا أتحمل السفر وعناءه.
ـ أنت مقرأتش قول السلف الصالح من رحل إلى بلدٍ تراق فيه الدماء وتكلم في الصوم والصلاة فهو خائن لله؟
ـ لأ قرأته.
ـ أمال مش بتطبق اللي قرأته وأخدته ليه؟
ـ يا بني سيبنا نعيش مستورين وفي حالنا.
ـ أكتر كلمة ضيعتنا، لما كان يحصل مصيبة قديمًا، كان الكل بيروح يحولها لبشرى

وسرور، فكانت الأمور ماشية بطريقة جميلة وكانوا عايشين حلو والكل كان بيخاف على بعضه، ودلوقتي لما كله قال مليش دعوة وأنا في حالي، ايه النتيجة؟ طبعًا زي ما أنت شايف،

وصلنا للقاع، بل لقاع القاع.

ـ مش عارف أقولك ايه يا بني!

ـ متقولش حاجة، أنا هقول كل حاجة يوم القيامة إن شاء الله.

ـ أنت عاوز ايه مني؟

ـ أنا كنت مفكر إن العلماء والمشايخ أكتر الناس بيقولوا الحق.

بس الظاهر، إن هما معدوش علماء ومشايخ، دول بقوا موظفين ومأجورين.

ـ احترم نفسك.

ـ سلام عليكم.

ـ وعليكم السلام.

هل انتهى زمن العلماء الحق؟

كانت صورة كاذبة، رسمتها في مخيلتي التافهة، ليست كاذبة، بل كانت صحيحة، لكنك رسمتها على زمن مضى وانتهى، ربما كنت مغفل لدرجة أنني كنت أحترمهم، وأي احترام، بل كان احترام غير عادي، المعادن تظهر على حقيقتها عندما نتعارف عليها، وإخراج كل المستور عن أعين الناس.

وما المعادن إلا برتوكولات، جذابة من بعيد، ومن قريب ساحرة، وعندها لمسها تسرقنا، وعند كشف غطاءها، لا شيء مما أذهل أعيننا.

الوسط الفني

دوم، دوم، دوم، ما هذا المكان الساحر؟
أشجار، بستان، زقزقة عصافير، سماء صافية، ضحكات فاتنة، هل أنا دخلت الجنة؟
ـ جنة مين يا عم! أنت عاوز ايه؟
ـ مش عارف.
ـ يعنى جيت هنا ازاي؟
ـ برضو مش عارف.
ـ طب تعالا معايا كده.
ـ حاضر.
ـ أكشن.
ـ أكشن ايه؟
ـ أسكت يا جدع بقى.
ـ حاضر.
ـ أكشن.
هذا المكان احتمال كبير للتمثيل، لكنه مكان أكثر من رائع، الذي اختاره فعلًا إنسان ذو رؤية ثاقبة، لكنني لم أعرف لماذا جئت إلى هنا! سأنتظر حتى ينتهي هذا المشهد، لأسأل الشخص الذي لم أعرفه، ولا أعرف كيف ظهر ليَ، ولا أعرف لماذا اختارني أنا؟
ـ ممتاز.
ـ ممتاز، ممتاز، ممتاز.
ـ أنت علقت ولا ايه؟
ـ لأ، حضرتك بقى مين؟
ـ أنا الكل في الكل هنا.
ـ طيب يا عم الكل في الكل، الناس دي بتمثل صح؟
ـ أيوه.

ـ أنا أنفع أمثل؟
ـ شكلك مش بطال، تنفع.
ـ تعرف أنا دايمًا كان نفسي أمثل وابقى مشهور، بس كل ما اجي أدخل عالم التمثيل والسينما يحصل حاجة تمنعني ومكملش في الموضوع، ومش مرة بس، دي مرات، مش عارف ايه السبب؟!
ـ احمد ربنا، لأنه بعدك عن السكة الفاشلة دي.
ـ الحمد لله على كل شيء، بس ليه سكة فاشلة؟
ـ أنت متعرفش؟
ـ لأ بصراحة، ولما هي فاشلة، ليه أنت في المنظومة دي؟
ـ أنا قريب إن شاء الله هسيب الشغلانة الفاشلة دي.
ـ طب محكتليش.
ـ بص يا جميل.
ـ بصيت.
ـ الممثلة هنا أو الفنانة أو المطربة علشان توصل، لازم تفصل.
ـ مش فاهم!
ـ يعنى علشان تكون نجمة وتتشهر بسرعة، لازم يكون معاها واسطة كبيرة، ممكن راجل أعمال، ممكن مخرج، ممكن ممثل كبير، بس مش بلوشي كده.
ـ يعنى ايه؟
ـ يعنى الناس دي كلها مش هتساعدها ببلاش، لازم يكون فيه مقابل.
ـ زي؟
ـ فيه مثل بيقول يا بخت من نفع واستنفع، وكل اللي شغالين في السينما والوسط الفني كلهم ماشيين بنفس السيستم.
ـ طب مثلًا، الممثلة ممكن تستفيد وتتشهر، الواسطة بقى هيستفيد ايه؟
ـ لازم يمتلكها.
ـ أنت بتقول ألغاز، ومش موضح ليه؟ أنت خايف تقولي؟
ـ لأ مش خايف ولا حاجة، دا أنا حبيتك واستريحتلك.
ـ طب ما تتكلم.

ـ بس أوعدني إن الكلام دا ميطلعش؟
ـ وعد.
ـ الواحدة من دول علشان توصل، لازم تقضي ليالي حمرة مع الواسطة دا.
ـ حبيبي، وايه تاني؟
ـ ولازم تكون بتاعته، لو احتاجها في أي وقت تجيله على طول، وعمرها أبدًا ما تسيبه مهما حصل، وغالبًا بيكون فيه عقد إن ليه نسبة كبيرة من مبيعاتها.
ـ طب لو ممثل كبير وهو واسطة الممثلة دي، ايه اللي هيعوزه من الممثلة الجديدة؟
ـ جسمها.
ـ يا جدع!
ـ أنا عارف إنك هتتصدم لأنك متعرفش الدنيا هنا ماشية ازاي.
ـ طب عرفني براحة.
ـ بص يا عم، هي ماشية زي إسرائيل، بالظبط نفع واستنفع، كان مرة فيه واحدة شغالة في الحكومة الإسرائيلية، وبعدين كانت هتوصل لمكان مهم جدًا في الحكومة الإسرائيلية، فرئيسها والحكومة مرضوش يوافقوا إنها تاخد منصب مهم في الحكومة إلا إذا نامت مع واحد مهم برضوا ويتصوروا كمان.
ـ وطبعًا هي وافقت، لأن الحاجات دي عندهم عادي؟!
ـ طبعًا، ما بالك بدولة مسلمة وبتعمل كده، بس في السر، وبيقولوا إن دى دولة مسلمة.
يتعروا ويقولوا مسلمين.
يختلطوا ويقولوا مسلمين.
يزنوا ويقولوا مسلمين.
ولو الواحد قالهم بس دا حرام، يقولوا متشدد وإرهابي وفاهم الدين غلط، ويقولك إن احنا الدين الوسطي الجميل، وهما ميعرفوش حاجة عن الإسلام، لأنهم لو كانوا يعرفوا مكنوش عملوا كل الفُجر دا.
ـ عندك حق.
ـ وغير كده الواحدة من دول تلاقيها متجوزة أكتر من راجل، ازاي معرفش! مع كل هدية بتجيلها من أي واحد مشهور، على طول تاخدها ويتجوزوا.

وكل شوية طلاق في طلاق، ودى تتجوز من هنا، وبعد أسبوع تتطلق من هنا!
وبعد كده تتجوز تاني، وتتطلق تاني!
وتسيب دا، وتروح لدا!
وتسيب دا، ودا يشقطها!
شوفت القطط؟!
ـ أيوه.
ـ هما بقى كده، حياتهم وسخة.
ـ فعلًا، بس أنا كنت مفكر إن الفن ما هو إلا رسالة.
ـ هو فعلًا ليه رسالة عظيمة جدًا.
ـ هي ايه؟
ـ الجنس والبلطجة والفُجر.
ـ فعلًا عندك حق، ومش عارف أقولك ايه! فعلًا هما السبب في انتشار التحرش.
ـ والاغتصاب والزنا والبلطجة والفُجر.
تلاقي الواحد عشان يتفرج على فيلم ويطلع منه بمعلومة، تلاقيه يطلع مجرم وبتاع نسوان.
وتلاقي البنت الصغيرة متعرفش حاجة وهي طفلة، تطلع خبرة ورقاصة بعد الفيلم.
وتلاقي الراجل العِرة بيتفرج هو ومراته وولاده على شاشة كلها معاصي وذنوب وفجور، ويقولك بنتسلى.
خلاص، عقلي مبقاش فيَ يا ناس، أنا حاسس إن ربنا هيخسف بنا الأرض!
ـ ربنا يسترها، احنا بقينا فجرة أوى، ونستاهل كل اللي بيحصلنا.
ـ يا عم من كتر الفُجر، فيه فنانة كانت مش مصرية، لسه مكتشفة جديد، وكانت عاوزه توصل، فمكنش قدامها حل غير إنها تنام مع واحد من اتنين مشهورين جدًا، والاتنين أوسخ من بعض، وفيهم واحد مبيعديش فيلم أو مسلسل إلا لما يعمل حاجة وسخة زيه، لأنه إنسان وسخ.
وبعدين الاتنين الممثلين دول اتفقوا إنهما يعملوا قرعة، واللي هيكسب هياخدها تنام معاه، وكانوا بيعملوا القرعة على مؤخرتها، أنت متخيل كمية الفُجر؟!
ـ متخيل، دول عالم فجرة.

ـ واللي كسب القرعة الممثل التاني، وخادها تنام معاه، والغريبة بعد كده، إنها اتجوزت ملحن من أفضل الملحنين اللي جم في التاريخ، وكان مصري.
ـ هو فيه حد كان يعرف؟
ـ مش كتير.
ـ ما هو اللي اتجوزها دا لو كان يعرف مكنش اتجوزها.
ـ يا غلبان أنا أعرف واحد كان بيسيب مراته تروح تقضي ليالي حمرة بره، وهو كان موافق، وهى كانت مرحبة بالفكرة، وعلى فكرة كان مشهور جدًا، وهى برضو كانت مشهورة جدًا، دا بقى اسمه ايه فى الدين؟
ـ ديوث.
ـ وفيه ناس كتيرة، بلاوي، يا جدع دا فيه فنانة بتمثل فيلم، فجه لقطة ساخنة، راحت نامت مع الممثل بجد، والمخرج رفع عليهم قضية.
ـ أنا مذهول!
ـ يا جدع، دا احنا عدينا الأفلام الأجنبية في المسخرة والانحلال، وأزبل فيلم أجنبي، أفضل من أي فيلم عربي، كفاية بس إن أفلامهم كلها فيها رسالة.
ـ احنا بقى عندنا بلطجي، وشوية حب، وشوية جنس، وشوية ضحك، بس خلاص.
ـ تمام، عرفت ليه أنا عاوز أسيب المهنة الزبالة دي؟
ـ عرفت، طب الممثل نظامه ايه فى الليلة دي؟
ـ بص، هو بيبدأ كومبارس لممثل كبير ومشهور، والممثل الكبير دا كان كومبارس لممثل أكبر وهكذا، وغير كده عشان يظهر لازم يعمل شغل أكشن ويطلع بلطجي عشان احنا بنحب الأكشن، أو يمثل كوميدي، وعندك من دا كتير في بلدك يا معلم، ولازم يكون دمه خفيف، خفيف ايه! دا لازم يكون معندوش دم أصلًا، عشان ميزعلش لو حد اتريق عليه، ويفكر إنه بيتمدح، ولازم برضوا يكون تافه، عشان احنا شعب تافه.
ـ ارسم يا فنان، أنت مايسترو!
ـ حبيبي.
ـ كمل.
ـ حتى لو جيت تلاحظ فى أكتر البرامج هتلاقيها برامج توك شو وقلة أدب، وكذلك الأفلام والمسلسلات.

ـ فعلًا، أنا نفسي مرة أشوف فيلم عربي أو برنامج عربي فيه رسالة؟
ـ وهو مين في بلدك بيقدر الرسالة؟
ـ عندك حق.
ـ مينفعش يكون هناك رسالة أصلًا.
ـ ليه؟
ـ لأن الراجل المطحون دا طول اليوم في الشغل، مش عاوز الرسالة بتاعتك دي والكلام الفاضي دا، لأنه طول اليوم بيعاني في الشغل، ويجي البيت يلاقي واحدة كاتباله ليستة بجميع مصايب الدنيا، وعاوزه فلوس، وعاوزه، وعاوزه، وياكل وهو مقروف، ويلاقي الأكل ناقص ملح أو مش مظبوط، وبعد الأكل يجي ياكل فاكهة لو فيه فاكهة، يلاقيها ضاربة ومتهرمنة، يتقرف أكتر يروح يعمل شاي، ميلاقيش سكر، لأن السكر دلوقتي بقى غالي، فيضطر يشرب ميه، يلاقى الميه فيها تراب وعنكبوت، يتقرف أكتر، يروح يطلع غله في الواد المسكين ابنه، ولا معملتش الواجب ليه ياد يا ابن الكلب؟! ويقوم عاجن الولا!، تيجي مراته تزعقله شوية، يقوم رايح راقع مراته كفين على وشها ويقولها أنا راجل البيت، أنا راجل البيت، يتقرف أكتر، يروح يفتح التلفزيون يلاقيك عمال تقوله كلام هو مش فاهمه، لأنه اتعود يروح الشغل ويطلع عين أهله فيه، ويجي من الشغل يحصل زي ما قولتلك، يلاقيك قدامه وهو مخنوق، يروح ضارب الريموت فى الشاشة مدمر الدنيا ويخسر شاشة أقل حاجة ب ٥### جنيه دلوقتي، وأنت السبب.
عرفت ليه إن البلد دي مش عاوزه رسالات؟
هي عاوزه تفاهات.
ـ لو قعدت أسقفلك من هنا لبكرا مش كفاية، أنت برنس!
ـ حبيبي.
ـ أنت اللي حبيبي.
ـ عرفت ليه الكوميديا والبلطجة والجنس مطلوبين؟
ـ عشان احنا عاوزين ننسى، ننسى كل آلامنا، ننسى الدنيا، ننسى نفسنا حتى.
ـ أنت هتخش على شغلي ولا ايه؟!
ـ أستاذ.

ـ حبيبي.
ـ أنت أكتر.
ـ مقولتليش بقى، حابب تكون البلطجي، ولا الوسخ بتاع الجنس، ولا التافه، ولا الراجل المطحون؟ اضحك لأن احتمال معدتش تضحك تاني!
.....
.....
.....
ايه دا، تاني أحلام! أنا لحد امتى هفضل أحلم كده؟! هو أنا كل ما اجي أفكر في حاجة وتشغلني لازم أحلم بيها! اللي بيحصل دا مش طبيعي، فيه حاجة غريبة! بس هو كان حلم جميل، حلم بنكهة الواقع، أو الواقع هو اللي بنكهة الحلم.
معظم الأشياء التي أريدها بشدة وأتمنى أن أصل إليها، أحلم بها دائمًا أنها ليست على ما يرام، أنها ليست هي التي بمخيلتي، ربما أتخيلها في مخيلتي على ما أراها ظاهريًا، لكنني رأيتها الآن داخليًا، لكن لا أعرف هل تنتمي للواقع بصلة؟ لا أعرف.
التفكير هيفرتك دماغي! مش كفاية الشعر اللي بيموتني وبيخليني أصرخ بيه في الشارع، لما الناس أفتكروني مجنون وبيكلم نفسه.
أنت فاكر لما أبوك جالك في المنام وكان متعصب؟
فاكر.
وليه كن بيزعق في وشك؟
عشان أنا كنت بعدت عن ربنا.
ولما رجعت، حصل ايه؟
جالي وهو فرحان.
أنت فاكر قبل ما يجيلك غضروف في رجلك، مين اللي جالك في المنام وكان بيحذرك؟
أبويا.
طب فاكر لما كنت متشاكل مع اخواتك وهو جالك في المنام زعلان، وبعدين ضربك بالكف على وشك؟
فاكر.
وكل دا حصل وأنت كنت بتحلم، وبعد كده بقى واقع حقيقي.

فعلًا.
أكيد إن كل دا كان رسالة من الله -عز وجل، لتحذيرك من الطرق اللي أنت شايفها مناسبة لك وصالحة وإنها هتصلح حالك، لكنها مفسدة.
معدتش عارف، أنا حيران، مكنتش متوقع إن الوسط الفني بالسرعة دي تغير.
متغيرش ولا حاجة، هو كده من أول ما اتنشأ، وهو متغيرش، ولكن أنت اللي اتغيرت وعرفت الحقيقة.
بتنفس أوجاع، الفُجر بقي عنوان للوسط الفني.
قلتلك متغيرش، هو كده من يوم ما اتنشأ. دا مع دي، ودي مع دا، ودا يتخلص من دي، فيشقطها دا، وكأن الوسط الفني عبارة عن بيت دعارة.
هتفضل كتير مقتنع إنه اتغير؟
شيئًا قليلًا!
هو متغيرش وللمرة الأخيرة، هو كده.
الحمد لله إن ربنا نجاني من الوحل دا اللي كنت هقع فيه لولا رحمة ربنا.

الطالب

اللي بيتعب بيلاقي.
اتعب عشان تستريح بعد كده.
يوم الامتحان يكرم المرء أو يهان.
الفاشل فاشل من يومه.
ابقى قابلني لو نجحت.
أسوأ مرحلة في التعليم، الثانوية العامة.
ذاكر عشان تستريح في الكلية.
ذاكر عشان تجيب مجموع حلو، وتبقى أشطر من ابن خالتك.
ذاكر عشان تدخل كلية حلوة والناس تحترمك.
ذاكر عشان لما تيجي تخطب يلاقوك واخد كلية ويقبلوك على طول.
ذاكر عشان تجيب واحدة واخدة كلية وتخلفوا عيال يطلعوا كويسين.
ذاكر عشان تعوض تعبنا وبهدلتنا.
ذاكر عشان ترفع راسنا فوق.
ذاكر عشان تبقى دكتور ويبقى معاك فلوس كتير.
ذاكر عشان تبقى مهندس وتبني لنا عمارات.
ذاكر عشان تبقى صيدلي وافتح لك صيدلية.
ذاكر عشان تعرف تعيش بعد كده.
ذاكر عشان متطلعش نقاش، ولا بتاع محارة، ولا نجار، ولا سباك، ولا شيال، ولا زبال، ولا أي شغلانة تقلل منك ومننا بعد كده.
ذاكر،
ذاكر،
ذاكر،
ذاكر،

ذاكر.

.....

.....

.....

الكل يريد أن أكون هو، ولا أحد يريد أن أكون أنا.

لماذا يرغبون دائمًا في التعلق بالأشياء التافهة، ولا يهيئون ظروفًا تمنح أشياء جادة؟!

لماذا كل تفكيرهم في المال؟!

لماذا يحاربون ويسخرون من كل شخص يخالف أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم؟!

لماذا يعيشون كالأنعام؟!

لماذا يفضلون أن يساقوا كما تساق الأنعام؟!

أما أنا، فلست كباقي الأنعام.

أنا لا أساق، أنا أسوق.

" لا يمكن لورقة امتحان سخيفة أن تحدد مستقبلي".

توماس أديسون.

" التعليم المدرسي سيجلب لك وظيفة، أما التعليم الذاتي سيجلب لك عقلًا".

ألبرت اينشتاين.

ماذا أريد أن أكون؟

أأكون مثل الأنعام الذين لا يتأثرون ولا يؤثرون، أم مثل الحكماء والفلاسفة الذين لم يسلموا من كلام الناس، واتهموا بالإلحاد والكفر والجنون؟

لكن هؤلاء الفلاسفة قادوا العالم بعد ذلك بعلمهم الفريد، يجب أن لا أستمع إلى هؤلاء الأنعام، منذ صغري وهذه الحكمة في ذهني، ولم تغب عني لحظة واحدة :

" الإنسان عدو ما يجهل".

أنا لا أعرف من الذي ابتكرها، لأنني لا أجيد الحفظ، فكل ما يهمني، الحكمة فقط، الحكمة تشعل حماسي، وتيقظني من حلم زائف.

ـ غرباء ، غرباء، غرباء.

ـ نعم.

ـ نعم ايه!، مالك بتفكر في ايه؟

ـ مفيش.
ـ يا جدع؟
ـ أنت فينك، بقالك كذا يوم ياد يا شيخ غايب؟
ـ مفيش، كان عندي ظروف.
ـ وايه هي الظروف دي؟
ـ مفيش.
ـ أنت هتخبي عليَ؟
ـ أنا كنت بكشف وبحلل، وطلع عندي السكر.
ـ أنت بتهزر صح؟!
ـ لأ مش بهزر.
ـ ازاي يا بني؟!
ـ فجأة كده جالي.
ـ يعني بدون أسباب؟
ـ لسه الدكاترة مش عارفين البتاع دا جالي ازاي، ولا أنا كمان عارف.
- الحمد لله.
ـ الحمد لله على كل شيء.
ـ بس الغريبة إنك مش بتاكل رز كتير ولا حلويات ولا بتاكل أصلًا، ولا بتزعل، ولا عمرى شوفتك متعصب !
ـ الحمد لله في السراء والضراء.
ـ طب وهتكشف تاني امتى؟
ـ إن شاء الله كمان يومين.
ـ بس فيه علاج بيتشرى للمرض دا وبيشيله نهائيًا.
ـ هو فيه واللي اخترعه دكتور مصري، بس الدكتور حاليًا مسافر برا، وهو عبارة عن مجموعة أعشاب لمدة ٣ شهور.
ـ بكام العلاج دا؟
ـ ب ١#### جنيه.
ـ مش مهم الفلوس، تولع الفلوس، المهم تبقى صحتك كويسة، لأن المرض دا تعجيزي

وظالم!
ـ منا عارف كل أعراضه.
ـ مش عارف أقولك ايه ياد يا شيخ، بس ربنا يشفيك وتبقى كويس.
ـ يا رب، ادعيلي، وخلي الست الوالدة تدعيلي كتير.
ـ حاضر، وربنا يشفيك، سلام.
ـ سلام.
سائر في طريق، ورود، ألحان عصافير، نسيم، شمس هادئة، حياة رائعة، ثم بعد، تنتزع من هذا الطريق، لترى الطرق الأخرى، ولتسير عليها أيضًا، شئت أم أبيت، القرار هنا ليس قرارك.
من أخطر الكلمات التي قرأتها للشيخ الشعراوي، التي جعلتني أعيد النظر في حياتي وفى حياة الناس أيضًا، كان يقول: ترى الإنسان يأكل دائمًا أفضل الطعام وألينه وأطعمه، ثم يمرض بعد ذلك، فيمنع من هذا الطعام، ويكتب له الطعام الذي لم يأكله طيلة حياته، لكي تحدث هنا الموازنة الدنيوية.
وترى شخصًا دائمًا يأكل الطعام الخشن، والقليل من الطعام، ثم بعد ذلك، يأكل الطعام الجميل واللين، والكثير من الطعام، لكي تحدث الموازنة الدنيوية.
وإشارة الشيخ الشعراوي هنا إلى المساواة، وإلى عدم الاطمئنان أن صحتك، لن تبقى كما هي،
وأن مرضك لن يبقى،
وأن شقاؤك في الدنيا لن يستمر،
وأن سعادتك في الدنيا ستزول، ولا يبقى حال على حاله.
فعلًا،
" دوام الحال من المحال".
من أجمل الأمثلة التي سمعتها في حياتي، ليس لأنه يصبرني على الشقاء والعناء الموجودين بداخلي، ولكن لأنني نظرت في معظم الناس فوجدت حياتهم تسير بشكل رائع، ثم بعد ذلك
حياة تعيسة وضيقة، والعكس صحيح.
لم أعد أتحمل، لم أعد.

أيوجد شيء أكثر كفاءة ويجعلنا ننعس وننام بدون أن نستشعر المخدر؟
نعم،
الحزن.
الحزن أسرع من المخدر، فبعد أن تأخذ المخدر، تشعر وكأنك ما زلت يقظًا إلى فترة قليلة.
ـ هو دا الكنز الحقيقي، هي دي الحياة ، أنا مش مصدق نفسي، بقى أنا موجود هنا؟!، دي جنة الدنيا، دي الجنة اللي أنا عاوزها في الدنيا،
مكان تحفة، مفيش أجمل من كده، مفيش أمتع للنظر من كده، كنت أتمنى ولو لمرة في حياتي إني أعيش تلك اللحظة، أخيرًا بقيت أنا والجنة لوحدنا!،
نافذة نصف مغلقة، شمس تتسلل بهدوء، نسمة هواء صافية، وكأنها قد صفيت قبل أن تدخل هنا من الشوائب، لا ينقص هذا المكان إلا كرسي متأرجح، مع فنجان قهوة، وستكتمل الجنة.
أنا حاسس إني هموت من الفرحة.
حلم حياتي بيتحقق، بيتحقق ايه؟! هو خلاص اتحقق،
هو دا اللي كنت بتمناه، هو دا اللي كنت بحلم بيه على طول، هو دا اللي قولت لو جه، يبقى أحلامي كده كلها اتحققت.
سوف أموت من الفرحة، لم أعد أحتمل هذا، هذا المكان سيجعلني، كلا لن يجعلني، فقد توقف عقلي عن كل شيء.
توقف عن التذكر، توقف عن التفكير، توقف عن التخطيط، توقف عن المقارنات، توقف، توقف، وتوقف، ولماذا لا يتوقف؟
أنا معاك هنا لحد ما أموت، أوعى تقول إني هزهق منك؟! أنا عمرى ما أزهق من حلمي، أنا نفسي أنت اللي متزهقش مني يا أجمل مكان شوفته في حياتي.
أبدأ بايه؟
تاريخ؟
فلسفة؟
دين؟
إدارة؟

تسويق؟
شعر؟
روايات؟
أنا خلاص مش عارف ابدأ بايه! من جمالك مش عارف أركز، ولا عارف أبدأ منين. طب ناخدها واحدة واحدة، شوية فلسفة، على شوية تاريخ، على شوية شعر، لحد ما أقرأ كله.
ـ أنت دخلت هنا ازاي؟
ـ حرام عليك يا أخي، أنت عاوز تموتني؟
ـ رد عليَ، دخلت هنا ازاي؟
ـ مش عارف، أنا في لحظة لقيت نفسي! بس أنا فرحان إني جيت هنا.
ـ فرحان! أنت بتحب الكتب؟
ـ بحبها بس؟! أنا متيم بها.
ـ متيم بها ولا بالكُتاب؟
ـ لا دا ولا دا.
ـ أمال ايه؟
ـ أنا متيم بالعلم اللي فيها.
ـ أنت اسمك ايه؟
ـ محمد.
ـ تحب يا حمام تشوف مكان تاني أجمل من دا؟
ـ هو فيه أجمل من دا؟!
ـ فيه.
ـ دا أنا ممكن أموت لو شوفت مكان أجمل من دا!
ـ للدرجة دي؟!
ـ أنا لما شوفت المكان دا كنت هموت من الفرحة، ما بالك لو شوفت أجمل منه.
ـ موافق ولا؟
ـ موافق قبل ما تكمل.
ـ بس على شرط.

ـ ايه الشرط؟
ـ تقولي القراءة بتعمل ايه في الواحد بعد فترة طويلة؟
- السؤال دا أنا قعدت أفكر فيه قبل كده أكتر من مرة لحد ما وصلت لإجابة فعلًا طلعتها من الناس اللي بحتك بيهم، ومني ومن الفلاسفة والأدباء.
ـ ياه كل دا؟!
أنا كنت مخليه سر ومقولش لحد، بس عشان فيه مقابل هيخليني أطير في السما، مضطر أقول.
ـ قول وأنا سامعك.
ـ القراءة دي هي العالم الوحيد اللي ملهوش نهاية، ومفيش حد بيموت في عالم القراءة، الكل حي، يُطعِم ويُطعَم، الكل آدمي هنا في هذا العالم.
لا وجود هنا للحروب، لكن هنا سلام فقط، كل ما في هذا العالم، ما هو إلا تعلم.
في هذ العالم لا نحتاج إلى جواز سفر لكي نسافر بلدان نعرفها أو لا نعرفها.
في هذا العالم لا نحتاج إلى جواز سفر لكي نسافر إلى أشخاص بعيدين عن قلوبنا وأعيننا.
في هذا العالم لا يوجد بحر يعوق السير.
في هذا العالم لا يوجد بر به مطبات تجعل السير مترنح.
في هذا العالم لا يوجد هواء به شوائب.
في هذا العالم لا يوجد مفارقة.
في هذا العالم لا يوجد حزن، بكاء، ضغينة، شحناء، كِبر، شر.
في هذا العالم لا يوجد إلا حب وخير وتعلم.
في هذا العالم ننتقل بمحض إرادتنا، لا إجبار، لا إكراه، نأخذ ما نحتاجه، لا طمع، لا جشع، نعمل دون تعب، دون إرهاق، لأننا في هذا العالم نحب أن نعمل، لأنه عمل يجلب لنا عقلنا، الذي ضيعه التعليم المدرسي، الذي جعلنا مجردين من العقل، وأخذ معه، وأعطانا شيء كباقي الحيوانات، تعمل وتنفذ فقط لكي تعيش، ثم تموت بهدوء، لا وجود للابتكار، لا وجود للإبداع، لا وجود لأي شيء يخالف سير الحيوانات.
في هذا العالم عندما تريد أن تصبح شيئًا، ستصبح شيئًا.
في هذا العالم ستطفو مهاراتك، ستعلو همتك.

في هذا العالم ستشعر بالسعادة.
في هذا العالم ستشعر بالحياة.
في هذا العالم ستكون إنسانًا.
إذا دخلت في هذا العالم وأنت نقي، ستزيد نقاءً، وإذا دخلت في هذا العالم وأنت ملوث من العالم الآخر، سوف تتغير شيئًا فشيئًا، وستلاحظ الفرق سريعًا، ثم بعد ذلك ستتغير أكثر، ثم أكثر فأكثر، ثم ستصبح نقيًا، ثم ستكون جزءًا من هذا العالم وتحصل على مكان يأويك، ثم تتوسع وتأخذ مكانًا واسع، ثم مكانًا أوسع، ثم أرض، ثم جزيرة، ثم بلدة، ثم دولة، ثم قارة، ثم قارات، ثم ستصبح أنت العالم.
ـ أنت لا تستحق المكان الذي قد وعدتك به.
ـ لماذا؟!
ـ أنت تستحق مكانًا أجمل من الذي وعدتك به، كعالمك الذي أخذتني إليه بمحض إرادتي، بعالمك الذي جعلني أطير فوق كل طائر يطير، بعالمك الذي سرق مني فؤادي، بعالمك الذي أشعرني بأنني كنت ميت، وهو قد أحياني، بعالمك الذي سلب مني عقلي، أو سلب مني عقلي المدرسي ثم أعاد ليَ عقلي الحقيقي، بعالمك، لم أعد، أو لا أستطيع أن أتكلم بعد هذا، سآخذك وأنا صامت، مع علمي التام بأن هذا المكان لا يكون كعالمك أيها الآدمي!،
الكلام توقف، فهلا أوقفتني؟!
ـ لنذهب أيها الشخص النصف أنا.
ـ لنذهب.
واحد من اتنين :
إما أنني أحلم،
وإما أنني في الجنة،
كل هذا، لو كان في هذه الدنيا اختيارًا واحدًا من أجمل مناطق العالم الترفيهية لمدة لا تتعدى الثلاث دقائق، لاخترت هذا المكان، ولو لنظرة فقط، لأنني لن أتمتع بالدقائق الثلاث فقط كما حُددت تلك المهلة، لأنني سوف أتمتع طيلة حياتي، لأنني أخذت صورة من هذا المكان ووضعتها في قلبي، والقلب، لا داعي للحديث عنه، فأنا أعلم، وأنتم تعلمون.

ـ ايه رأيك في المكان؟
ـ بس كنت عاوز أقولك على حاجة.
ـ تقول حاجة ازاي وسط العالم دا؟!
ـ طب هسيبك ولما تعرف هتجيلي لوحدك.
ـ ها؟
ـ ها ايه؟! سلام
ـ سلام.
لحظة،
ثانية،
دقيقة،
ساعة،
يوم،
أسبوع،
شهر،
عام،
دنيا،
وماذا بعد؟
أريد ما بعد، أريد أن لا أتوقف، أريد أن أظل أسبح في هذا البحر، لا أريد معرقلات، لا أريد حواجز وسدود، لا أريد مخاوف، لا أريد برق، لا أريد رعد، لا أريد عاصفة، لا أريد نهاية، أريد فقط، أن أغرق في هذا البحر.
أين عالمك أيها المنسي؟
عالم ماذا؟
عالمك، ألم تعرف عالمك؟
هذا عالمي.
منذ متى؟
منذ حييت!
ستنسى؟

لا يوجد شيء لدي كي أنسى!
أتتذكر؟
لا أتذكر إلا عالمي.
أهو الذي أقصده؟
ليس الذي تقصده.
أهو الذي قد سرقك؟
ليس هو الذي سرقني.
ماذا؟!
أنا الذي سرقته.
هل حقًا ما تقول؟!
وهل حقًا ما تقول؟!
ربما!
إذًا، فهو كذلك!
ستمضى كثيرًا.
أأنت تتحدث عن وقت؟!
ماذا تقصد بهذه الكلمة؟!
أتضع وقتًا لهذا؟
أجل.
ليس هنا وقت.
كيف؟
لأنه، لن تفهم!
سأفهم.
ماذا؟
ما تريد أن تقوله.
وما أريد أن أقول؟
أتسألني أنا؟!
ما رأيك؟

في ماذا؟
أن تفعل مثلما فعلت؟
لا أريد.
أم لا تقدر؟
أنت تعلم قدراتي.
إذًا، فلترني إياها.
إذًا، فلتستمتع أيها المنسي.
أحب الاستمتاع.
كلمات متطايرة، صحف مبعثرة، أسماء متكررة، روح صاعدة إلى مكانها الطبيعي، الذي يرفرف بدون أثاث، بدون أعمدة، بدون أي شيء قد يسانده أو يساعده، مكان خلاب، تسبح فيه الطيور، ترقص فيه النجوم، يضحك فيه القمر، يَحتَضِن، ولا يُحتضَن، يَضُم، ولا يُضَم، يوجِه، ولا يُوجَه، يُحيي، ولا يُحيا.
تعبت.
لكنك سعدت.
نعم.
ستسرقه، أم ماذا؟
نعم، وأنت المتسبب في هذا!
رائع.
لكني أشكرك.
إذًا؟
أتفكر فيما أفكر؟
لم نعد نفكر الآن تفكيرين.
لماذا؟
لأننا صرنا واحدًا، كاملًا، متكاملًا.
أتعلم ما بداخلي؟
وأنت كذلك.
هذه حياة، من الآن وصاعدًا أنا حي، أنا صرت حي، أنا أعيش، أنا أتنفس، أنا أستمتع،

أنا أتحرك، أنا أذهب، أنا أسير، أنا أركض، أنا إنسان.
أهذا هو الذي كان يريد أن يخبرني هو به؟!
بالطبع هو،
ماذا بعد؟
مثله، مثله، مثله، لكن باختلاف الأسماء.
فسدت فرحتي، ليتني صبرت حتى أعلم وأجهز نفسي لتلك الحادثة المفجعة قبل أن أصدم وأرى ما الذي كنت لا أريد أن أراه، لكن لا ينفع الندم، بالطبع ليس هنا كثيرًا، ربما قلة ضعيفة.
ولكن كيف دخلوا إلى هذا العالم؟
أعرف أن هذا العالم لا يدخله إلا الحكماء.
من الذي سمح لهؤلاء بالدخول؟
هل هذا كان بسبب الاختيار العشوائي؟
لا أعرف، لا أعرف، لا أعرف، لا أعرف.
عقلي سينفجر من كثرة التفكير في شأن هؤلاء، وشأن الذين سمحوا لهم بالدخول إلى هذا العالم، وسمحوا لهم أن يكونوا جزءًا من هذا العالم.
ـ احكي لي بقى؟
ـ أنا آسف، كان نفسي أسمعك، بس اللهفة كانت هي الحكم.
ـ يبقى أنت شوفت اللي كنت هقولهولك.
ـ وبندم إني شوفت! بس عاوز أعرف دول دخلوا ازاي وبقوا جزء من العالم دا؟!
ـ عاوزك بقى تركز معايا، علشان الكلام اللى جاي دا كلام تقيل.
ـ حاضر، اتفضل.
ـ بص يا معلم، الناس دول نوعين :
الأول: دخل بالواسطة، والواسطة هنا متقسمة لنوعين.
ـ تمام.
ـ النوع الأول: واسطة عن طريق واحد صاحب دار نشر، أو واحد معرفة كلم صاحب دار نشر، فحب يجامل، فخلاه يدخل العالم دا.
ـ والنوع التاني؟

ـ فيه بقى اللي دخل بالواسطة اللي هي الخلاصة، اللي هي بتجيب من الآخر.
ـ اللي هي؟
ـ الفلوس!، اتفق مع دار نشر إنه يعمل التكاليف وكل شيء علشان بس يبقى اسمه كاتب ويدخل العالم دا، ويكون جزء منه.
ـ والتاني؟
ـ اللي قرب من الناس وضحك عليهم لحد ما تمكن، وبعد كده اتشهر.
ـ بس أكيد فيه ناس واعيين.
ـ قليلين جدًا.
ـ كمل.
ـ والشهرة دي يا معلم بتعمل المستحيل، لدرجة هو لو نزل أي حاجة هتتقبل! صح غلط ميفرقش، والغالبية ماشيين بنفس السيستم، والشخص المشهور دا لو كفر، المعجبين هيكفروا.
آسف في الكلمة اللي هقولها، لو تف على الأرض حبايبه هيروحوا يشيلوها من على الأرض ويبلعوها، لدرجة لو شتمهم، هيقولوا دا مدح.
شوفت الشهرة بتعمل ايه؟
ـ شوفت.
ـ ولسه ياما هتشوف.
ـ أكتر من كده؟!
ـ أنت لسه بادئ يا جميل.
ـ أنت بتحبطني؟
ـ لأ، بوعيك.
تبدأ جميلة، ثم رائعة، ثم قبيحة، حقيرة، وهل يوجد شيء أسوأ مما أراه، سواء كان حلمًا أم واقعًا؟
وبعدين بقى في الأحلام دي!
أنا معدتش عارف أعمل ايه!
أنا متأكد أنها رسالة من الله -عز وجل- لكي أعلم ما لم أعلمه، قبل أن أدخل هذه السباقات، وقبل أن أخوض تلك المعارك، ولكي أعرف أن ما قدره الله ليَ خير من كل

ما أتمناه.
دائمًا أتمنى، لكني لا أعرف الغيب، أخطط للذي أريده، وأجهل ماذا سيحدث ليَ بعدما أكون هناك!
ومن منا يعلم أنه سيكون بخير عندما يصل إلى هناك؟
الكل يريد وفق ما يرغب فيه، ووفق ما يراه مناسبًا، لكننا نجهل ما سيكون مناسبًا لنا، وإن كان الذي قد فُرض علينا لا نراه مناسبًا، فالخير دائمًا يكمن في جميع الأشياء، سواء كان يراها الشخص خيرًا، أو شرًا.
الكل خير، والخير في المنع قبل العطاء، وفي البلاء قبل الرخاء.

الامتحانات

الجو، شديد الحرارة، المكان يدخله الهواء من ثقب إبرة، الامتحان أسوأ من يوم النكسة!، زعيق، سب، انحلال، جسدي يُمطِر، توتر، قلق، خوف، عدم تركيز، وكيف يأتي النجاح؟!

نعمل، نجد، نجتهد، نصبر، نرضا، نحصد، ليس الذي تمنيناه، ليس الذي طلبناه، ليس الذي سعينا لأجله، ليس الذي عشنا لأجله، نحصد شيئًا قليل القيمة، لا يناسبنا، ولا يناسب كل مجهوداتنا، ولا يناسب أي شيء، لأنه لم يخرج من أيدينا، بل من أيدي أشخاص جهلاء، تحكموا فينا، وارغمونا على فعل هذا، ولم يتركونا بما أمرونا، بل ضافوا على السوء سوءًا، ليكون جملة من المساوئ التي تجعل الشخص غير الشخص الذي يعرفه، التي تعطيه من فيضانها لكي يكون واحدًا منها، تلك هي المساوئ التي غرست فينا، ليس بمحض إرادتنا، ولكن بالغصب والإكراه.

وافعل كما شئت، فلن تخرج من تحت أيدينا حتى تذق ما اخترناه لك، فأنت بحاجة إلينا، أبيت الحاجة أم قبلتها التي نقدمها، لن يكون هناك ضرر علينا، لأننا نحن المتحكمون فيك، أنت لا شيء، أنت شخص تافه، يظن أنه سيغير، وسيعبر، وسيكون، لكنك لا تعرف حجمك أيها الحشرة، أنت لا شيء.

هل هذا هو الشيء المخفي بداخلكم؟!

ستظلين طويلًا أيتها البلهاء هكذا؟!

صوتك يشوش عليَ وعلى تفكيري، لا أستطيع أن أسترجع المعلومات التي حفظتها، وليس التي فهمتها، فنحن في مجتمع يحفظ ولا يفهم، وكيف الحفظ، والذين يدرسوا لنا أنعام؟

بسببك أيتها الجهولة العنيدة لا أستطيع استرجاع ما قد حفظت.

هي ليست وحدها، فالجميع هنا متخلفون، سواء ـ إداريين، معيدين، دكاترة، الكل متخلف وجاهل! لا أحد يشعر، لا أحد يدرك، لا أحد يفكر، يسيروا كالأنعام تمامًا، بل ألوم على نفسي عندما أصفهم بالأنعام!

فالأنعام لا يملكون العقل التحليلي، بينما هؤلاء المعاتيه، لديهم العقل التحليلي، ولديهم العقل العاطفي، وهو العقل الذي يتساوى معنا فيه الحيوانات، لكنهم يرفضون العقل التحليلي، الذي هو عقل الآدميين، ويرحبون ويعملون بعقل الحيوانات.

كل هذا لا شيء، لا شيء منه يتحقق مع هؤلاء المعاتيه، جهلاء، متخلفون، لا يريدون أن يصبحوا أفضل، فكل ما يتمنونه أن يسيروا على النموذج المعوج، للحصول على أموالهم التافهة، لملاحقة غلاء الأسعار والعيش في الأكواخ.

لا أحد يغير، الكل يسير، بل يطير، هذا النمط أصبح أسلوب حياة ويصعب تغيره، وإذا جاء البعض بالتغيير نحو الأفضل، اتهم بالعمالة والخيانة وزعزعة الأمن والاستقرار، والمساس بممتلكات الدولة، ويجر من ثيابه، ووضعه على قوائم الإرهاب، وجعله جيفة، الكل يخشى أن يقترب منه، لأن جبينه مكتوب عليه، لا تقترب مني فأنا جيفة.

وأي دولة تتحدثون؟!

هل هي دولة الظلم؟!

هل هي دولة الجهل؟!

هل هي دولة الفقر؟!

هل هي دولة المرض؟!

هل هي دولة الانحلال؟!

هل هي دولة القاع؟!

هل هي حقًا دولة ؟!

وكأن التغيير في هذا الزمان أصبح كفر وخروج عن النص!

تدرك، تشعر، تفكر، تتحدث، لكن إياك أن تفعل.

فشعارنا هنا:

"إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (٢٣) قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به لكافرون". ٢٣ : ٢٤ ـ الزخرف.

المكان مكاننا، والزمان زماننا، ولن يعيش أحد في هذه الديار إلا الذي يسير على خطانا، ومن يأبى، فهو أغبى.

لا إدراك، لا شعور، لا فكر، لا حديث، لا ابتكار، لا إبداع، لا فعل، لا حرية، لا لكل

شيء ينافي دين آباءنا وأجدادنا.
هذا هو،
هذا هو،
هذا هو.
ـ لو سمحتِ.
ـ نعم!
ـ حضرتك أنا مش عارف أحل بسبب الزعيق دا.
ـ يا دكتور، فيه طالب عاوز يكلمك.
نداء للدكتور، للعميد، لرئيس الأكاديمية، أنا لا أخشى أحد، إلا الله فقط، لست أنا الذي يُخرس عند سماع كلمة دكتور، أو عميد، أو رئيس، أو مسؤول، أو أيًا كان، أنا لا أخشى أحد.
ربما أنتِ من تخشين كل هؤلاء أنتِ وأصدقاؤك، لأنكم تحرصون على لقمة العيش الضئيلة، بذل، بمهانة، أيًا كان، فكل هذا لا يهم، المهم أن تحصلوا عليها يا من تدعون أنكم تنتمون للإنسانية!
ـ عاوز ايه يا بني؟
ـ حضرتك يا دكتور أنا من أول ما دخلت لحد دلوقتي الزعيق شغال ومش عارف أركز ولا عارف أحل حاجة في الامتحان.
ـ طب وأنا أعمل لك ايه؟
ـ بقول لحضرتك مش عارف أحل.
ـ حل وأنت ساكت ياخويا.
ـ يا دكتور مش عارف أحل بسبب الدكاترة والمعيدين والإداريين، كلهم عماليين يزعقوا، وأنا كده مش قادر أفكر، ولا قادر أحل!
ـ أنت مش هتعلمني شغلي يا أستاذ، حل وأنت ساكت.
ـ يا دكتور أنا مش بعلم حد، بس من حقي إني ألاقي مكان هادى عشان أعرف أحل، زي ما حضراتكم عاوزين الطالب ميغشش ولا يعمل أي حاجة خارجة.
ـ أنت بتقول ايه؟! أنت هتعلمني النظام يا طالب؟!
مهلًا عليك أيها الجهول،

ستموت وأنت تتعصب! وسوف ألقى عقابي بسببك،
لأنني أنا الذي أخرجك عن شعورك، ولكني أريد الحق، أريد أن أحصل على حقي، ألا يوجد حق في هذا المجتمع العقيم؟!
ـ شكرًا يا دكتور.
ـ معدش إلا أنت وتعلمني النظام؟!
وبصوا يا أساتذة، أي طالب يتلفت حواليه، أو ياخد مسطرة، أو قلم جاف، أو رصاص، أو آلة حاسبة، أو بس يضحك، أو صوته يعلى، يتعمله محضر غش على طول وأنا اللي بقول، ومفيش حد ياخد ورقة طالب ويرجعها له تاني، ومفيش أي طالب يسأل أي سؤال تاني، سواء في المادة أو مش في المادة، أنا هوريكم.
غضبان لأنني أطلب حق!
غضبان لأنني تشجعت غير كل الطبة!
غضبان لأنني جعلت الإنسان الموجود بداخلي يتكلم!
غضبان لأنني تحديته وتحديت كل مسؤول!
غضبان لأنني كسرت قاعدة الكبرياء والعظمة، ووقفت أتكلم بكل شجاعة!
غضبان، غضبان، غضبان.
فلتغضب ولتنفجر، ولكن لا تنفجر في وجهي، لأنني سوف أنفجر فيك إذا فعلت.
وزعلان من أني قلت الحق! وتقول أنت مش هتعلمني النظام.
لأ دا أنا أعلمك وأعلم أهلك، طالما أنت جاهل للنظام، وجاهل للوائح والقوانين، وأي لوائح هنا؟!
فأنا لا أرى أي لوائح، إلا لائحة واحدة :
أصمت لكي تنجح،
أصمت لكي تتخرج،
أصمت لكي تحصل على الشهادة.
نظام قمعي حقير، يقيد حرية الرأي والتعبير عن الذات، وقمع الفكر والإبداع، والقضاء على الجد والاجتهاد، والفعل والعمل، والرفعة والسمو.
نظام أصبح، وهل أصبح ذات يوم؟!
لا ينبغي لك أن تتحدث مثل هذا.

لا ينبغي لك أن تشوه صورة الأكاديمية.
لا ينبغي لك أن تسيء إلى سمعة أمك التي احتضنتك وأنت كنت في الشارع.
لا ينبغي لك أن تخرج من بيننا.
لا ينبغي لك أن تكون بلا انتماء.
لا ينبغي لك أن تتسلل كالفئران.
لا ينبغي لك أن تتفلسف على من علموك.
لا ينبغي لك أن تكون جاحدًا بما أنت فيه الآن.
لا ينبغي لك أن تتكلم مع دكتور هكذا.
لا ينبغي لك أن تجعل محراب العلم مكانًا للسخرية.
لا ينبغي لك أن تكون هكذا.
وما الذي ينبغي؟!
أن تكون كما نحن.
وإن لم أوافق؟
سيقضى عليك.
علمت.
وماذا بعد العلم؟
لن أرضى.
فلتتحمل أيها الأحمق، إذا استطعت.
بيننا الأيام.
ـ هات الورقة.
ـ لسه ١# دقايق.
ـ الدكتور قالي لمي الورق.
ـ وأنا بقول لحضرتك لسه ١# دقائق!
ـ أنا مليش دعوة.
ـ بس دا حقي!
ـ هات الورقة بدل ما أنده على الدكتور.
ـ لسه ١# دقايق.

نعم، هناك أناس كالكلاب، عندما تسنح لهم الفرصة للانقضاض على العظمة، يفعلون كل ما بوسعهم للحصول عليها، سواء هذا الأمر لائق أو غير لائق، حلال أم حرام، يفعلون ولا يفكرون، يفعلون ويتغطرسون، وعندما تقف لأحدهم، يتقوى بالكلب الأكبر للحصول على العظمة، فلا لوم ولا عتاب على الكلاب.

لماذا؟

لأنهم كلاب.

ـ أنت يا بني اعطي الورقة للأستاذة، الوقت انتهى.

ـ حضرتك يا دكتور أنا واخد الورقة الساعة ١:١#، والساعة دلوقتي ٣ إلا ١# دقايق، يعني المفروض أنا لسه ليَ ٢# دقيقة.

ـ أنت بتكدبني؟!

ـ يا دكتور أنا مش بكدب حضرتك، بس دا حقي.

ـ لمي الورق يا أستاذة، وخديها منه غصبن عنه، ولو مرضاش سبيها له.

ها! تلقيتِ المعلومات من الكلب الأكبر لتفعلِ ما أمرك به أيتها الكلبة؟

فأنتِ من تقويتِ به للحصول على العظمة، أعلم أنكِ الآن بأمان أيتها.

ـ هات الورقة، بدل ما أسيبك وأمشي.

ـ بس خليكي فاكرة الآية دي:

"وقفوهم إنهم مسؤولون". ٢٤ ـ الصافات.

ـ طب ياخويا!

ـ وحقي أنا هاخده إن شاء الله يوم القيامة.

ـ طب ياللا عشان معملكش محضر.

ـ وبنقول البلد متخلفة ليه! أنا دلوقتي عرفت ليه البلد متخلفة!

ـ احترم نفسك، أنت أصلًا إنسان مجنون ومتخلف، ومش محترم وعاوز تروح مستشفى المجانين، روحوا أتأدبوا الأول، مفيش احترام عندكم خالص، يا مجنون يا متخلف.

ماذا أفعل مع هذه البلهاء؟

لو تحكم فيَ الغضب، لقتلتها.

ولكني سأصمت، ولن أرد على هذه البلهاء، وسأخرج بدون أن تستشعر أنني قد

انزعجت من كلماتها، ولكي لا تشعر أن الغضب بدأ يتدفق في جسدي.
سأفعل ليس لأنني قويًا عند الغضب ومتماسك، ولكن لأجل المرأة المسكينة الموجودة في البيت، التي تنتظر وبفارغ الصبر شهادة التخرج، ومن تكون هي المرأة المسكينة الموجودة في البيت؟
دائمًا ما كنت أتساءل: هل كلهن يستحققن الغزل؟
يراودني هذا السؤال عندما أرى النساء، أو عندما أجلس مع نفسي، أو عندما أفكر فيما لا أفكر فيه، يأتيني.
لكن الآن اتضحت الرؤية، وانكشف الغطاء من على قلبي، وكل شيء بدا كالشمس، أخيرًا رأيت ما لم أره من قبل، أخيرًا علمت ما كنت جاهله،
أخيرًا، ليس كلهن يستحققن الغزل!
فهذه البلهاء قد ساعدتني لإزاحة الغطاء من على قلبي، لإزاحة الشيء الذي كنت أعامله برفق، بينما كان هو يقسو عليَ، ولكن لن يدوم كل جميل، فالقلوب تتغير كلما أصيبت بضربات جارحة، وإن وضع العذر أحيانًا مرات كثيرة، فالقلوب لا تبقى كما هي، القلوب تتبدل من حين لحين، فإذا لقيت شرًا، فشر.
نعم أنت محق يا درويش عندما قلتها.
قلتها صادقة، فصارت كالزمان لا يتغير، وإن تغير المكان، فالزمان هو الزمان، وكلمتك هي نفس الكلمة لا تتغير، ولا تعرف الاندثار، ولا تعرف الانقراض.
" فأنتِ لا تستحقين قصيدة ولو حتى مسروقة".
درويش.
وأقول أنا فأنتِ لا تستحقين نظرة ولو كنت ضرير.
ثمة أشياء متراكمة فيكِ أيتها البلهاء، ربما قد حصلت عليها وأنتِ صغيرة، أو وأنتِ كبيرة، سواء اكتسبتيها من والديك، أقاربك، أو اكتسبتيها من المستنقع الذي نعيش فيه، الذي يطلق عليه مجتمع.
مجتمع، أي يجمع الناس.
يجمع الناس جميعًا، الصالح والطالح، المصلح والمفسد، المادح والقادح المؤمن والعاصي.
يجمع كل الفئات، للتخلص من الدونية، وللتخلص من العلو والكبرياء، ولمعالجة كل

ما هو سيء، ولإبداء الآراء، وتبادل الأفكار، لكي يظل مجتمع،
مجتمع يصلح للعيش، مجتمع يكون به نظام تكاملي،
مدخلات، عمليات، مخرجات، تغذية عكسية.
لمقارنة أمس باليوم، ولمقارنة اليوم بالغد، ولمقارنة الغد بما بعد الغد، للوصول إلى درجة عالية من الفاعلية والكفاءة، ولتطوير من بداخل هذا المجتمع، ولعدم الوصول إلى كلمة مستنقع، وللحصول على كلمة مجتمع.

الشاعر

أكتب، أكتب، ثم أكتب أكثر، ثم أختنق، ثم أكتئب، ثم أمَل، ثم أبكي، ثم أضعف، ثم أترك، ثم أعود، ثم أعاود السير مرة أخرى.
وتسير الأيام وأنا هكذا، لا شيء جديد، أبعد وأعود، أبعد لأنني سئمت من هذا، وأعود لأنني أريد ما بعد!
وما بعد؟
ثمة أشياء تعاندني.
تعاندني عنادًا لم أتجرعه من حبيبة، وكأنها تريد أن تقضي عليَ قبل أن أصل إليها.
لست مرغمًا أن آتي حبيبتي زحفًا، ولست مرغمًا أن أتحمل كل هذا لأجلها، وهذه حبيبتي!
أما أنتِ، فلأنك تعلمين أني أريدك، وأريد أن تكوني ليَ فقط، تعانديني لأجل ذلك، وتقاتليني لأجل ذلك، وكأنك آلة لا تشعر!
لماذا تعامليني هكذا؟!
لماذا أنا بالتحديد الذي يتجرع كل هذا؟!
لماذا تعبسين في وجهي، ولغيري تموتين ضحكًا؟!
لماذا أنا من بين هؤلاء؟!
لماذا؟
لماذا؟
لماذا أنا بالتحديد؟!
هل رفضك العالم بأسره، ومن حسن حظي أنني أنا الشخص المستقيم؟
هل جننت أن أكمل هذه المهمة، كي أصل إليك؟!
هل مات العالم كله ولم يبق إلا أنا؟!
لماذا كل هذا؟!
أنا لا أريد أكثر من حقي كما تفعلين مع البعض!

أنا أريد فقط أن أحصل على نصيبي.
لو كان هناك مكافأة على جهدي وعملي، لحصلت عليكِ منذ زمن!
لا تنخدعي بصبري تجاهك! فأنا أصمت، ثم أكتم، ثم أكتم، ثم أصبر، ثم أصبر، ثم أنفجر، لكن لا عليكِ!
فلتأتي أيتها العنيدة!،
مخنوق، آهات تكاد تقلب كل شيء على عقب عند خروجها، ولكنها لا تخرج، بل تبقى بداخلي حتى تقلب حالي رأسًا على عقب.
مخنوق، من كل شيء!، الحياة تعاملني وكأني لست من أهلها، تعاملني كمعاملة البيض للسود، تعاملني كمعاملة أي عنصري!
لماذا كل هذا؟!
لا أعرف!
سأتمشى.
وهل يوجد خيار آخر؟!
أنت محق في ذلك، فكلما اختنقت تمشيت، ليس لأحصل على السعادة وللخروج من هذه الأزمة الحادة.
ولكن للسرحان وللنسيان،
للسرحان: لأنني بحاجة إلى أن ألتفت إلى أي شيء قد يساهم في أخذي من هذا الواقع الأليم، إلى واقع، أو خيال، لا يهم، فكل ما يهمني أن أخرج وأن أرحل عن هذا العالم الذي يؤرقني.
وللنسيان: ما قد رأيته،
٢٢ سنة ولسه صفر!
ولسه معملتش حاجة تخليني أجيب ١٪ حتى!
أنا نفسي أعمل حاجات كتير،
نفسى أغير، نفسى أتقدم، بس مش لاقي ولا فتحة أبص منها، عشان أخرج من الضلمة اللي أنا عايش فيها.
لا عارف أسافر، ولا عارف أحقق حلمي، وابقى كاتب وشاعر كبير، ولا عارف أشتغل شغلانة هنا تجيب حتى ٣### جنيه، عشان أحاول أجيب شقة على مدار ١## سنة

تحويش!، حتى السفر بقى طين وسواد، وكل يوم فيه دول وسخة بتضيقها علينا، حتى اللي بيسافر بيتعامل زي العبد هناك، مع إننا عندنا علم وفكر يخلينا أفضل شعب، لكن!

زمان الأجانب كانوا بيجوا يشتغلوا عندنا.

دلوقتي الوضع اتغير خالص، ياريت احنا نشتغل عندهم دلوقتي!

دا احنا مش عارفين نسافر عندهم أساسًا، ويوم ما نسافر نركب مركب، ونكون طعام لذيذ للسمك الموجود في البحر، أو نغرق، أو نتجمد من البرد، وكل هذا يؤدي إلى الوفاة!

طب ما نموت، هو احنا من امتى كنا عايشين!

مش عارف ايه اللي بيحصل بالظبط! بس فيه حاجة غلط !

شاب ٢٢ سنة صفر، وهيكون ٤# سنة وهو صفر، وهيكون عجوز ٦# سنة وبرضو هيبقى صفر، وهيموت، وسيظل الصفر هو قرينه!

ومن نكون نحن حتى يجالسنا الصفر؟!

يأكل معنا، ويشرب معنا، وينام معنا، ويعيش معنا، ويدخل الخلاء معنا، وسيموت معنا.

محظوظون نحن أن يكون لدينا رقم!

محظوظون نحن أن يكون لدينا جليس!

محظوظون نحن أن يكون لدينا قرين!

نفسي بقى،

نفسي بقى أشوف بصيص من الأمل!

نفسي في فرحة ولو حتى الفرحة تيجي صدفة!

نفسي بقى، يا رب افرجها من عندك، أنا تعبت ومعدتش قادر، أبويا مات، ومحدش راضي يساعدني، والكل بيهرب مني وكأنى من كوكب تاني، والدنيا بتعاندني، والأسعار نار، والمعيشة بقت حاجة تانية خالص، وكل حاجة متقفلة في وشي!

لا سفر نافع، ولا حلم نافع، ولا شغل نافع، ولا أي حاجة نافعة!

أنا حاسس إني هموت وأنا بكلم نفسي!

الناس بقت ماشية بتكلم نفسها!

الناس شوية كمان وهيموتوا ساكتين!
والانتحارات شغالة كل يوم!
والخيانة وصلت لمرحلة رهيبة!
والظلم ساد، والأمراض انتشرت!
يا رب أنا عارف إن كل دا بسببنا احنا!
واحنا اللي عملنا في نفسنا كده، بسبب بعدنا عنك، بس يا رب حضرتك الكريم، الرحمن، الرحيم، النافع، الرزاق، السلام، الوهاب، الفتاح، المعز، السميع، البصير، المجيب، الواسع، اللطيف، الغني، المغني.
يا رب افرجها من عندك، يا رب.
أنا هفضل ماشي، وهمشي، وعمري ما هزهق، حتى لو وافتني المنية وأنا ماشي همشي برضو، وهتوكل عليك يا رب، وهاخد بالأسباب، وطالما أنا عايش، يبقى حلمي لسه فيه بقية.
ايه دا؟
معقول؟! أخيرًا الفرحة جات، اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.
مسابقة شعر :
فصحى، عامية، نثر..... إلخ
كويس، جات في ملعبي، لما بقى نروح نجهز عشان المسابقة دي، لازم يكون فيه حاجة جديدة، لازم يكون هناك تلاعب في بعض الحاجات، لازم يكون،
بس وجدتها!
لازم يكون هناك فلسفة.
ومش أي فلسفة، دي لازم تكون فلسفة عالية.
فلتكن هي،
استعدوا فأنا قادم،
لن أتركها تفلت مني،
هذه فرصة لن تعوض، وربما لا تأتي مرة أخرى، وربما تكون هي الفرصة التي ستغير حالي وتساهم في جعلي إنسانًا شاعرًا.

وإن لم أصل إلى حلمي الآن، سيكون هناك دعم معنوي للمزيد من الابتكارات والوصول إلى حلمي غدًا،
جلوس مع الوحدة، صمت في الليل، رقص مع القوافي، فنجان قهوة، مقارنة الماضي بالحاضر، والحاضر بالمستقبل، والمستقبل بالماضي، والانفراد بفلسفتي، التي طالما تؤدي بيَ إلى الهلاك، ولكن هذا المفهوم سيتغير غدًا.
ما هذا الجمال؟
ما هذا الفن؟
ما هذا الإبداع؟ لكن لن أدخل بها المسابقة!
فهذه المسابقة ليست كمسابقة أمير الشعراء، وأنا لن أطرحها في هذه المسابقات، ولو كان هناك مسابقات شعرية أفضل من مسابقة أمير الشعراء، لاختزنت هذه القصيدة لما هو أفضل.
انتهت الحكاية.
لا تفعل.
سأفعل.
سترفض رفضًا باتًا.
لماذا؟
أنت تعلم سبب الرفض!
ذكرني؟
سيقولون أنك تتفلسف، وهؤلاء علمهم محدود، ويظنون أنهم خبراء في النقد الشعري.
بدأت تصل إلى أفكاري.
أعلم أننا دائمًا متنافرين، ولكن لا تفعل، فأنت لم يعد لديك أي فرصة إلا هذه المسابقة.
وإن ذهبت؟
ستذهب للجحيم.
وما شأن هؤلاء النقاد، حدثني عنهم؟
هؤلاء قد قرأوا بعض الدوواين الشعرية على مقتطفات من اللغة العربية، وظنوا

أنهم شعراء عظام، بمجرد أنهم قرأوا مقتطفات، ثم ألفوا وكتبوا، وفى بلادنا العربية لا يوجد شيء اسمه ذوق رفيع، فالموجود حاليًا الذوق الضائع، لا أحد يفهم، ولا أحد يبحث وراء هؤلاء، ولا يوجد أحد يتابع هؤلاء بميكرسكوب، فكيف تريد أن تتفلسف على حمقى ظنوا أنهم شعراء عظام؟!

ولكن ليس هم الذين ظنوا فقط،

فمعهم أيضًا جمهور لا يعرف شيئًا عن الشعر، ولا يعرف شيئًا عن الذوق الرفيع، فلا تخجل يا فتى إذا انسحبت من تلك المعركة، ليس كليًا، ولكن أنت تعرف !

لن أنسحب، وسأفعلها.

أنت تفتح النار عليك!

وما الجديد؟

لكنك بحاجة إلى شيء قد يكون جزءًا من الأمل.

أريد، ولكن على حساب مزاجي الشخصي، لا على حساب مزاج الناس!

حتى وأنت تتحدث معي، تتفلسف!

لتكن هي.

أنا خائف عليك!

وأنا كذلك.

وماذا تقصد؟

أنا أيضًا خائف على نفسي، ولكن بداخلي شيء يمنعني من هذا! وإن كانت أفكاري لا تنافي العلم، فلماذا أخاف؟!

أأخاف من معاتيه؟! أم أخاف لأنهم لم يعوا ولو لمرة أن يأتوا بجديد؟!

أعلم أن أفكارك ممتازة، لكن الخطأ، سيؤدي إلى نهايتك!

لا يوجد أخطاء.

يوجد خطأ سيعرقلك.

ما هو؟!

لجنة التحكيم الشعرية.

نعم، أنت محق!

ألا تغير رأيك؟!

لن أغير.
لماذا؟!
لكي أثبت لهم أنني أمتلك ما لم يمتلكوه، ولن يقدروا يومًا أن يجعلونني مثلهم، ولكي أثبت لهم أنني على صواب.
أتعبتني!
وأنت أيضًا!
افعل ما شئت، فمنك قد سئمت!
سأفعل، سأفعل، سأفعل.
إذا كان هناك من يُعرقِل، فليحذر، لأنه في يوم من الأيام سيُعَرقَل!
لن تذهب حتى تقتص، أو يقتص منك.
مهما بلغت الآفاق،
مهما ارتفعت الطِباق،
لا محالة، القصاص آتٍ لا محالة، في الدنيا قبل الآخرة، القصاص يقوم بعدل الميزان إذا تأرجح يومًا، ولن يحدث هذا إلا بالقصاص، فمن عاقب فلا بد من عقوبته، حتى تكمن الراحة في قلوب الناس، وإنذار لمن يريد.
العقاب جزء من الحياة، لا بد منه على كافة المستويات، لمعالجة الخلل الذي يصدر عن فئة تتعقب كل ما هو جميل، ولإفساد الأشياء التي تنمي.
فالعقاب هو جزء من الحياة لترميم الجهات المكسورة من جانب الأشخاص السيئين، ولإعادة البسمة على وجوه المظلومين، ولتصديق الحق، ولتكذيب الباطل، وللإطاحة بكل ما يفعل الأشياء المحرمة الخارجة عن النص المنشود، وعبرة لمن يريد أن ينهج نهج كل شخص سيء، ولإكمال السير مرة أخرى.
تجربة،
لن يحدث أي ضرر ليَ، كما حدث سابقًا، فأنا قد تجرعت ما يكفيني، فلماذا أخاف؟!
وأخاف من من؟!
من هؤلاء؟!
فهؤلاء بشر!
وكانوا بالأمس القريب مكاني، واجتازوا هذا وأنهوه بكل يسر.

سواء بمساعدات، أو بعدم المفهومية للذين كانوا يحكمون لهم، كل هذا لا يهم.
فالمهم أنهم تخلصوا من هذ المرحلة، ووصلوا إلى مرحلة أفضل، وعندما كانوا تحت القيادة، كانوا يتوقون للمرحلة التي وصلوا إليها بعد ذلك.
فكلها أمنيات، ربما تتحقق، وربما لا،
ولكنها متوقفة عليك!
أنت من تقرر :
إما أن تكون، أو لا تكون.
"هناك أيام بحياتك كنت تظنها لن تمر وكانت همك الكبير، مرت، ولعلك نسيتها، والآن أيضًا سيمر".
شمس التبريزي.
صح، فلماذا القلق؟!، رحمك الله يا شيخنا، مت، ولكنك ما زلت حيًا، حيًا بكلماتك، حيًا بكتاباتك، حيًا بعلمك الذي أضاء للكثيرين، الذين كانوا يعانون من العتمة والظلمة.
لن أسمح للقلق والتوتر، أن يتحكموا فيَ،
لن أسمح لأي شيء، لن أسمح.
ـ محمد عادل؟
ـ يحضر.
ـ بعتذر منك على ما سيحدث، لكنه فرض أن أقول لك: أن اللجنة رفضتك رفضًا باتًا، لكني أصريت على سماع قصيدتك منك، وهذا ليس من شروط المسابقة.
ـ شكرًا لحضرتك يا فندم وللجنة الموقرة.
ـ تفضل يا محمد.

شغيل القلب يمشى في متسعِ
شغيل القلب يمشي في متســــــــــــعِ
على مهلٍ وقلبي مفتجـــــــــعِ
يناديني بلهف عينيه مخشـــــــــــي
أن أكون للهف عينيه ممتنـــــعِ
يطل السير في متســــــــــــــعِ

حتى ينول الفرح والنفـــــــعِ
شمس في البـــــــــــرايا مضيئة
تعاكس الحب وحبي ملتمـــــعِ
قمر الليالي في غياهبهـــــــــــا
يبث نوره ونوري متســـــــعِ
بحر البحور محـــــــــــــدود
وحد بحري ليس بمجتمـــــــعِ
ضرب القوافي في الأبيـــــــــات
مصحوبًا بالرنح والفـــــــزعِ
وضرب رجليك على الأراضين مسموعًا
كعزف الموسيقى والسجـــــــعِ
عيناي تُسر بكـــــــــــل مشهودٍ رأتهُ
حتى شهدت بأنك خير من طلـــعِ
نيران حبك هبت في قبلتـــــــــــي
كهب الحريق في العيدانِ والشمعِ
شعرى إليكَ يا ثـــــــــــمرة فؤادي
كشلال ماء منـــــــــــدفعِ
عجيز في وصفك ووصـــــــفك مغنما
وويل للواصف إن لم يكن مبتدعِ!
ـ شكرًا محمد، وحظ سعيد لك في مسابقات أخرى!
ـ ولكم ولجميع من يحضر هذا الحفل.
اعتدت على ذلك.
رفض دائمًا!
في العمل رفض!
في الدراسة رفض!
في المواهب رفض!
في النوم رفض!

في اليقظة رفض!
في الحياة رفض!
في كل شيء رفض!
وأخشى أن يكون في الممات رفض!
إلى أين أنا ذاهب؟
لا أعرف!
صرت لا أعرف أي شيء!
حتى صرت لا أعرف الطريق الذي أسير عليه!
هل أنا أحلم، وبعد انتهاء هذه الرحلة سأستيقظ؟!
كنت دائمًا أعشق الأمور الجنونية، وأعشق الأفكار الجنونية، ولكن الآن، لم يعد هناك عشق للجنون.
لأنه دخل فيَ وتعمق، وصار أنا وصرت هو، فلِمَ العشق ونحن في جسد واحد؟!
لا نشتاق لبعض، ولا البعض يشتاق لنا، أخيرًا انتهت الجنونية السطحية.
يا لها من كلمة ستوحشني!
الضحكات،
أربط عليها الحزام كي لا تخرج، ولكنها أقوى مني! والحزام لا جدوى منه.
وإن صفدتها بالحديد فلن يهدأ لها بال حتى تنزع هذا الحديد من عليها لكي تخرج، وتخرج بقوة للعالم أجمع.
للذين أتعبوني وظلموني، وللذين سخروا مني، وللذين لم يفهموني، وللذين قالوا إنا معك، ثم خذلوني، وللذين وقفوا بجانبي، وهل أحد وقف بجانبي؟!
وتخرج تلك الضحكات، لكل العالم بدون تفرقة عنصرية،
تخرج لتضيء للعالم،
تخرج لتمتص كل الأوجاع،
تخرج لتسعد الذين لم يحالفهم الحظ،
تخرج للذين لا يعرفونها،
تخرج للذين يحاربونها،
تخرج للذين يريدونها.

تخرج لتنشر السلام،
تخرج للطمأنينة،
تخرج للحياة.
وتظل الضحكات بمثابة المسكنات للعالم، فعند قدومك على شخص وقررت الانتقام منه لأجل موقف لم يعجبك منه، ثم تراه يضحك وأنت عابس، ستصيب الضحكة قلبك، فينفتح لها، ومن ثم ينفتح الجسد، لتنشر سمها داخلك، ولتعطيك سم العفو، والتسامح، والحب.
لحظة، ثانية، دقيقة، يوم، أسبوع، شهر، عام، عمر،
لحظة تأتي بالخوف!
ثانية تأتي بالتوتر!
دقيقة تأتي بالغضب!
ساعة تأتي بالقلق!
يوم يأتي بالخيبة!
أسبوع يأتي بالضيق!
شهر يأتي بالمصائب!
عام يأتي بالحزن!
وعمر يضيع في هذه الأشياء!
فساد تعليمي، فساد قانوني، فساد أخلاقي، فساد تربوي، فساد مهني، فساد فكري، فساد ديني، فساد دنيوي، فساد في كل شيء، حتى أصبح أسلوب حياة.
لا غنى عن هذا الفساد، ولا نستطيع العيش بدونه، لا نقدر أن نكمل السير إلا وهو معنا، وهل نحن نسير؟!
نعم، نسير للوراء!
وهل وصلنا لنقطة البداية؟
لا.
إذًا، أين نحن الآن، أو إلى أين نحن متجهون؟
نحن متجهون إلى اللا نهاية في المشوار التخلفي!
ومتى سنتوقف؟

وهل يتوقف التخلف؟!
كل شيء له بداية ونهاية.
إلا التخلف.
لماذا؟!
لأنه يظل يسحبنا إلى أسفل السافلين!
هل هذا رأيك فقط؟!
كانوا بالأمس يظنون أنهم وصلوا لأعلى درجات التخلف، ثم تلاهم جيل فقال: نحن تخلفنا أكثر منهم وهذه المرحلة آخر مراحل التخلف، ولم يعد للتخلف نفس آخر أن يتخلف!
وسيأتي بعدنا من يقول كلامًا أشد من هذا، ويرى ما هو أبعد.
ومتى ينتهي التخلف؟
عندما ننتهي نحن!
كنت مشتاق لمعرفة لماذا صرنا هكذا ولماذا تخلفنا.
أحيانًا ما تشتاق إليه لا يكون نافعًا بالمرة، بل ضارًا!
ولكن هنا نرفع القبعة لهذ المثل الشعبي، الذي يخاطبنا
" الممنوع مرغوب".
هذا ما كان بداخلي، كلامي يتحكم فيه شهوته وهو لا يستطيع أن يتحكم في نفسه، لأن نفسه الآن أصبحت أسيرة، ومحكوم عليها أن تتبع الشهوة، رغم أنفها، ورغم من يريد أن يعرقلها، إلا أولي الألباب، الذين لهم حِس داخلي، لا يستطيع أحد أن يتحكم فيه، وإذا ما تمت السيطرة على جميع أعضاء الجسد، وجاء هذا الزر لإكمال المهمة والسيطرة على باقي الجسد، وعند وصوله للقلب، يصرخ هذا الحِس الداخلي لإيقاظ ولإشعال هذا الجسد الذي قد أخذ إبرة من المخدر، ولمقاومة هذا، وللوصول إلى المرحلة الطبيعية مرة أخرى،
كل هذا بسبب، الحِس الداخلي!
لكني وقتها كنت فقيد لهذا الحِس الداخلي.
أرأيت ما كنت تريد أن تراه؟
نعم رأيت، ولكن الذي كنت لا أريد أن أراه!

كان يجب عليك أن تتوخى الحذر!
لقد تعلمت!
ستصبح واحدًا منهم أم ماذا؟
الموت أفضل ليَ قبل أن أكون واحدًا منهم.
هذا لأنك في حالة جيدة.
عندما تتجرع ما يتجرعه الناس ستغير رأيك!
لن أغير.
ستغير عندما لا تمتلك مالًا، وعندما ترى الجميع من حولك يتزوجون وأنت ما زلت عازبًا بسبب فقرك.
وستتغير عندما تتدين!
وستتغير عندما تخدع!
وستتغير عندما تشرب من نفس الكأس الذي شرب منه الناس!
وستتغير عندما تفكر!
وستتغير عندما تعرف!
وستتغير عندما، أليس هذا كافٍ؟!
نعم كافٍ، ولكن لن أتغير ما دمت أنا! مهما تغير الكل من حولي، ومهما عصفت بيَ الحياة، ومهما لقيت لن أتغير، لن أتغير ما دمت إنسانًا، أو لست أنت أيضًا إنسانًا؟!
نعم، ولكن فات الأوان!
لم يفت، صدقني.
الآن أدركت، الآن فهمت، الآن عرفت، أن الناس تغيروا لأجل أسباب، منهم من كان يريد، ولكن تحديات الحياة أجبرته على ذلك.
ومنهم من كان قويًا متماسكًا ولكنه تأثر بالبيئة المجتمعية السيئة، فجعلته جزءًا منها، وألبسته لباسها.
ومنهم الذي لا يعرف شيئًا، ووجد نفسه داخل هذ الملحمة، ثم وقف حتى يقي نفسه، ثم لقى نفسه يسير مع مجموعة من المغفلين، حملوه على أكتافهم، لأنه قطع قلوبهم، ولأنه كان واقفًا لا يفقه أي شيء، فحملوه وذهبوا به إلى عالمهم، وجعلوه واحدًا من هذا العالم.

أخذوه من النار، وذهبوا به إلى الجحيم.
الناس بحاجة إلى من يمد إليهم يد العون ويساندهم، لا ليلقي عليهم اللوم، ولا باتهامهم بأنهم جهلاء، ومتخلفين، ولا التقليل من شأنهم واستحقارهم، ولا التعالي عليهم، ولا الانتقام منهم، ولا البعد عنهم، ولا استنكارهم، ولا معاملتهم كأشياء، وهو رب الأشياء.
الناس بحاجة إلى الحاجة التي تعوض النقص الموجود بداخلهم، أو النقص الذي تم الحصول عليه من هذه الدنيا الخادعة.
الناس بحاجة إلى من يحسن حالاتهم الصحية.
الناس بحاجة إلى من يحسن حالاتهم العلمية.
الناس بحاجة إلى من يحسن حالاتهم الاجتماعية.
الناس بحاجة إلى من يجعلهم داخل الدين.
الناس بحاجة إلى كل جميل.
الآن أدركت.
الآن فهمت.
الآن عرفت.
عرفت ماذا؟
عرفت لماذا تخلفنا!
وجاري التعديل.

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub